دراسة تحليلية للشعر العربي في الهند
من ١٨٥٠ حتى ١٩٥٠

بحث جامعي

رسالة لنيل شهادة الدكتوراة

تقديم

محمد شاهد

تحت اشراف

البروفيسور فيضان الله الفاروقي

مركز الدراسات العربية والإفريقية
كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة
جامعة جواهر لال نهرو
نيو دلهي – ٦٧

٢٠٠٥م

مركز الدراسات العربية و الأفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067

DATED: 19-07-2005

DECLARATION

I declare that the material in this thesis entitled **"An Analytical Study of Arabic Poetry in India from 1850 to 1950"** submitted by me is my original research work and has not been previously submitted for any other degree of this or any other University/Institution.

Mohammad Shahid
Research Scholar

Prof. F.U. Farooqi
SUPERVISOR
CAAS/SLL & CS

Prof. S.A. Rahman
CHAIRPERSON
CAAS/SLL & CS

Gram : JAYENU Tel.: 2670 4253 TELEX : 031-73167 JNU IN Fax : 91-11-2671 7525

الإهـــداء

إلى

أبي الكريم وأمي الحنون

رب ارحمهما كما ربياني صغيراً

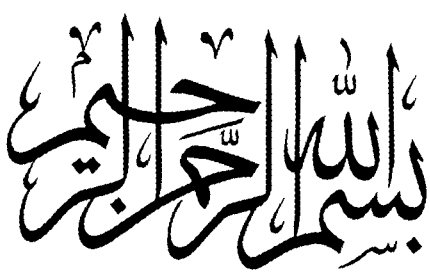
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الشكر والتقدير

من الواجب أن أقدم الشكر والامتنان أولا إلى الله عز وجلّ الذي خلق الإنسان وعلمه ما لم يعلم و وفقنى ولا تمام هذه الأطروحة البسيطة وما كان في وسعى امامه إلا بمنه وتوفيقه تعالى.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى أستاذي الكريم البروفيسور فيضان الله الفاروقي الذي اقترح لي عنوان هذه الأطروحة وأشرف على خلال إعدادها. كنت أظن أن إعداد هذه الأطروحة أمر سهل جدا ولكننى لما بدأتها انعكس الأمر وأدركت أننى لم أكن على حق. وكدت أن أترك هذا العمل العسير حتى أرشدنى الأستاذ الفاروقي وشجعنى عندما ضعفت همتى وفترت عزيمتي. ولو لا عنايته الفائقة ورعايته البالغة لما كانت هذه الأطروحة بين أيديكم. أطال الله عمره وحفظه.

بعدئذ أعرب عن الشكر والامتنان من أعماق قلبى لأساتذتى الأجلة في داخل الجامعة وخارجها الذين علمونى من البداية وحثوا على النشاطات الأكاديمية الأخرى وأهلونى للقراءة والكتابة وكانوا دائما مستعدين لتوفير المعلومات القيمه فيما يتعلق بهذه الأطروحة. ووجب على أن أتقدم بالشكر إلى زملائي الأحبة كأمثال عرفات ظفر وضياء الرحمن الاعظمي وعطاء الرحمن والمرزا نهال احمد بيغ وفيضان احم الجيراجفوري ومحمد أجمل القاسمي ومحمد طارق الظلى والأخ عبيد الرحمن والمرزا محمود احمد بيغ ونبيل حافظ المرزا ومنظر عالم ومحمد سليم القاسمي. انهم قد شجعونى حينا بعد حين وقدموا مساعدة مشكورة في سبيل إعداد هذه الأطروحة.

وكذلك أعرب عن شكرى للدكتور أبو سفيان الإصلاحي، محاضر في القسم العربي بجامعة علي جراه الإسلامية وشاه نواز عالم الإصلاحي وخرم ابو الحسن. انهم ساعدونى عندما زرت جامعة علي جراه الإسلامية لجمع البيانات في سبيل إعداد هذه الأطروحة. وأخص هنا بالشكر والذكر شهاب الدين الأعظمي مؤظف مكتبة ذاكر حسين الذي وفرلى كتبا مفيدة والأخ نديم أحمد الفراهي الذي اهتم بطباعة هذه الأطروحة على الكمبيوتر بمنتهى السرعة وبالغ الاهتمام.

المقدمة

الهـــند دولـــة ذات مذاهب مختلفة وثقافات متنوعة. أرضها خصبة للغاية. قد لفتـــت بـــلاد الهند أنظار الأجانب اليها من قديم الزمان الذين جاءوا اليها في عصور مخـــتلفة. كان التجار العرب يردون اليها حتى من قبل مجيئة الإسلام من أجل ترويج تجـــارتهم وجاءوا عن طريق البحر ونزلوا على "تانا" قرب مومبائي وبروص ومالابار وغيرهـــا وأقاموا بهذه المدن واختلط هؤلاء التجار بأهلها وثقافاتها ولغاتها. فلما جاء الإســـلام وبدأت الشريعة الإسلامية تنتشر تغيرت الأوضاع وكذلك تغيرت وجهات نظـــر لهؤلاء التجار. قد واصلوا تجارتهم مع الهنود ولكنهم إلى جانب تجارتهم تحملوا مسئوليات نشر الإسلام أيضا.

وكذلـــك كانـــت بـــلاد الهند قبلة أنظار الغزاة والفاتحين. وقام هؤلاء الغزاة الأجانـــب بعدة غزوات على الهند وهاجموا عليها حينا بعد حين. توجه أهل العرب أيضا إلى بلاد الهند قام العرب بأول غزوة في عصر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعـــالى عـــنه. وذلك عند ما تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمور الخلافة عين عـــثمان بـــن أبي العاص الثقفى البحرين وعمان في عام ١٥هـ. أرسل عثمان الثقفى جيشـــا كـــبيرا بقيادة أخيه إلى الهند. وصل هذا الجيش ميناء "تانا" ونهبها. بعد ذلك توالـــت هجمات عربية على بلاد الهند. ولكنه لم يتم فتح الهند بصورة مستقله. وفي نهاية القرن الأول للهجرة توجه محمد بن القاسم الثقفى إلى الهند وغزا عليها سنة ٩٢ هـ وفتح مناطق السند. وأنشأ حكومة عربية مستقلة بها وحكمها العرب حوالى ثلاث

مائة سنة. ورد في هذه الفترة كثير من العلماء والمحدثين العرب إلى الهند. أسس هؤلاء العـــرب مدارس اسلامية للدراسات الإسلامية في هذه المناطق. ساهمت هذه المدارس كثيرا في تطوير اللغة العربية بالهند.

بلاد الهند دولة من دول عجمية. أهلها يتحدثون عدة لغات. واللغات المنطوقة بها تختلف من منطقة إلى أخرى. ولكن مع ذلك لم تكن اللغة العربية لغة رسمية لها إلا في العصـــر الذي حكم فيه العرب على الهند. و لم تكن اللغة العربية لغة رسمية إلا في المـــناطق الـــتي كانت تحت سيطرة العرب. وهذه المناطق تضم السند وملتان ولاهور وغيرهـــا. ولكننا مع كل ذلك نرى أن بلاد الهند العجمية قد انجبت عديدا من كبار العلماء والمحدثين بالإضافة إلى الشعراء المفلقين والأدباء البارزين في اللغة العربية.

أما تاريخ الشعر العربي في الهند فهو عريق وقديم جدا. ويعود ذلك إلى مسعود بـــن ســـعد بن سلمان اللاهوري الذي هاجر أبوه من الهمدان إلى الهند وأقام بمدينة لاهور. منذ ذلك الحين تطور الشعر العربي في الهند شيئا فشيئا. وظهر عدد كبير من الشـــعراء الذيـــن قرضوا الأشعار في العربية. ومن هؤلاء الشعراء: عطاء بن يعقوب الغـــزنوي وخســـرو بن سيف الـــدين محمود الدهلوي المعـــروف بـــأمير خسرو المـــتوفى (٧١٥) والشيخ غلام نقشبندي والسيد عبد الجليل البلكرامي والقاضي عبد المقتدر الكندي المتوفى (٧٩١) وأحمد بن محمد التانيسري المتوفى (٨٢٠) وغيرهم.

فلما ضعفت الامارة المغولية احتل الانجليز الهند في منتصف القرن التاسع عشر وجاءوا عن طريق تجارتهم. فاستهدف الانجليز أهل الهند ولا سيما الإسلام والمسلمين وحـــاولوا أن يشوهوا الثقافات الإسلامية فقام الهنود والمسلمون للزود عنهم وللدفاع عـــن ديـــنهم. فكـــان الشعراء ايضا فيما بين هؤلاء المقاومين. وقالوا أبياتاً كثيرة في

المقاومـــة وكذلـــك عبروا بها عن قلقهم على تعسف الإنجليز وعدوانهم على الهنود. ســـاهم هـــؤلاء الشعراء الهنود في الشعر العربي بأشعارهم في الرثاء والمدح والوصف وغيرهـــا. وتـــركوا بعدهم دواوين لهم. ومن شعراء ذلك العصر المفتي محمد عباس اللكـــنوي والعلامـــة فضل حق الخير آبادي والشيخ ذوالفقار علي الديوبندي وفيض الحســـن السهارنفوري وانور شاه الكشميري وصديق حسن خان والمفتي كفايت الله وغيرهم.

قـــد جعلـــت "الشعر العربي في الهند خلال العصر البريطاني (من ١٨٥٠ إلى ١٩٥٠م)" موضـــوعا لبحـــثي. واخترت هذا الموضوع لأن هذا العصر كان عصر الانتشـــار والاضطراب من أجل احتلال الانجليز. وتعرض الشعب الهندي لتعسفهم وتصـــرفاتهم الغاشمـــة. يكـــون الشاعر اكثر الناس انفعالا ورقة فتناول الشعراء هذه الاعتداءات وعدوان الانجليز في أشعارهم.

ولا شك في أنه قام بعض من الباحثين بالبحث حول الموضوع. ولكنه لا يزال يتطلب إلى دارسة تحليلية للشعر العربي في الهند. و لم يتحمل أحد منهم هذه المهمة من هذه الناحية حتى الآن. هذا البحث معنى بالدراسة التحليلية والتاريخية للموضوع التي تغطى الحقائق و لم يمسها باحث آخر.

تشتمل أطر وحتى هذه على أربعة أبواب كما يلي:

الـــباب الأول: فـــيه تحدثتُ العلاقات بين الهند والبلاد العربية. ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول. يتناول العلاقات التجارية بين الهند والعرب

الفصل الثاني. يتناول الغزوات العربية بالهند

الفصل الثالث. قد ذكرت فيه العلماء والمحدثين الذين وردوا إلى الهند

الباب الثاني: هذا الباب يتناول خلفية الشعر العربي في الهند، وهو أيضا يشتمل على ثلاثة فصول:

الفصـــل الأول. قد ناقشت في هذا الفصل الشعر العربي خلال الحكم العربي بالسند.

الفصـــل الثاني. قد ذكرت في هذا الفصل الشعراء والشعر في عصر السلاطين بالإيجاز.

الفصل الثالث. يعالج الشعر العربي الذي ظهر في عصر الأمراء المغوليين

الباب الثالث: هذا الباب يتناول الأفكار الرئيسية المتنوعة التي توجد في أشعار الشعراء الهنود الذين نشأوا في العصر البريطاني. ويحتوى هذا الباب على أربعة فصول:

الفصل الأول. في هذا الفصل قد ذكرت الأفكار السياسية في الشعر العربي.

الفصل الثاني. قد ذكرت فيه الأشعار التي قالها الشعراء الهنود حول الموضوع الديني

الفصل الثالث. هذا الفصل يتناول الأشعار التي قالها الشعراء حول الموضوعات الدينية.

الفصل الرابع. هذا الفصل يتناول الموضوعات المتفرقة

الباب الرابع. يتحدث هذا الباب عن الشعراء الهنود في العربية ومن بين هؤلاء الشـــعراء قد إخترت سبعة شعراء، وهم: العلامة حميد الدين الفراهي والعلامة فيض الحســـن الســـهارنفوري والشيخ انور شاه الكشميري والمفتي محمد عباس اللكنوي

وصـــديق حســـن خـــان والمفتي ذو الفقار علي الديوبندي والعلامة فضل حق الخير آبادي.

لا شك في أن عددا كبيرا من الشعراء برز في هذه الفترة المضطربة. وقد قرض هـــؤلاء الشعراء كثيرا من الشعر في اللغة العربية. وتفننوا في أشعارهم وتركوا دواوين لهم. ولكنني انتخبت سبعة شعراء منهم وتركت غيرهم خوفا من التطويل. والحق أنه من عمل عسير لفرد واحد أن يناقش جميع الشعراء لذلك العصر.

وقـــد حاولـــت بمـــا في وسعي أن أقوم بالبحث كما يجب. وبذلت قصارى مجهوداتـــي في إعداده وسافرت إلى عدة مكتبات من أجل الحصول على المواد الكافية واؤدى حقهـــا ولكـــنني لا أدرى أنجحت في عملي أم فشلت في أملي. واذا رأيتها وجـــدت أنني ما أصبت الهدف المنشود و لم تتحقق الغاية كما تستحق. أتأسف كل التأسف على هذه الخيبة. ولكنني لا أقنط من رحمة الله تعالى وأدعوه أن يجعلها مفيدة ونافعة للناظرين والقارئين. آمين.

محمد شاهد

٢١٣- رواق مهاندي

جامعة جواهر لال نهرو

نيو دلهي

٢٠٠٥/٧/١٩

الباب الأول

العلاقات بين العرب والهند

الفصل الأول

اتصال التجار العرب بالهند

الهند والبلاد العربية دولتان متجاورتان في قارة واحدة-قارة آسيا- ولا يحول بيـــنهما إلا بحـــر واحد وتقعان على ضفتى بحر واحد. وتحتل هاتان الدولتان مكانا مرموقا فيما بين شعبهما من أجل كونهما أما كن مقدسة. ولأهل هاتين الدولتين صلة عاطفية ودينية بهذه الأماكن وهم يزورونها.

العلاقات والروابط بين بلاد شبه القارة الهندية وجزيرة العرب عتيقة جدا. بـــل يـــرجع تاريخها إلى هبوط آدم عليه السلام على الأرض. كثير من المؤرخين يريدون أن يثبتوا أن العلاقات بين البلدين قديمة إلى أنها بدأت من هبوط آدم عليه السلام في سيلان وحواء عليها السلام على أرض الجدة وهي حاليا تقع في المملكة العربية السعودية. وتوجد أحاديث كثيرة تشير إلى أسطورة هي أن سيدنا آدم عليه السلام الملقب بـــ "ابي البشر" عندما أخرج من الجنة هبط على قمة جبل تقع في ســـيلان وسمى بإسمه فيما بعد.[1] فلما قبل الله توبته خرج منها متوجها إلى عرفات بالقـــرب من مكة المكرمة حيث قابل زوجته "حواء" التي كانت قد هبطت على أرض الجـــدة. وليســـت هذه القصة قصة دينية فحسب بل ذكرتها كتب التاريخ والسير والجغرافيا. فقد كتب ابن قتيبه م ٨٨٩/٢٧٦ ويعقوب الحموى هذه القصة في كتابهما.[2]

لما التقى آدم وحواء عليهما السلام بالقرب من جدة قام آدم عليه السلام بعده بعدة رحلات بين سيلان وجدة ويحكى الحديث أن آدم عليه السلام قام برحلات إلى

---

[1] الآداب العربية في شبه القارة الهندية: د زبيد أحمد، ص٤٩

[2] نفس المصدر، ص٤٩

مكـــة ما لا تقل عن أربعين رحلة وكان يعود بعد كل منها إلى سيلان[1] وبهذا الصدد يذكر أن قصة هابيل وقابيل قد حدثت على أرض الهند.[2]

في ضوء هذه الأقوال يمكننا أن نقول إن العلاقات بين بلاد العرب وشبه القارة الهـــندية كانت قد بدأت مع بداية الحياة البشرية على وجه الأرض. ولكن العلاقات بين البلدين بصورة دائمة قد بدأت حقيقيا حينما بدأت التجارة بينهما.

لـــو نلقـــى نظره عابرة على العلاقات التجارية بين بلاد العرب وشبه القارة الهندية نجد أن التجارة كانت قد بدأت بينهما حتى ما قبل التاريخ.

التجارة

ومن المعروف أن التجار العرب كانوا يأتون إلى الهند منذ وقت مبكر وهو في بدايـــة القرن السابع قبل الميلاد أو ربما قبل التاريخ وهم كانوا ينـــزلون على سواحل الهـــند الغربية والجنوبية. هؤلاء التجار العرب قد لعبوا دورا بارزا في تطوير العلاقات بـــين البلدين وتحسينها ويذكر أن تجارة الهند البحرية ظلت في أيدي العرب من عهد يوسف عليه السلام حتى إلى أيام واسكودي غاما.[3]

كـــان التجار العرب يسافرون إلى بلدان عديدة لأغراض تجارية ويسيرون من مـــدن مصـــر والشام على ساحل البحر الأحمر برا إلى الحجاز ثم كانوا يتوجهون إلى الـــيمن وبعد ذلك كانت تبدأ رحلاتهم التجارية بالبواخر الشراعية. وكثير من التجار العـــرب كانوا يقصدون إلى بلاد إفريقيا وبعضهم كانوا يسافرون لغرض التجارة إلى

---

[1] انظر لمزيد التفصيل سبحة المرجان في آثار هندوستان. غلام علي آزاد البلكرامي، ج١، ص١٢

[2] نفس المصدر، ص١٤

[3] الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية: محي الدين الألوائي، ص٥٣

سواحل بلوجستان عن طريق حضر موت وعمان والبحرين وكانوا ينـــزلون في ميناء تيز في بلوجستان.

ثم كـــانوا يـــتوجهون إلى ميـــناء "ديبل" في السند وعرف التجار العرب الأشـــياء الـــتي كانـــت تباع في أسواقها وقابلوا الناس الذين كانوا يسكنون بها. وذهـــب هؤلاء التجار إلى غجرات وبومبائي ونزلوا على ميناء "تانا" وربما زاروا مـــدراس وســـرنديب واندومان ونزلوا على إحدى موانيها. وفي بعض الأحيان إمـــتدت رحلاتهـــم الـــتجارية إلى خليج البنغال وبلاد الملايو وجزر اندونيسيا. وأحـــيانا وصـــل هؤلاء التجار العرب إلى بلاد الصين من طريق خليج البنغال من أجل تطوير تجارتهم ثم رجعوا من هنالك من نفس الطريق.[1]

أمـــا التجار الهنود فكانوا يتاجرون في بلدان غربية ودول اوروبية. وكانوا يـــتوجهون إليها عن طريق بلاد العرب وموانئ البحر المتوسط أو كانوا يسافرون عـــن طـــريق ساحل الهند واليمن. ومن اليمن إلى سوريا ومن هنا إلى اوربا. وقد كتـــب الدكتور زبيد أحمد عن تجارة الهند في ذلك العصر. ويقول "كانت تجارة الهـــند في العصور القديمة تتجه إلى بلاد الغرب عبر ثلاث طرق: اثنتان منها تمران بـــبلاد العرب. الأولى تبدأ من مصب نهر اندس (Indus) بلاد السند وتصل إلى نهر الفرات عند نقطة تتفرع فيها إلى فرعين يتجه واحد إلى انطاكية والثاني إلى موانئ البحر المتوسط. وهذا الطريق حاز أهمية قصوى خلال العصر الذهبي للامبراطورية البابلية. والطريق الثانية أكثر أهمية من الأولى وتمر بساحل الهند ثم باليمن وحضر مـــوت ومـــن ثم شمالا على شاطئ البحر الأحمر إلى سوريا ومنها إلى أوروبا أما

---

[1] انظر للتفصيل "عرب وهند كى تعلقات" السيد سليمان الندوي، اعظم جراه، ص٧

مباشـــرة من الشاطئ السورى أو بواسطة مصر. وقد كان هذا الطريق أكثر أهمية وأعظـــم رخاء لجنوب وغرب بلاد العرب في العصور القديمة حتى انشأ البطالسة طريقا بريا بين الهند والإسكندرية.[1]

وهذا الطريق الذي يسير من اليمن إلى سوريا عبر الحجاز أشير إليه في القرآن باســـم "إمام مبين" أي طريق واضح. كما قال المفسرون وهو الذي يمر من اليمن إلى ســـوريا وتشـــير آية أخرى إلى قوافل سبأ التجارية وتلقى بعض الضوء على ازدهار ورخـــاء هذا الطريق. وهذه الآية في سورة سبأ رقمها ١٨ وما بعدها وهي: وجعلنا بيـــنهم وبـــين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين.[2]

ومما يدل على قدم العلاقات التجارية بين البلاد العرب وشبه القارة الهندية هو أن الســـفن والبواخر التجارية كانت تصل "أوفير" مرة في كل ثلاث سنوات في عهد ســـليمان عليه السلام وتحمل من هناك الذهب والفضة والمجوهرات والبخور والعاج والقردة والطوا وليس وغيرها.[3]

هذا وفي تلك العصور قد نالت السواحل الشرقية للبحر الأحمر في شبه جزيرة العـــرب صـــيتا بعيدا للتجارة وكانت منها موانئ "قنا" و"موشا" و"نطرا" وكذلك "الأبلـــه" و"محمـــرة" في شـــط العرب بالخليج العربي.واشتهرت هذه الموانى بتصدير الأقمشـــة والأحجار الثمينة والتمر والذهب إلى بعض الأسواق التجارية الشهيرة في

---

[1] الآداب العربية في شبه القارة الهندية: د/زبيد أحمد، ص٥١

[2] نفس المصدر، ص٥١

[3] الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية: محي الدين الألوائي، ص٤٦

السواحل الهندية مثل "كراتشي" و"كرنغنور" و"كورمندال".[١]

كـــان الـــتجار العرب ينـــزلون على السواحل الهندية منذ آلاف سنوات من أجل المتاجرة. ويحملون السلع الهندية إلى أوربا عن طريق مصر وبلاد الشام ثم يجلبون البضائع المصنوعة بأوربا إلى بلاد الهند والدول المجاورة كالصين واليابان.[٢]

راجت تجارة العرب مع الهنود رواجاً كبيرا واتسع مجالها حتى إمتدت نشاطات العرب التجارية من موانئ الخليج والسيراف والبصرة والأبله، ثم العدن وموانئ البحر الأحمر الأخرى إلى سرنديب الهند وما يجاورها من الدول وكذلك الصين.[٣]

كانـــت مكة المكرمة من أكبر سوق وكانت القوافل التجارية تصل اليها من جنوب العرب تحمل البضائع والسلع الهندية وإن أصحابها كانوا ينـــزلون بها ويسقون مـــن بئر شهيرة بها كانت تسمى ببئر زمزم ويأخذون منها حاجتهم من الماء ثم كانوا يـــتوجهون إلى الـــيمن وبلاد الشام ومصر. وأن التجار العرب كانوا يستوردون من السند الارز والثياب والنارجيل ومن المنصورة النعال والعاج والعقاقير.[٤]

كـــان العرب ينظرون التجار الهنود بعين التقدير والإحترام. وكانت المنتجات الهندية على ذروة عالية عند العرب. ذات يوم سأل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه سياحا عربيا عن الهند واستعلم رأيه عن هذه البلاد فأجابه السياح في ثلاث جمل بليغة. وقال "بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عطر"[٥]

---

[١] نفس المصدر، ص٥٧

[٢] عرب وهند كى تعلقات: السيد سليمان الندوي، ص٦

[٣] الآداب العربية في شبه القارة الهندية: د/زبيد أحمد، ص٥٠

[٤] أحسن التقاسيم-المقدسي، ص٣٢٦

[٥] عرب و هند كى تعلقات: السيد سليمان ندوي، ص٥٠

ويمكن أن يستنتج من قول السياح "بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عطر" أن التجار العرب كانوا يأخذون الدرر واللآلى والمجوهرات والبخور والتوابل وما إليها إلى بلادهـــم في القرن السادس ويوجد ذكر المسك وكافور وقرنفل وفلفل كثيرا في أشعار العرب.

ومـــن أهـــم المنتجات الهندية التي نالت قبولا واسعا فيما بين العرب من قديم الـــزمان حـــتى في العصر الجاهلي هو سيف هندي. وهو معروف عند العرب بأسماء مختلفة نحو "مهند" و"هندواني" و"هندي" وكان الشعراء العرب يفتخرون ويعتزون به وقد ذكروه في أشعارهم كثيرا. كما قال زهير بن سلمى المزنى في معلقته:

كـــالهندواني لا يخزيك مشهده وسط السيوف إذا ما تضرب اليهم

وذكر طرفة بن العبد البكرى في معلقته أيضاً. ويقول:

وظلم ذوى القربى اشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

وكذلـــك اشتهرت الرماح الهندية في العرب وكثر إستعمالها في المجتمع العربي وذكرها في أشعارهم. وقال ابو الزبيد الطائي:

مسنفات كأهن قنا الهند لطول الرجيف جدب المرود

وذكر ابو عطا السندي أيضاً الخطى في شعرها. فيقول:

ذكرتك والخطى يخطر بيننا قد نهلت منا المثقف السمر

هناك أشعار كثيرة في اللغة العربية قد ذكر فيها الشعراء الرماح الهندية ولكننى اكتفى بذكر هذين الشعرين تجنبا عن التطويل.

كـــان الـــتجار العرب يأتون إلى بلاد الهند وينـــزلون على سواحلها الجنوبية والغربـــية من أجل التجارة. وكانوا يقيمون في بقاعها لفترة. خلال إقامتهم في هذه

الأماكن إختلط التجار العرب بأهلها. فاستعاروا كثيرا من الألفاظ والأسماء للمنتجات الهـــندية. وكذلك ادخل هؤلاء التجار كلمات ومصطلحات عربية في اللغات الهندية ولا ســـيما في اللغـــات المحلية. وقد ذكر الدكتور زبيد أحمد عن هذا التبادل اللغوي بقـــدر مـــن التفصـــيل. ويقول "إن الاتصال التجاري بين البلدين أدخل كثيراً من الكـــلمات الهندية إلى اللغة العربية. فقد كانت السلع والبضائع التي يستوردها العرب مـــن الهند تتألف من العطور والتوابل والملابس. والعرب بالطبيعة إستعاروا أسماء هذه الأنواع من الهندية وذلك مثل كلمة "صندل" و"مسك" و"كافور" و"قرنفل" و"فلفل" و"زنجبـــيل" و"جائفل" و "جوز الطيب" و"نارجيل" و"جوز الهند" و"موز" و"ليمون" وتنبول".[1]

كـــلمة "صـــندل" هي كلمة سنسكريتية. أصلها "چندن". وكذلك "فلفل" و"قرنفل" كلاهما كلمتان سنسكريتيان. أصلهما پلپل وكرن پهول: أما كافور فأصلها كافور أو كبور و"نارجيل" هي كلمة هندية وأصلها "ناريل" وكانت الأقمشة الهندية أيضاً تصدر إلى بلاد اليمن والحجاز. ومن ثم دخلت الكلمات الهندية إلى العربية. نحو كـــلمة شـــاش هذه الكلمة ربما تكون مأخوذة من كلمة "شال" أو "جادر" هاتان الكلمتان كلتاهما كلمتان فارسيتان.[2]

وكذلـــك ادخلـــت الملاحة العربية حول الشاطئ الهندي الفاظا كثيرة من الهـــندية إلى مصـــطلحات الملاحـــة وكتب الجغرافيا نحو كلمة "بارجة" وجمعها

---

[1] الآداب العربية في شبه القارة الهندية: د/زبيد أحمد، ص٥٣

[2] نفس المصدر، ص٥٣

بـــوارج. ودونـــج جمعها دوانج أو دوانيج ومعناها قارب صغير أو قوارب[1] وقد ذكـــر الباحث الشهير جرجي زيدان في كتابه "آداب اللغة العربية" الفاظاً هندية الأصـــل ودخلت هذه الألفاظ في العربية ويقول إن الكلمات نحو "صبح" وضوء" و"بهـــاء" سنسكريتية الأصل. لأن مثل هذه الكلمات لا توجد في أخوات العربية الأخرى.[2]

---

[1] نفس المصدر، ص٥٣

[2] آداب اللغة العربية، المجلد الأول، جرجي زيدان، ص٤١

الفصل الثاني

الغزاة العرب في السند

قد ذكرنا آنفاً أن العلاقات التجارية بين الهند وبلاد العرب كانت قديمة جدا. وقد بدأت التجارة بينهما ما قبل التاريخ. واستمرت حتى بداية العصر الإسلامي. قبل طلـــوع الإسلام هؤلاء التجار كانوا يأتون إلى سواحل الهند الغربية والجنوبية لترويج تجـــارتهم ولكنه لما ظهر الإسلام في بلاد العرب واعتنق أهلها الإسلام وزينوا انفسهم بالشـــريعة الإسلامية وتعاليمها المشرقة تغيرت وجهات نظر هؤلاء التجار. وقد أراد هـــؤلاء التجار نشر الدين الحنيف والشريعة المطهرة من فضل تجارتهم في جميع انحاء العالم بما فيه شبه القارة الهندية فابقوا تجارتهم مع الهنود واستمرت زيارتهم إلى سواحل الهـــند مـــن أجل نشر الإسلام والعلوم الدينية والثقافة العربية في بلاد الهند و لم يألوا جهـــودا في هـــذا الهـــدف الكريم وبذلوا قصارى مجهوداتهم في تطوير الثقافة العربية والإسلامية بالإضافة إلى تبليغ الإسلام ودعوة الناس اليها.

اذا نشأت علاقة بين حكومتين أو بين دولتين أو بين منطقتين فلا تتوقف هذه العلاقات على علاقة معينة. بل تنمو وتزدهر هذه العلاقات رويدا رويدا. وقد يتسبب إلى مزيد من التطور والإزدهار فهذه العلاقات التجارية بين الهند والبلدان العربية أيضاً تســـببت إلى تطويـــر العلاقات السياسية والثقافية. فأول علاقة سياسية بين البلدين نشأت في عصر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

تولى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بزمام أمور المسلمين بعد وفاة ابي بكـــر الصديق رضي الله تعالى عنه. وذلك في سنة ١٣ الهجرية. وقد عيّن الخليفة عمر عثمان بن أبي العاص الثقفى والى البحرين وعمان في عام ١٥ الهجري. ولكن عـــثمان الثقفى أقام نفسه في عمان وأرسل أخاه حكم بن أبي العاص الثقفى إلى الـــبحرين وعينه نائبا عنه. أعدّ عثمان الثقفى جيشا كبيرا وأرسله بقيادة أخيه إلى

الهـــند عـــن طـــريق البحر. ووصل هذا الجيش ميناء "تانا" ونهبها. ورجع الجيش الإســـلامي مـــن أرض الهند بالغنائم. لما وصل هذا الجيش المظفر إلى عمان. أخبر عـــثمان الـــثقفى الخليفة عمر عن فوزه وعن الغزوة الناجحة التي قام بها أخوه في الهـــند. لما سمع عمر بن الخطاب عن ذلك طار غضبا على هذا الخبر. لأن عثمان الثقفى كان قد أرسل الجيش إلى هذه المهمة بدون إذن الخليفة فكتب عمر رضي الله تعالى عنه إليه. وقال:

"يـــا أخـــا ثقيف! إنك لم ترسل الجيش بل حملت دودا على عود وألقيتها في البحر. إني أحلف بالله أن لو أصيبوا لأخذت ثأرهم من قومك".[1]

ولكـــن عثمان بن أبي العاص الثقفى لم يبال تهديد عمر بن الخطاب رضي الله تعـــالى عنه وتجرأ على بعث الجيش الإسلامي إلى الهند من جديد. وأرسل الجيش إلى الهـــند تحـــت قيادة المغيرة بن أبي العاص الثقفى. في هذه المرة وصل الجيش الإسلامي العربي المدينة "ديبل" هزم المغيره الثقفى عدوه وفتح ميناء ديبل.[2]

وفي ذلك الحين قاد أخوه الثاني حكم بن أبي العاص الثقفى الذي كان قد فتح ميـــناء "تانـــا" جيشـــا إلى بلاد الهند. وانطلق هذه المرة إلى جنوب الهند ونزل على سواحل غجرات. وقام بغزوة ناجحة على ميناء "بروص" وفتحه.[3]

كانـــت هـــذه الهجمات أو الغزوات هجمات مؤقتة. وإنما كان غرض هذه الهجـــوم الكشـــف عن طرق بحرية تؤدى إلى بلاد الهند وجمع المعلومات القيمة عنها

---

[1] تاريخ السند: السيد ابو ظفر الندوي، دار المصنفين أعظم جره، ص٢٦

[2] عرب و هند کی تعلقات: السيد سليمان الندوي، ص١٤

[3] تاريخ السند: السيد أبو ظفر الندوي، ص٢٧

وعـــن مدنها. وقد أفادت هذه المعلومات القيمة كثيرا ولعبت دوراً فعالاً خلال فتح الســـند الذي قام به محمد بن القاسم الثقفى وهو شاب. وذلك في أوائل القرن الثامن الميلادي. وهو في عام ٧١٢ الميلادي.[١]

ويذكر أنها كانت من أغراض هذه الهجمات أيضاً دفع قطاع الطرق البحرية وهـــم كانوا يهاجمون على التجار والمسافرين الذين يسافرون إلى سيلان وبلاد الهند ويـــتاجرون مع أهلها عن طريق البحر. وكان القراصنة يغصبون بواخرهم وسفنهم ويسلبون البضائع والسلع التجارية.

وفي عصر الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه أيضاً إستمرت الفتوح الإســـلامية. في عام ٣٠ الهجري قد فتح ربيع بن زياد الحارثي مناطق السند ومكث هناك بضع سنين. وكان الإمام الحسن البصري يرافقه في تلك المهمة.[٢]

ثم تـــولى علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه بزمام أمور المؤمنين في يده في ســـنة ٣٥ الهجرية. أعدّ سيدنا علي رضي الله عنه جيشا كبيراً. فيه الحارث بن مـــرة العـــبدي وعـــين ثاغر بن دعورا قائد الجيش الإسلامي وأرسله إلى الثغور الشرقية في عام ٣٨ للهجرة. وفتح ثاغر المناطق الصغيرة فلما وصل الجيش إلى ممر قـــيقان جـــرت معـــارك عنيفة بين أهالي قيقان والجيش الإسلامي لأن أكثر من عشـــرين الف قيقاني كانوا قد سدوا جميع الممرات أمام المسلمين. ولكن المسلمين لم يفـــزعوا و لم تضعف همتهم. وهتفوا الهتاف بالتكبير عند نشوب الحرب والقوا الرعـــب في قلـــوب الأعـــداء مـــن أصوات التكبير حتى تفرقوا. واحرز الجيش

---

[١] نفس المصدر، ص٢٧

[٢] فتوح البلدان: أحمد بن يحي البلاذري، ص٦٠٧

الإسلامي انتصارا كبيرا.[1]

بعـــد ذلك نشأت الدولة الأموية في عام ٤١ الهجري وكان الأمير معاوية بـــن يزيد أول خليفة لها. سيّر معاوية الجيش الإسلامي إلى بلاد الهند وكان ذلك في عام ٤٤هـ وعين الخليفة مهلب بن أبي صفرة الأزدى قائد الجيش. توجه مهلب الأزدى إلى الســـند ودخـــلها عـــن طريق مضيق خيبر وغزاها. بعد أربع سنوات انطلـــق سنان بن سلمى الهزلى إلى مكران وفتحها ثم غزا قيقان في عام ٥٠هـ حتى فتحها أيضاً.[2]

ثم إعتـــلى العـــرش عبد الملك بن مروان في سنة ٦٥ الهجرية وكان انهمك في القضاء على الحرب الأهلية وإحلال الأمن في دولته إلى حد أنه لم يتدخل في الشئون الخارجـــية ويمكن القول إن هذه الهجمات أو الغزوات لم تكن مثمرة إلى حد كبير. و لم تقم أية دولة عربية مستقله في هذه المناطق خلال فترة طويلة.

كـــان عصر وليد بن عبد الملك. عين الوليد الحجاج بن يوسف الثقفى واليا عـــلى العـــراق وإيران ومكران وبلوجستان. وهو أول من خطر بباله إلحاق السند بالدولـــة الإســـلامية. وأرسل بعض قواته لتطبيق مشروعه ولكنه لم يحظ أحد منهم بـــالفوز والنجاح وفشلوا في مهماتهم العسكرية في هذه المنطقة. في أثناء ذلك حدثت حادثة أدت إلى شن الغارة على هذه المناطق. هي أن بعض الثوار العرب الذين كانوا قـــد لجـــأوا إلى ملك السند قتلوا سعيد بن أسلم زراعة الكلابي الذي عينه الحجاج يوسف الثقفى نائبا عنه في مكران. فلما وصل سعيد الكلابي إلى مكران قتل صفوى

---

[1] تاريخ سندھ: ابو ظفر الندوي، ص٣٣

[2] عرب وهند کی تعلقات: سيد سليمان الندوي، ص١٤، أيضاً تاريخ سندھ، ص٣٦

بـــن الـــلام الحمامى من أجل جريمة إجتراها. وكان صفوى من العلافيين فصار أهل قبيلـــته عدوا لـــه وأضمروا البغض والعداء وترصدوا لـــه. عندما خرج من مكران فقتلوه[1] فلما بلغ هذا الخبر إلى الحجاج طار غضبا. واعتقل سليمان سيد تلك القبيلة الـــذي كـــان موجودا في ذلك الحين في بلاد العرب وقتله. ثم أرسل مجاعة بن سحر التمـــيمي إلى مكـــران لإخماد الفتنة وتهدئة الأوضاع الساخنة. لما وصل التميمي إلى مكران إنه تغلّب على الأوضاع وأخمد الفتن. وفتح مناطق عدة. لكنه من الأسف أنه تـــوفى بعد سنة في عام ٧٦ الهجري. ثم أرسل الحجاج الثقفى محمد بن هارون ذراع الـــنميري إلى مكـــران وأكّد لـــه أن يبيد العلافيين كيفما يمكن. ويستأصل جذور الفتنة. وقد ساس الأمور بلباقة حتى عام ٩١هـ.

ثم حدثـــت حادثة أخرى أجبرت العرب على شن الحرب وحثتهم على فتح السند وهي-كما نعرف- أن المسلمين كانوا يتاجرون مع أهل الهند من قديم الزمان. ويســـافرون إلى بـــلاد الهند والسند والصين وسيلان وغيرها بسبب تجارتهم. كانت جماعة من التجار العرب تسكن في جزيرة سيلان مع أسرتها. إتفق أنه توفى تاجر من جماعة التجار. فاراد ملكها التقرب إلى الحجاج. فأركب هذا الملك أرملة ذلك التاجر وأبـــناءه مع الآخرين في سفينة وأرسلها مع الهدايا إلى بيوتهم. لما وصلت الباخرة عند ميـــناء "الديبل" نهب قوم من ميد الديبل المسافرين وغصبوا السفينة بما فيها من سلع. فنادت إمرأة منهن وكانت من بنى يربوع: يا حجاج! بلغت هذه النداء إلى الحجاج. فقـــال: يـــا لبيك! أصابه مكروه من هذه الحادثة وشمر عن ساقيه للغزو على السند ولكـــنه لا يمكنه أن يقوم بهذه المهمة العظيمة بدون إذن الخليفة. فكتب إليه مستأذنا

[1] تاريخ سندھ: ص٣٦، أيضاً نزهة الخواطر، ج١، ص٩

بالغـــزو عـــلى السند ولكنه رفض و لم يقبل طلبه. كتب مرة أخرى إلى الخليفة وقال أظن "أن الخليفة لم يأذن لى بالغزو على السند من أجل نفقات كثيرة. ولكننى أضمن لـــــه أن أردّ إلى بيت المال نظير ما انفقت في الغزوة."[1]فلما أعطى الحجاج الضمان سمح لـــه الخليفة بالغزو على بلاد السند.

كتـــب الحجاج بن يوسف الثقفى رسالة إلى ملك السند داهر وسأله إطلاق ســـراحهن. فأجاب داهر قائلا "إنما أخذهن القراصنة. أنا لا أقدر عليهم."[2] فلما سمع الحجـــاج هذا الجواب غضب. وأرسل على توه جيشا بقيادة عبيد الله بن نبهان إلى الديبل. كان عبد الله جريئا وشجاعاً، قاتل مع الأعداء بأرض السند حتى استشهد في تلـــك الغزوة. فلما سمع الحجاج عن ذلك أمر بديل بن طهفة البجلى الذي كان في ذلك الحين بعمان بالذهاب إلى السند وقيادة الجيش الإسلامي في بلاد السند. وكتب إلى والى مكـــران محمـــد بـــن هارون أن يعد جيشا يشتمل على ثلاثة آلاف جندى ويقـــاتل هـــذا الجيش مع الجيش السندى تحت قيادة بديل البجلى. توجه البجلى إلى السند وبلغ مكران عن طريق إيران برا وأخذ الجيش الذي أعده محمد بن هارون سار إلى الديبل مع العسكر الجرار ودارت رحى الحرب بينهما وأغار بعضهما على بعض بكـــل ما كان لهما من عدة وقوة كانت الحرب على عنفوانها إذ تنفر فرسه وتدحرج من السرج إلى الأرض. إغتنم الأعداء هذه الفرصة الذهبية وأحاطوا به وقتلوه. ويذكر أنه قتله قوم من الزط. وهم من تبع البدهة.[3]

---

[1] تاريخ سندھ: ابو ظفر الندوي، ص٤٢، أيضاً تاريخ اليعقوبي: أحمد بن ابي يعقوب، ص٢٨٩

[2] نزهة الخواطر: ج١، ص٨

[3] تاريخ سندھ: ابو ظفر الندوي، ص٤٣

كـــان الجـــيش الإسلامي قد لقى هزيمتين متواصلتين بأرض السند. وفي تلك الأيام قتل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندى جزاء بما قام بثورة على الحجاج بـــن يوسف الثقفى. وقتل معه عدد من أصحابه. فر عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي متوجها إلى بلاد السند ولجأ فيها. فادرك الحجاج الثقفى أن أرض بلاد السند هي منبع الشر والفساد. أولا: كان القراصنة يثيرون قلقا للمســـافرين في تلك المنطقة وهم يغصبون سفن التجار وامتعتهم. ثانيا: كان الثوار والعصـــاة يفرون إلى تلك البقعة ويلجأون إلى حاكمها. كما فعل محمد العلافى وعبد الـــرحمن بن العباس القرشي. رأي الحجاج أن هذه القضية تتطلب حلا مستقلاً. فكر حول هذه الأزمة الكبرى وأعد جيشا كبيرا واختار إبن عمه محمد بن القاسم الثقفى لقـــيادة هـــذا الجيش القوى. عندما إختاره الحجاج لهذه المهمة الجبارة كان محمد في ذلك الحين بشيراز في أرض فارس. وكان قد أمره بأن يرتحل نحو "الرى" وكان على وشـــك الخروج منها اذ تسلم أوامر من الحجاج قال فيها أن يلغى سفره إلى الرى. وبدلا من الذهاب اليها عليه أن يتوجه إلى بلاد السند وأن ينتظر الجيش الذي أرسله إليك.[1]

أقـــام محمد بن القاسم في شيراز لستة أشهر. فلما وصله أبو الأسود جهم بن زحـــر الجعفى بستة آلاف من جند أهل الشام. سار محمد الثقفى مح الجيش إلى بلاد السند كان الحجاج قد جهزه بكل ما احتاج إليه من مؤونة ويقال إن الخيوط والإبر كانت موجودة فيها.[2]

---

[1] نفس المصدر، ص٤٤

[2] فتوح البلدان: احمد بن يحي البلاذري، ص٤٣٦

عـــلم الحجـــاج أن السند أرض يقل الخل فيها ويمكن أن تثير هذه القلة قلقا ويتســـبب إلى تضايق فيما بين الجنود فعمد الحجاج إلى القطن المحلوج ونقع في خل الخمـــر الحادق ثم جفف في الظل وأرسل هذا الخل المجفف إلى الجنود في السند وقال لهم اذا اشتهيتم الخل فانقعوا هذا القطن الجاف في الماء ثم اطبخوا واصطبغوا[1]

عـــندما خرج محمد بن القاسم من شيراز مع جيش أبي الأسود الجعفى أتي إلى مكران من هنا توجه إلى قنـــزبور. غزا عليها وفتحها. ثم انطلق إلى ارمائيل وفتحها. ومن ارمائيل سار إلى الديبل. في تلك الأيام كانت مدينة الديبل تعتبر من إحدى المدن الكـــبرى. كانت فيها ميناء قديمة تقف بها البواخر والسفن التجارية القادمة من إيران والعراق وافريقيا وبلاد العرب الأخرى. وصل محمد الثقفى الديبل يوم الجمعة في سنة ٩٢ الهجرية. رأي أهلها أن يقاتلوا العرب متحصنين في قلعتهم. فأحاط المسلمون بها. واتفـــق أن وصـــلت السفينة المحملة بالمعدات والأدوات العسكرية التي أرسلت من شـــيراز. حاصر محمد بن القاسم وجيشه المدينة كلها. ونصب المنجنيق، حفر خندق للحماية عن هجمات مفاجئة من قبل الأعداء. بدأت الحرب وطالت. فتشاور محمد بـــن القاسم مع الحجاج الثقفى وأخبره عن الحرب بقدر من التفصيل. كتب الحجاج إلى إبن عمه أن ينصب المنجنيق "المسمى بـــ "العروس" محولا وجهه إلى الشرق وأن يأمـــر الـــرامى برمى الحجارة إلى قبة معبد "ديول"[2] فعل محمد بن القاسم ذلك حتى تكسرت القبة واشتدت طيرة الكفر من ذلك ويئس أهلها حتى خرجوا للمحاربة مع الجـــيش العـــربي. والعرب كانوا في انتظار هذه الفرصة النادرة فدارت بينهما حرب

---

[1] نزهة الخواطر: ج١، ص١٠

[2] فتوح البلدان: البلاذري، ص٤٣٧

دامية حتى هزم العرب أهل السند. وفر أهل الديبل إلى المدينة ولجأوا بها. دخل محمد بن القاسم وجيشه المدينة وقتلوا عددا كبيرا من أهاليها وفتحها[1] بعد ثلاثة أيام ساد الأمن على المدينة. أول عمل قام به المسلمون في هذه الأرض هو أنهم أسسوا مسجدا وشيدوا أربعة آلاف بيت للمسلمين.

بعد ما تم فتح الديبل انطلق محمد بن القاسم إلى النيرون وهي تقع على بعد ٧٥ كيلومترا من الديبل. كان أميرها بوذيا. سبق له أن تم عقد الاتفاق بينه وبين الحجاج الثقفى على عدم المحاربة. لما بلغ محمد بن القاسم إليها رحبه الأمير بكل حفاوة. وأكد له من الوفاء والإخلاص والإطاعة من قبله. وكذلك إهتم بتوفير المؤونة خلال الحروب ووعد بتقديم كل نوع من المساعدة. أقام بها محمد مسجدا وعين إماما وأمره بأن يقيم الصلوات الخمس كل يوم بالمواظبة.[2]

كان الجيش الإسلامي يحرز انتصارا كبيرا واحدا بعد آخر. في بعض الأحيان فتح محمد مدينة أو منطقة بدون أي قتال أو مقاومة من قبل أهلها. لأن أهلها آثروا وفضلوا السلم على الحرب وخضعوا له. يقول السيد عبد الحي الحسني "وجعل محمد لا يمر بمدينة إلا فتحها حتى عبّر نهرا دون مهران فصالحه أهلها ووظف عليهم الخراج وسار إلى سهبان وفتحها.[3]

كان محمد بن القاسم على وشك الخروج والتقدم إلى الأمام اذ تسلّم رسالة من الحجاج بن يوسف. وقال له أن يرجع إلى النيرون ويقابل داهرا بها. وكتب اليه

---

[1] تاريخ سندھ: ظفر الندوي، ص٤٩

[2] نفس المصدر، ص٥٠

[3] نزهة الخواطر: ج١، ص١٠

ناصـــحاً: "توكـــل دائمـــا على الله. وارج الله النصرة عزز شئون المدن ونسق أمور الحصون التي تفتها بالمتانة كى لا يقدر الأعداء ازعاجكم والإساءة اليكم".[1]

رجـــع محمد بن القاسم إلى النيرون وأخبره عن الأحوال والأوضاع والظروف السياسية السائدة في تلك المنطقة. توجه إلى الملك داهر وقابل عددا من الجيوش المحلية حتى هزمها وأعطى الأمان من طلب ذلك منه.

أخـــذ محمـــد بن القاسم الإجراءات اللازمة كي لا يغزو عليه الأعداء بغتة. وكذلـــك سد الطرق ذات الأهمية لأعداء. وأرسل سليمان بن نبهان القريشي بست مائـــة جندي كي يكف إبن داهر من لقاء أبيه. وعين عطية الطفلى على منع حليف لداهـــر كان إسمه "آكهم" وأرسل كتيبة إلى جزيرة "بيت" وكانت مهام هذه الكتيبة أن تصد الأعداء عن عبور هذه الجزيرة.

عـــندما انـــتهى من هذه الأعمال الهامة فكر في أنه كيف يعبر نهر السند. واتفقوا على اعداد سفن تستخدم لعبور النهر. فلما كانت السفن جاهزة أقيمت بانـــتظام في طول النهر وشد بعضها من بعض. في مؤخر الليل القيت هذه السفن إلى عـــرض النهر حتى أوصل تيار الماء الطرف الثاني من السفن إلى الضفة الثانية. وعـــبر المسلمون النهر. لما رأي جيش "راسل" أن المسلمين قد عبروا النهر هاجم عليهم ولكن المسلمين لم يفزعوا بل دافعوا عنه بكل قوة حتى تغلبوا على أعداءهم. ولاذ جيش راسل بالفرار ولجأ إلى الحصن. لما بلغ هذا الخبر إلى الملك داهر أرسل جيشا بعد جيش للدفاع ولكن الأعداء لم يستطيعوا أن يقاوموا هجمات المسلمين

[1] تاريخ سندھ: ص٥٧

Jawaharlal Nehru University Library
TH. 12349

ولقوا شر هزيمة.[1]

بعـــد ذلـــك توجه محمد بن قاسم إلى العسكر السندي وأقام على بعد الميلين والنصـــف. بدأت الحرب بينهما في اليوم الواحد من شهر رمضان سنة ٩٢ الهجرية واستمرت لتسعة أيام بدون أية نتيجة.

بـــدأت الحرب من جديد في اليوم العاشر من شهر رمضان. شهد داهر وإبنه الحـــرب في ذلك اليوم العظيم. كان في جيشه جنود من الزط والتكاكرة. وكان في الجيش الإسلامي حنظلة الكلابي وذكوان بن علوان البكرى وأبو صابر الهمداني وزياد الأزدى وهذيـــل بن سليمان وخريم بن العروة المدنى وغيرهم. القي قائد الجيش محمد بـــن القاسم خطبة أمام الجيش وحثه على القتال مع الأعداء بكل شوق ورغبة. وقال إنكـــم في غربة وتهيأ الأعداء على المحاربة معكم وليس هنا أحد يساعدكم فعليكم أن لا تتوكلوا إلا على الله وهو خير المعين. ويؤدى كل منكم واجباته ومسئولياته خلال الحرب بخير.[2]

بـــدأت الحرب وأرسل الملك داهر جيشه واحدا بعد آخر لشن الغارة على الجـــيش العـــربي. قابله أبو الفضة القشيري. ودافع هجوم الأعداء بقوة إلى أن لم تثبـــت أقدامهم وفروا عن ساحة الحرب. وفي غضون ذلك علم الجيش العربي أن الأعـــداء لم يـــتخذوا إجراءات كافية في خلفهم وهم مطمئنون عن ذلك. انتهز الجـــيش هـــذه الفرصـــة الذهبية وهاجم عليهم من خلفهم. وخاض الجيشان في معـــركة عنـــيفة. وصل شجاع الحبشى إلى داهر وجرح فيله. ولكن داهر رماه

---

[1] انظر: للتفصيل تاريخ سنده: ص٦٦-٦٧

[2] تاريخ سنده: ص٧٢

بسهم حتى استشهد.

كانت الحرب الدامية مستمرة حتى المساء. ورأي داهر أن عددا كبيرا من جنوده قد قتل في هذه المعركة. اشتعلت نار الغيرة والحمية فيه حتى ترجل وقاتل قتالا شديداً. ولكنه قتل عند المساء. انهزم اهل السند بقتله. من قتل داهر؟ هذا سؤال ولكن المدائنى ذكر أن رجلا من بنى كلاب قد قتله. وهو يفتخر قائلاً:

الخيل تشهد يوم داهر والقنا ومحمد بن القاسم بن محمد

أنى فرحت الجمع غير معرد حتى علوت عظيمهم بمهند

فتركته تحت العجاج مجدلا متعفر الخدين غير موسد[1]

بعد مقتل الملك داهر توجه ابنه "جى سنغ" إلى "راور" واشتغل في إعداد جيش كبير فلما علم محمد بن القاسم عن ذلك سار اليها وفتحها. خرج محمد من هنا متوجها إلى "برهمنا باد" وقاتل أهلها قتالا شديدا واستمرت الحرب إلى ستة أشهر وفي نهاية الأمر فتحها. من برهمنا باد خرج الجيش الإسلامي وقصد إلى مدينة الرور. لما وصل العسكر الإسلامي اليها أرسل أهل المدينة وفدا إلى محمد بن قاسم ملتمسا منه الأمان. وأعربوا عن الرضى لطاعته. فقال القائد إننا نعطيكم الأمان شريطة أن توقفوا الحرب وانزلوا من السور فلما سمعوا ذلك نزلوا وقاموا على الباب وتقدم اليها بعض من القواد العرب وفتحوها.[2] وفي تاريخ اليعقوبي انه لما بلغ الجيش الإسلامي إلى المدينة كان أهلها لا يعلمون عن مقتل داهر فاستعدوا للقتال مع المسلمين. أرسل محمد بن القاسم أرملة داهر اليهم لتخبرهم عن مقتله. لم يكادوا يروها حتى أيقنوا

---

[1] فتوح البلدان: البلاذري، ص٤٣٥

[2] تاريخ سندھ: ص١٠٣

بقتله وخلوا السبيل للمسلمين. ويقول اليعقوبي "مضى في بلاد السند ففتح بلداً بلداً. ومدينة مدينة حتى اتوا الرور وهي من أعظم مدائن السند فحاصرهم حصارا شديدا. وهم لا يعلمون أن داهر قد قتل. فلما أملهم بعث إليهم محمد بن القاسم بامرأة داهر فقالت لهم: إن الملك قد قتل، فاطبلوا الأمان فطلبوه ونزلوا على حكم محمد وفتحوا لـــه باب المدينة فدخلها ثم استخلف فيها ومضى يقطع البلاد."[1]

ويقـــول البلاذري: إنهم رفضوا نداءات الجيش العربي بالاستسلام حتى أخرج محمـــد إحدى زوجات الملك داهر التي كانت أسيرة فأخبرتهم بمقتل ملكهم، وبذلك انهـــارت روح المدافعـــين المعنوية فاستسلموا ودخل الجيش العربي في عاصمة السند، وبنوا فيها مسجدا.[2]

وبعد فتح "ألور" نجد أن الجيش العربي يسير إلى أقصى شمال وادي السند حتى انـــتهى مســـيره إلى ملتان،[3] و ذكر البلاذري أن محمد بن القاسم فتح في طريقة إلى ملـــتان مديـــنة "السكة" ووصفها بأنها كانت مدينة دون نهربياس، وقرر ملك ملتان "راجـــا كندا" (Raja Kunda) أن يحارب المسلمين اتكالا على حصانة المدينة، واعتمادا عـــلى المساعدات العسكرية التي طلبها من ملك كشمير ضد اعداء جاءوا من خارج البلاد.

ولكـــن خـــاب أمله اذ لم تصله المساعدات التي وعد بها ملك كشمير، فقرر

---

[1] تاريخ اليعقوبي: ص٢٨٩

[2] فتوح البلدان: البلاذري، ص٤٢٦-٤٢٧

[3] انظر: فتوح البلدان، ٤٧٢، وهو نهربياس وليس بياس، وإن الموقع الذي ذكره البلاذري لمدينة "السكة" يـــرجع أنها كانت قريبة من مدينة اوتش (Uch) المعروفة في ولاية بنجاب الباكستانية، انظر: The Oxford School Atlas, (Delhi: Oxford Univesity Press ١٩٩٠) p. ١٧

ملـــك ملـــتان أن يمكث في داخل معقله الحصين وبدأ يخزن في القلعة كل ما تدعو الحاجة إليه، وما يستطيع به مقاومة الحصار مهما طال.

نجـــح الملك في خطته و لم يستطع الجيش العربي فتح القلعة لفترة طويلة ولقى متاعب كثيرة بسبب قلة المؤونة حتى اضطر المسلمون إلى أكل الحمير.[١]

وبيـــنما كان المسلمون ضاربين حصارها اذ جاء رجل من المدينة مستأمنا إلى القائد العربي وأخبره بمواقع الضعف في أسوار القلعة، ولكن البلاذري يقول: "إن ذلك الـــرجل المستأمن دل المسلمين على مجرى الماء الذي كان يدخل المدينة فيشرب منه أهلها، وهناك سدَّ المسلمون ذلك المجرى فاضطر أهل المدينة إلى الاستسلام.[٢]

وكذلـــك فتح الجيش العربي بعض المناطق من ولايتي ججرات وراجستهان، وهما تقعان في الاتحاد الهندي حاليا.

يقول البلاذري: بأن محمد بن القاسم "... وجه إلى بيلمان جيشا فلم يقاتلوا، وأعطـــوا الطاعـــة وسالمه أهل "سرست" وهي مغزى أهل البصرة اليوم وأهلها الميد الذين كانوا يقطعون البحر".[٣]

ويـــبدو مـــن هذا البيان أن محمد بن القاسم كان يريد فتح الهند لأن البعثات العســـكرية الـــتي كانت بمثابة حملات استطلاعية وتمهيدية أرسلها كلها إلى المناطق الهـــندية، وكـــان قد تراجع عن التوغل في المناطق الشمالية نحو الصين نظرا لوعورة الطرق ورداءة الطقس[٤].

---

[١] فتوح البلدان: البلاذري، ص٤٢٧

[٢] نفس المصدر، ص٤٢٧

[٣] نفس المصدر، ص٤٢٧

[٤] فصول في التعريف الهند العربية الإسلامية: عليم اشرف الجائسي، ص١٤٦

ومما يؤيد هذه الفكرة ما ذكره الساداتي من أن محمد بن القاسم استاذن الحجاج في فتح إمارة قنوج، فأذن له بذلك وشجعه على تنفيذ خطته[1] ولكن قدر الله وماشاء فعل.

وبينما كان الفاتح العربي يواصل فتوحاته المادية والمعنوية اذ توفى الحجاج بن يوسف الثقفى و تولى سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م) الخلافة الأموية، فعزل جميع العمال والولاة الذين ولاهم الوليد بن عبد الملك. فعين يزيد بن أبي كبشة السكسكى والى السند. وأمر بالقبض علي محمد بن قاسم، وإرساله إلى العراق مكبلا في الأغلال، فنفذ أمره وزُجّ به في غياهب السجن بواسط ولقى تعذيبا وتنكيلا متنوعا بها حتى مات، ولقد صدق حين تمثل بقول الشاعر:

أضاعونى واي فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر[2]

---

[1] تاريخ الهند في شبه القارة الهندية الباكستانية، ١: ٦٠

[2] فتوح البلدان: البلاذري، ص٤٢٧

الفصل الثالث

العلماء والمحدثون في السند وغجرات

كان شبه القارة الهندية على اتصال تجارى مستمر بالبلاد العربية حتى في زمن ما قبل التاريخ. واتصل بها سياسيا في أواخر القرن الأول للهجرة ولا سيما بعد غزوة محمد بن القاسم الثقفى على السند في عام ٩٢ الهجري. وذلك في عصر وليد بن عبد الملك. فلما توفى الوليد وولى سليمان بن عبد الملك أمور المسلمين عزل محمد الثقفى عن ولاية السند وتم حبسه في سجن بواسط حتى قتل بها.

قد شارك كثير من الصحابة والتابعين عدة غزوات في الهند. منهم عبد الرحمن بن العباس الهاشمي القرشى والتابعى وكهمس بن الحسن القيسى التابعى. حضر كهمس غزوات السند تحت قيادة محمد بن القاسم الثقفى، وابو قيس زياد بن رباح القيسى البصرى التابعي، وموسى بن سنان بن سلمى الهزلى. شهد الهزلى فتح الملتان. روى كهمس القيسى عن ابن طفيل وروى عنه ابنه عون وابن المبارك. وكان موسى الهزلى يروى عن ابن عباس ويروى عنه ابناه مثنى وقتادة. وقد روى ابو قيس عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وروى عنه الحسن البصري.

بعد ذلك تتابع عدد كبير من الولاة إلى السند. منهم يزيد بن أبي كبشه السكسكى وحبيب بن المهلب العتكى وحكم بن عوانة الكلبى وعمر بن حفص العتكى واسرائيل بن موسى وعمرو بن مسلم الباهلى وليث بن طريف الكوفى وغيرهم.

١- يزيد بن أبي كبشة: هو يزيد بن أبي كشبة السكسكى الدمشقي. كان من قواد الدولة الأموية. فلما توفى الوليد بن عبد الملك ولاه سليمان بن عبد الملك على السند. وقد القى القبض على محمد بن القاسم الثقفى وحمله من السند إلى

العـــراق مقيدا مع معاوية بن المهلب. توفى السكسكى بعد وصوله إلى السند بثمانية عشـــر يوما في سنة ٩٦ الهجرية[١]. روى يزيد عن أبيه ومروان بن الحكم. وروى عنه ابو بشر وغيره.[٢]

٢- عمر بن مسلم الباهلى: ولاه الخليفة عمر بن عبد العزيز على بلاد السند والهـــند في ســـنة ١٠٠ الهجـــرية. وأمره بأن يدعوا الملوك وعامة الناس إلى الإسلام والطاعة. فأدى عمر الباهلى واجباته بطريقة حسنى. وكتب إلى الملوك ورعيتهم داعيا إلى الإســـلام. فاعتنق كثير من الملوك والناس الإسلام بمن فيهم "جى سنغ"[٣] وكذلك أدت مساعيه ومجهوداته إلى تطور اللغة وازدهارها بصفتها لغة القرآن والسنة. وكان راويا للحديث وقد روى عمر الباهلى عن يعلى بن عبيد وروى عنه ابو طاهر.[٤]

حكم المسلمون على بلاد السند نحو ثلاثة مائة عام. فلما استقر الحكم العربي بها في نهاية القرن الأول زارها كثير من العلماء والفقهاء والقضاة والمحدثين والشعراء. واخـــتلط بعضهم من بعض. وظهر في السند عدد كبير من العلماء كان بعضهم قد أتـــى مـــن البلدان العربية واذ كان بعضهم من ولدوا بأرض السند ونشأوا بها منهم الإسلامي الديبلى.

الإسلامي الديبلى: هو أول من علماء السند. كان من سكان الديبل. اعتنق الإســـلام في عصر محمد بن القاسم الثقفى. أرسله محمد الثقفى سفيرا إلى داهر ملك السند. فأحسن السفارة وكلمه بجراءة وبسالة. مع أن الإسلامي الديبلى لم يستطع أن

---

[١] نزهة الخواطر، الجزء الأول: السيد عبد الحئ الحسني، ص١٤

[٢] فصول في التعريف بالهند العربية الإسلامية: سيد عليم اشرف الجائسي، ص٢٠٣

[٣] نزهة الخوالطر الجزء الأول: السيد عبد الحئ الحسني، ص٣٠

[٤] فصول في التعريف بالهند العربية الإسلامية: سيد عليم اشرف الجائسي، ص٢٠٣

يقـــنعه على المسالمة ولكنه عبر لـــه عن ميزات الإسلام وتحدث عنده بكلمات اظهر بها محاسن الإسلام.[1]

ومـــن القضاة الذين نزلوا على السند هم حكيم بن جبلة العبدى وسعيد بن أســـلم الكـــلابى ومجاعة بن سعر التميمى ومحمد هارون النميرى وعمر بن عبد الله التميمى والفقيه موسى بن يعقوب الثقفى.

موســـى بن يعقوب الثقفى: ولد في البلاد العربية لكنه قضى معظم حياته في أرض الســـند. كان فقيها وعالما كبيرا. ولاه محمد بن القاسم الثقفى القضاء والخطابة بالـــرور الـــتي تعرف حاليا بمدينة "الور" كان رئيس القضاة بالسند. وتداول أولاده القضـــاء بهـــا إلى عدة قرون حتى إلى عصر شمس الدين ايلتمش. وكان الفقيه كمال الدين إسماعيل بن علي بن محمد الثقفى قاضيا بالرور في عام ٦١٣الهجري. ويذكر أنه تم كتابة "صص نامه" على أيدي أحد من أسلافه.[2]

ومـــن المحدثين الذين وردوا إلى بلاد السند أو نشأوا بها: هم فتح بن عبد الله السندي والربيع بن صبيح السعدى ونجيح بن عبد الرحمن السندى ومحمد بن ابراهيم الديبلى ومحمد بن محمد الديبلى، وأحمد بن عبد الله الديبلى وشعيب بن محمد الديبلى وخلـــف بـــن محمـــد الديبلى وابراهيم بن محمد بن ابراهيم الديبلى ابراهيم بن على السندى وغيرهم.

فتح بن عبد الله السندى: هو ابو نصر فتح بن عبد الله السندي. كان فقيها

---

[1] رجال السند والهند: القاضي اطهر المباركفوري، ص٧٩

[2] تـــاريخ السند: ابـــو ظفر الندوي، ص٣٦٩ أيضاً نزهة الخواطر السيد عبد الحئ الحسني، الجزء الأول، ص٣٥

متكـــلما. كان مولى لآل الحكم بن الحسن ثم عتق وقرأ الفقه والكلام على أبي علي محمد بن عبد الوهاب الثقفى وروى عن الحسن بن سفيان وغيره.[١]

الربـــيع بـــين صبيح السعدى: هو الشيخ المحدث ابو بكر الربيع بن صبيح السعدى البصري. ويكنى ابو حفص أيضاً. كان صالحا صدوقا، عابدا ومجاهدا. روى عن أبي سعيد الحسن بن بشار البصري وأبي محمد عطاء بن ابي رباح المكي وعنه ابو عبد الله سفيان بن السعيد الثورى. ووكيع وابن مهدي. حينما اشتكى بعض التجار العـــرب عـــن مفاسد وفتن أهل غجرات أرسل الخليفة المهدي كتيبة تحت قيادة عبد الملـــك بن شهاب المسمعى. وكان في الكتيبة العربية مطوعين من أهل البصرة. كان الســـعدى ضـــابطا على كتيبة المطوعين. وكان ذلك في سنة ١٦٠ الهجرية.[٢] وقال رحمـــن عـــلى في كـــتابه "تذكـــره عـــلماء هند": "يقال إنه أول فيما بين الكتاب المســـلمين".[٣] وقال صاحب كشف الظنون: هو أول مسلم صنف كتبا وقسمها إلى أبـــواب وفصول.[٤] ويذكر أن هناك إختلاف فيمن هو أول من صنف الكتاب. قال الجلـــبى في كشف الظنون بعد ذكره فيمن صنف اولا في الإسلام: اعلم أنه اختلف فـــيمن صنف أولا. فقيل: أول من صنف الإمام عبد الملك بن عبد العزيز البصرى، وقـــيل: ابو النصر سعيد بن ابي عروبة وذكرهما الخطيب البغدادي، وقيل: الربيع بن صبيح-قال ابومحمد الرامهرمزى. ثم سفيان عيينة ثم صنف المالك بن أنس بالمدينة ثم

---

[١] نزهة الخواطر: ج١، ص١٠٤، أيضاً رجال السند والهند، ص١٩١

[٢] تاريخ السند: ابو ظفر، ص١٦١

[٣] تذكره علماء هند. رحمن علي، ص٣. نقلا عن Lucknow: A Centre of Arabic and Islamic Studies during the ١٩th Century, Prof. F.U. Farooqi, p. ٢٥

[٤] Lucknow: A Centre of Arabic and Islamic Studies during the ١٩th Century, Prof. F.U. Farooqi, p. ٢٥

عبد الله بن وهب بمصر.[1] توفى الربيع بن صبيح السعدى بأرض السند في سنة ١٦٠ الهجرية.

نجـــيح بن عبد الرحمن السندي: هو ابو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني. سمع محمد بن كعب القرطبى ونافعا مولى بن عمر وهشام بن عروة وروى عنه ابـــنه محمد ويزيد بن هارون وابن عمر الواقدى. قال ابو نعيم: كان ابو معشر سنديا وكـــان رجلا الكن. يقول حدثنا محمد بن قعب-وهو يريد-ابن كعب-كان الخليفة المهـــدى قد أتى به من المدينة المنورة إلى بغداد فلم يزل بها حتى مات في سنة ١٧٠ الهجرية، وصلى عليه هارون الرشيد.[2]

كـــان ابـــو معشر السندي من أعلم الناس بالمغازى. عن الفضل بن هارون الـــبغدادي قال سمعت محمد بن أبي معشر يقول: كان أبي سنديا أخرم خياطا. قالوا كـــيف حفـــظ المغازى؟ قال: كان التابعون يجلسون إلى استاذه. فكانوا يتذاكرون المغازى فحفظ.[3] وقال الذهبي في التذكرة: هو نجيح بن عبد الرحمن كاتب إمرأة من بـــنى مخزوم فأدى اليها فاشترت أم موسى بنت منصور ولائه. وكان من أوعية العلم عـــلى نقـــص في حفظه وروى عن محمد بن كعب القرطبى وموسى بن بشار ونافع، وابـــن المنكدر ومحمد بن قيس وطائفة وحدث عنه إبنه محمد وعبد الرزاق وابو نعيم ومحمـــد بن بكار ومنصور بن أبي مزاحم. وقال أحمد بن حنبل كان بصيرا بالمغازى

---

[1] نزهو الخواطر، ج١، ص٢٥، أيضاً سبحة المرجان في آثار هندوستان: السيد غلام علي آزاد البلكرامي، ص٦٤-٦٥

[2] نزهة الخواطر: عبد الحئي الحسني، ج١، ص٣٥

[3] رجال السند والهند: القاضي اطهر المباركفوري، ص٢٥٥

صدوقا وكان لا يقيم الإسناد.[1]

محمد بن ابراهيم الديبلى: هو محمد ابراهيم عبد الله الديبلى يكنى بأبي جعفر. كان محمد الديبلى من سكان مكة. يروى كتاب التفسير لابن عينية عن أبي عبد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومى. وكتاب البر والصلة لابن المبارك عن أبي عبد الله الحسين بن الحسن المروزى عنه. وحدث عن عبد الحميد بن صبيح وروى عنه ابو الحسن احمد بن ابراهيم بن فراس المكي وابو بكر محمد بن ابراهيم بن علي بن المقرى.[2]

ومن علماء السند أيضاً أحمد بن عبد الله الزاهد بن سعيد ابو العباس الديبلى ثم النيسابوري. كان أحمد الديبلى من الغرباء والرحالة المتقدمين في طلب العلم ومن الفقراء الزهاد العباد. وقد أقام بنيسابور في أيام أبي بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة سمع بالبصرة أبا خليفة القاضي وببغداد جعفر بن محمد الفريابى، وبمكة المفضل بن محمد الجندى ومحمد بن ابراهيم الديبلى وبمصر على بن عبد الرحمن ومحمد بن زيان وبدمشق أبا الحسن أحمد بن عمير ابن جوصا وببيروت أبا عبد الرحمن مكحولا وبتستر أحمد بن زهير التسترى. وسمع منه الحاكم ابو عبد الله الحافظ. مات أحمد الديبلى بمدينة نيسابور في شهر رجب المرجب في عام ٣٤٣ الهجري.[3]

حكم المسلمون والولاة العرب على بلاد السند نحو ثلاثة قرون. وفتحوا مدينة بعد مدينة بها. ولكن الفتوح الإسلامية كانت قد توقفت ولم تتقدم إلى ما وراءها في

---

[1] نفس المصدر، ص٢٥٦

[2] نفس المصدر، ص٢٠٤

[3] نفس المصدر، ص٥٦، أيضاً نزهة الخواطر: السيد عبد الحئ الحسني، ص٩٦

آخـــر الـــزمان. وكذلك كانت أحوال العلوم والدراسات العربية والإسلامية بها. في بدايـــة الأمر كانت متطورة ورائجة كل الرواج في هذه المنطقة وانجبت كبار العلماء والمحدثـــين الـــبارعين. ولكن هذه الدراسات والعلوم أيضاً-كالفتوح الإسلامية- لم تـــتقدم إلى مناطق أخرى لبلاد الهند وكانت محبوسة في بقعة معينة. فلما تقدم الغزاة والفـــاتحون المسلمون إلى المناطق الأخرى للهند نحو غجرات ودلهي وغيرهما تسربت العلـــوم والدراسات والثقافات الإسلامية أيضاً اليها مع الفتوح الإسلامية. ونرى أن معظم الغزاة والفاتحين كانوا من تركستان وخراسان وأفغانستان. وكانت هذه المناطق بمثابة مهد لعلوم الأحاديث في القرن الثالث للهجرة.

ورد الغـــزنويون إلى الهند بعد الأمراء والولاة العرب. وكان محمود الغزنوي قـــائدهم ورائدهم. وقد شن هذا القائد الباسل الغارات على الهند غير مرة. ولكنه يقم دولة مستقلة بالهند. كلما غزا على منطقة من مناطقها أخذ من الثروات النفيسة كـــأوانى الذهـــب والفضة والدراهم والدنانير وغيرها. ثم رجع إلى بلاده غزنة. إن المـــنطقة الوحـــيدة التي الحقها في دولته هي منطقة بنجاب. فلما فتح محمود الغزنوي بنجاب توالت بعثات العلماء والأدباء والمثقفين الأجانب إليها وتواترت وفودهم على الســـلاطين الغـــزنويين خاصـــة على السلطان محمود الغزنوي. لأنه كان عالما بارعا ونصـــيرا للعلم والثقافة وكان يبذل قصارى مجهوداته في ترويج العلم والأدب ونشر الـــثقافة الإســـلامية. وكان يجامل العلماء ويصنع المعروف إليهم حتى أجمع كثيرا من العلماء والأدباء والشعراء من دول آسيا النائية في بلاطه. ويقول الدكتور شمس تبريز خـــان: إن الشعراء والأدباء الذين حضروا بلاطه يبلغ عددهم إلى أربع مائة. وكان

يحب مصاحبتهم ويعامل معهم أحسن المعاملة.[١]

يذكر ابن كثير أيضاً هذه الصفات الحميدة في محمود. ويقول: إنه كان يحب العلماء ويستقدمهم إليه ويكرمهم ويجالسهم ويحب أهل الخير والدين والصلاح ويحسن إليهم.[٢] فلما نال العلماء هذا التقدير والحفاوة اجتمعوا إلى بنجاب. ومن العلماء الواردين إليها ابو الحسن الخمار الطبيب وأبو نصر وابو عطاء بن يعقوب الغزنوى وابو ريحان محمد بن أحمد البيروني وغيرهم. ويقول مستشرق ألمانى عن البيروني: إنه اكبر عقلية عرفها التأريخ في كل عصوره.[٣] انتشر بعضهم أولا في ملتان ثم لاهور وبعد ذلك قصدوا إلى سيالكوت والمناطق المتجاورة لها. زار الشيخ محمد اسماعيل البخارى لاهور في أيام شهاب الدين مسعود بن محمود الغزنوي. وكان من العلماء الأجلة في مجال علوم الحديث.[٤]

قبل إقامة دولة إسلامية بدلهي لم تكن اللغة العربية والدراسات الإسلامية إلا مقتصرة في المناطق الحدودية للهند. و لم تكن مزدهرة ومتطورة في داخلها ولكنها تغيرت الظروف والأوضاع الدينية بعد إقامة الدولة الإسلامية بدلهي. كان قطب الدين ايبك مؤسس هذه الدولة. هذا هو العصر الذي تعرضت فيه البلاد العربية للغارات التتارية وتم فيه تدمير مراكز العلوم والدراسات الإسلامية في آسيا المركزية فاضطر عدد كبير من العلماء والمثقفين إلى مغادرة بلادهم واوطانهم. وبلغ عددهم في

---

[١] عربي ادب مين هندوستان كا حصه: د. شمس تبريز خان، ص٦٩

[٢] البداية والنهاية: ابن كثير، المجلد الثاني عشر، ص٣٠ نقلاً عن فصول في التعريف بالهند العربية الإسلامية. د/عليم أشرف الجائسى، ص٢٠٥

[٣] ظهر الإسلام: أحمد أمين، الجزء الأول، ص٢٨٨

[٤] Lucknow: A Centre of Arabic and Islamic Studies during the ١٩th Century, Prof. F.U. Farooqi. p. ٢٦-٢٧

عصـــر شمس الدين ايلتمش إلى حوالى آلاف من العلماء والمثقفين. من أشهر العلماء الواردیـــن إلى الهند هم: القاضي سعد الدين الكردى وشمس الدين المراخى وابو بكر بـــن يوســـف الســـنجري والشيخ برهان الدين النسفى والشيخ قطب الدين بختيار الكعكـــى والقاضي حميد الدين الناغوري والشيخ جلال الدين التبريزي والشيخ بدر الدين الغزنوي ونور الدين مبارك الغزنوي وغيرهم.[1]

ثم ظهـــرت الأســـرة الخلجية. كان السلطان جلال الدين الخلجي مؤسسها. الـــتحق بـــبلاط عـــلاء الدين الخلجي كثير من العلماء. منهم ضياء الدين البيانوى وظهيرلـــنك والقاضـــي مغيث الدين. كان علاء الدين أميا لا يعلم القراءة والكتابة ولكـــنه مع ذلك كان يحب العلم ويشجع العلماء. حدثت ذات مرة واقعة وهي أنها جـــرت محادثة طويلة بين السلطان والقاضي فظن القاضي أن السلطان سيأمر في نهاية الأمـــر بإعدامه. فلما إنتهت المحادثة منح السلطان القاضي مكافأة و لم يواخذه. كان في ذلـــك العصر ٤٦ باحثا وعالما بمن فيهم الأمير خسرو الذي قرض أبياتا من الشعر في اللغتين العربية والفارسية.[2]

بعد الخلجيين ظهرت أسرة تغلق. كان غياث الدين مؤسس هذه الدولة. كان إبـــنه محمد تغلق عالما كبيرا يحب العلم والعلماء. ويبذل أموالا باهظة لتشجعيهم ومن أبرز علماء عصره معين الدين العمراني والقاضي عبد المقتدر الشريحى الكندى والشيخ أحمد التانيسري والشيخ عبد العزيز الاردبيلى. تلمذ عبد العزيز على الشيخ ابن تيميه. ومـــن علماء ذلك العصر ناصر الدين الترمذي ومجد الدين الفيروز آبادي ترك لـــه

---

[1] فصول في التعريف بالهند العربية الإسلامية، سيد عليم أشرف الجائسى، ص٢٠٦

[2] الآداب العربية في شبه القارة الهندية، د.زبيد أحمد، ص٣٠-٣١

مؤلفات من أهمها "القاموس".[1] وقد أرسل محمد تغلق سفيرا لـــه إلى شيراز كي يحث القاضـــي عضـــد الدين الإيجى مؤلف "المواقف" على القيام بزيارة إلى الهند. ولكن حاكمها لم يسمح لـــه بأن يغادرها. وكذلك أرسل محمد تغلق شمس الدين يحي إلى كاشمير لدعوة الناس إلى الإسلام ونشره بها. ولكنه لم يستطع أن يذهب إليها من أجل مرضه.[2]

وإلى جانب ازدهار العلوم والثقافات الإسلامية في شمال الهند بدأت الدراسات العربـــية والعلوم والفنون الإسلامية تنمو وتزدهر في جنوب الهند أيضا. زارت بعثات العـــلماء الأجانـــب ووفودهم الهند ونزلت على سواحل جنوب الهند. رحب أمراء وملوك هذه المنطقة بهؤلاء العلماء والأدباء والمحدثين والمثقفين بكل حفاوة وتقدير.

أنشـــأ أحمد شاه الأول مدينة أحمد آباد. وصارت هذه المدينة فيما بعد مركزا كبيرا للعلوم والثقافات. توجه إليها عدد من كبار العلماء وعظام المحدثين. ومن ابرز العـــلماء الذين زاروا هذه البقعة هم نور الدين الشيرازي المحدث وكان تلميذا للسيد شريف علي بن محمد. وكذلك جاء إلى غجرات الشيخ وجيه الدين محمد بن أبي بكر المالكي الذي لُقّب بـــ "ملك المحدثين" من قبل السلطان أحمد شاه الأول. لعب هذان العالمـــان دوراً بـــارزاً في دعم علوم الحديث وترويج دراستها في غجرات. بعد ذلك انـــتقل إليها الشيخ بدر الدين محمد بن أبي بكر الدماميني في سنة ٨٢٠ الهجرية. إنه كان نحويا ومحدثا كبيرا وألف كتبا عديدة للسلطان.[3] توفى هذا المحدث الكبير بمدينة

---

[1] Lucknow: A Centre of Arabic and Islamic Studies during the ١٩th Century, Prof. F.U. Farooqi, p. ٣٢-٣٣

[2] الآداب العربية في شبه القارة الهندية، د.زبيد أحمد، ص٣٢

[3] نفس المصدر، ص٣٨

غلبرغة في سنة ٧٢٧ الهجرية.

ومن العلماء الذين وردوا إلى هذه الإمارة الشيخ جلال الدين بن محمد المالكي ومجد الدين الايجى وعبد المعطى بن الحسن بن عبد الله باكثير المكي. توفى هذا العالم الجليل بمدينة أحمد آباد في عام ٩٨٩ الهجري. والشهاب بن أحمد بن بدر الدين المصري. توفى سنة ٩٩٢هـ. والشيخ محمد بن أحمد بن على الفاكهى الحنبلي المتوفى عام ٩٩٢هـ والشيخ محمد بن عبد الرحمن المالكي المصري المتوفى في سنة ٩١٩هـ وغيرهم. توفى هؤلاء العلماء كلهم بمدينة أحمد آباد.[١]

ظهر في هذا العصر علماء آخرون. كانت لهم مقدرة كاملة في مجال النشر والتأليف حتى طار صيتهم في ذلك. منهم علي بن أحمد المهائمي. كان مفسرا بارزا من ذلك العصر. كتب تفسيرا للقرآن وألّف كتابا في الفقه أيضاً. توفى في عام ٨٣٥. والقاضي تشكن "Chakan" ومحمد بن طاهر الفتنى وعبد الله محمد بن سراج الدين عمر النهروالى الألغ خانى ويدعى حاجي دبير. كان مؤرخا باهرا وكتب تاريخ غجرات.[٢]

كانت البعثات العلمية ووفود العلماء والأدباء والمثقفين الواردين إلى منطقتى غجرات والدكن كانت مستمرة طوال الحكم الإسلامي. ومن العلماء الذين ظهروا على آفاق العلم والثقافة بالهند في القرن الحادي عشر وما بعده الشيخ عبد القادر العيدروس. سافر هذا العالم من اليمن إلى الهند وأقام بمنطقة غجرات. توفى بها سنة ١٠٣٨هـ. له مؤلفات عديدة منها "النور السافر"، والسيد أبو بكر بن أحمد

---

[١] فصول في التعريف: الجائسى، ص٢٠٨

[٢] الآداب العربية: زبيد أحمد، ص٣٨-٣٩

العيدروس والسيد ابو بكر حسين الحضرمى والسيد شيخ بن عبد الله الحضرمى.[1]

مضـــى الدكتور زبيد أحمد قائلاً: انها استمرت أحمد آباد تخرج مؤلفى العربية حتى بعد أن استولى عليها المغول ومن بين مؤلفيها وجيه الدين ١٥٨٩/٩٩٨ والسيد صـــبغة الله الـــبروجى وعبد القادر العيدروس ١٦٢٨/١٠٣٨ ونور الدين الكجراتي وترك كل منهم مؤلفات كثيرة.[2]

---

[1] فصول في التعريف: الجائسى، ص٢٠٩

[2] الآداب العربية: زبيد أحمد، ص٣٩

الباب الثاني

خلفية الشعر العربي في الهند

الفصل الأول

الشعر العربي في عصر الحكم العربي بالسند

فـــتح المســـلمون العـــرب السند في أواخر القرن الأول للهجرة وأقام هؤلاء الفاتحون حكومة عربية إسلامية في هذه المنطقة وحكموها حوالي ثلاثة قرون. بعد ما اســـتتبت الحكومـــة العربية ازداد إختلاط الناس بعضهم من بعض. وزار السند عدد كـــبير مـــن العرب وكذلك سافر العلماء الهنود أيضاً إلى البلاد العربية فبرز العلماء والمحدثـــون العظام والشعراء المفلقون الذين ألفوا كتبا عديدة وقالوا أشعارا كثيرة في العربـــية وتعـــتز الهـــند بهم. وقد ذكرت في الفصل الثالث من الباب الأول العلماء والمحدثين الذين حضروا السند أو نبغوا فيها وتركوا خلفهم مؤلفات عديدة.

كما نعرف أن الهند كانت ولا تزال دولة عجمية كانت تنطق بها عدة لغات. وكذلـــك كانت حالة السند حيث كانت تستخدم عادة عدة لغات محلية. فلما قدم المسلمون السند أقاموا بها مدنا مثل المنثورة والمحفوظة والبيضاء لأغراض عسكرية منها الدفاع عن المقاومة المحلية وتدبير أمور الشعب بالمنطقة وبدأوا يستخدمون اللغة العربية بهذه المدن كلغة رسمية وكانت من أداة التفاهم والتفاوض والمداولة إلى جانب اللغات الأخـــرى. ويقول المسعودي في هذا الصدد: "إن اللغة التي كان العرب يستخدمونها في المحـــاكم والمـــدارس كانـــت تختلف من منطقة إلى أخرى. وكانت اللغتان فقط تستخدمان في هذه المنطقة حتى القرن الثالث للهجرة. كان الجماهير يتحدثون باللغة المحلية وأما الأمراء فكان لهم إلمام تام باللغتين العربية والمحلية".[1]

ويقـــول ابـــن حوقـــل: "ولســـان أهل المنصورة والملتان ونواحيها العربية

---

[1] مروج الذهب: المسعودي، المجلد الأول، ص٣٧٧

والسندية".[1]

مهما يكن من أمر فيما يتعلق باللغة الرسمية أو غيرها فإن بلاد الهند قد أنجبت شعراء مفلقين ويمكننا أن نقسم هؤلاء الشعراء إلى ثلاث طبقات رئيسية منها:

١- الطبقة الأولى: هذه الطبقة تضم الشعراء الذين برزوا في السند خلال الدولتين الأموية والعباسية.

٢- الطبقة الثانية: يأتي في هذا الطبقة الشعراء الذين نبغوا بالهند بعد إنتهاء الحكم العربي على السند حتى القرن العاشر.

٣- الطبقة الثالثة: يمتد عصر شعراء هذه الطبقة من القرن الحادي عشر إلى القرن العشرين. وينقسم عصر الطبقة الثالثة إلى عصرين: ١. العصر المغولي ٢. والعصر البريطاني. أتناول في هذا الفصل الشعراء الذين كانوا في الطبقة الأولى. وقالوا أشعارا في العربية.

نشأ شعراء السند في الأقطار العربية وترعرعوا بها وصحبوا العرب. فيمكننا أن نقول أن أشعار هؤلاء الشعراء تشابه أشعار الشعراء العرب كما يماثل اسلوبهم بأسلوب عربي فيها: جميع أنواع الشعر التي كانت توجد في قصائد الشعراء العرب. ربما يكون من الصعب أن نميزبين شعراء الهند والسند والشعراء العرب من حيث الخيال والبيان والسرد وانتقاء الكلمات الجيدة واختيار الألفاظ والتراكيب وغيرها.

وقد ذكر المؤلفون والنقاد السابقون في كتبهم بضعة شعراء من هذه الطبقة كأمثال أبي عطاء السندي وأبو الصلع السندي ومحمد بن حسن السندي بن شاهك

---

[1] صورة الأرض: ابن حوقل، بيروت ١٩٧٩، ص٢٨٠ نقلا عن فصول في التعريف بالهند العربية الإسلام، عليم أشرف الجائسي، ص١٩٦

وهارون بن موسى وغيرهم، ومعظم أشعارهم قد تعرض لتقلبات الدهر وذهب على أدراج الـــرياح وضـــاع أكـــثره. ولم تصل هذه الأشعار إلينا إلا قليل منها. ديوان كشـــاجم المطـــبوع مـــتواجد ولكنه أيضاً ليس بكامل. وتم العثور على مائة وأربعة وثلاثـــين شـــعراء قلاها أبو عطاء السندي وكذلك توجد ست قصائد لأبي الصلع السندي. وهذه القصائد الست تشتمل على خمس وعشرين بيتا.[١]

أبو عطاء السندي

إسمـــه أفلح بن يسار كان مولى بني أسد. بعد ذلك كان مولى عمرو بن سماك بن حصين الأسدى. نشأ بالكوفة. كان من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية تشيع للأموية فمدحها. كان في لسان أفلح بن يسار لكنة ولثغة فكان لا يفصح. وكان إذا تكـــلم لم يفهم كلامه. قيل إنه قال يوما: وإلا منذ لدن ذادتا وقلت لبيأ ما إنك تصنأ يعنى وإنك منذ دعوتك وقلت: لبيك، ما كنت تصنع؟[٢] ولكنه مع كل هذه العيوب كـــان شـــاعراً فحلا[٣] قوى البديهة في الناس وأشدهم عارضة وتقدما.[٤] ويقول أحمد أمـــين في هـــذا الشـــاعر: أبـــو عطاء السندي شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية. وكان أبوه سنديا لا يفصح ونشأ إبنه شاعرا كبيرا وإن كان في لسانه لكنة شديدة ولثغة. كان يقول في مرحبا "مرهبا" وفي حياكم الله "هياكم الله".[٥] ذات مرة

---

[١] هندوستا مين عربي شاعري: حامد علي خان، ص ٣٠٩

[٢] نزهة الخواطر: عبد الحئ الحسني، ص١٦، الجزء الأول

[٣] الأعلام خير الدين الزركلي ، الجزء الثاني، ص٥

[٤] نزهة الخواطر: عبد الحئ الحسني، ص١٥

[٥] ضحى الإسلام الجزء الأول: أحمد أمين، ص٢٣١

أتى أفلح بن يسار سليم بن سليمان فانشده:

أعوزتـــني الرواة يا إبن سليم وأبى أن يقيم شعرى لساني

وغلا بالذي أجمجم صدري وجفـــاني لعجمتي سلطاني

وازدرتنى العيون اذ كان لوني حالكـــا مجتوى من الألوان

فضربت الأمور ظهرا لبـــطن كيف أحـــتال حيلة للساني

وتمنيت انـــني كنت بالشـــــعر فضيحا وبان بعض بناني

فاكفني ما يضيق عنـــه رواتي بفصيح من صالحى الغلمان

يفهم الناس ما أقول من الشـــــعر فان البيان قد أعيانى

فاعتمدنى بالشكر يا إبن سليم في بـــلادي وسائر البلدان

ســـتوافيهمو قصـــائد غـــر فـــيك ســـباقة لكل لسان

فقديمـــا جعلت شكرى جزاء كـــل ذي نعمة بما أولا ني

لـــم تزل تشتري المحامد قدما بـــالربيح الغالي من الأثمان[1]

فـــلما سمعه سليمان أمر لـــه بوصيف فصيح. فسماه "عطاء" وتبناه وتكنى به حتى اشتهر بأبي عطاء. كان هذا الوصيف ينشد شعره. فكان إذا أراد انشاد مديح لمن يمتدحه أو إنشاد شعر أمره بذلك فأنشد.

شهد ابو عطاء حرب بني أمية وبنى العباس وأبلى مع بني أمية. قتل غلامه مع ابن هبيرة وانهزم هو. وحكى المدائنى أن أبا عطاء كان يقاتل المسودة وقدامه رجل من بنى مرة يكنى أبا يزيد قد عقر فرسه فقال لأبي عطاء اعطنى فرسك أقاتل عنى وعنك وقـــد كانا أيقنا بالهلاك فأعطاه أبو عطا فرسه فركبه المرى وحيدا ومضى على وجهه

[1] الأغانى: ابو الفرج الأصبهاني، الجزء الخامس عشر، ص٨٢

ناجيا وخذل أبا عطاء فقال في ذلك:

لعمـــرك انـــني وأبـــا يزيد لكا الساعي إلى وضح السراب

رأيـــت مخـــيلة فطمعت فيها وفي الطمـــع المذلـــة للـــرقاب

فمـــا أعياك من طلب ورزق كمـــا أعياك في سرق الدواب

وأشهد أن مرة حي صـــدق ولكن لست منهم في النصاب[1]

عن المدائني أن يحي بن زياد الحارثي وحماد الرواية كان بينهما وبين معلى بن هبيرة ما يكون بين الشعراء من المنافسة وكان معلى يريد أن يطرح حمادا في لسان من يهجـــوه قال حماد: فقال لي يوما بحضرة يحي بن زياد: أتقول لأبي عطاء السندي أن يقـــول: زج وجـــرادة ومسجد بنى شيطان؟ قال حماد: إنى أجبت عن مطلبه وقلت لـــــه: فما تجعل لي على ذلك؟ قال بغلتى بسرجها ولجامها. قلت فعدلها على يدى يحـــي بن زياد ففعل وأخذت عليه موثقا بالوفاء. وجاء أبو عطاء السندي فجلس إلينا وقال "مرهبا مرهباً هياكم الله" بدلا من مرحبا مرحبا حياكم الله فرحبت به. ثم قلت يـــا أبا عطاء إن إنسانا طرح علينا أبياتا فيها لغز ولست أقدر على إجابته. قال هات فقلت

أبن لى إن سألت أبا عطاء يقينا كيف علمك بالمعاني

فقال: خبير آلم فاسأل تزدلي بها تبا وآيات المثاني

فقلت: فما إسم حديدة في رأس رمح دوين الكعب ليست بالنسان

فقال: هو الزز الذي إن بـــات ذيفا لسدرك لم تـــزل لك أولتان

---

[1] رجال السند والهند: القاضي اطهر مباركفوري، ص٢٨٠

بدلا أن يقول:

هو الزج الذي إن بات ضيفا لصدرك لم تزل لك عولتان

فقلت فرج الله عنك

فقلت: فما صفراء تدعى أم عوف كأن رجيليتها منجلان

فقال: أردت زرادة وأزن زنا بأنك ما اردت سوى لساني

قلت فرج الله عندك وأطال بقاءك هو يريد أن يقول: جرادة وأظن ظنا.

فقلت: أتعرف مسجدا لبنى تميم فويق الميل دون بني أبان

فقال: بنو سيطان دون بني أبان ككرب أبيك من أبد المدان

أراد أن يقول: بنو شيطان وكقرب وعبد المدان.

قال حماد رأيت أن عينيه قد احمرتا غضبا وعرفت أثار الغضب في وجهه وتخوفته فقلت يا أبا عطاء هذا مقام المستجير بك ولك النصف مما أخذته، قال: فاصدقني! فأخبرته فقال: أولى لك قد سلمت وقد سلم لك جعلك خذه بورك لك فيه. فلا حاجة لي فيه. ورجع يهجو معلى بن هبيرة.[1]

وقد ذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين إنه ورد زائر إلى عطاء النسدي فأحس ابو عطاء بأن هذا الضيف يشير ويومى إلى امرأته فقال:

كل هنيئا وما شربت مريئا ثم قم صاغرا فغير كريم

لا أحب النديم يومض بالعين اذا ما خلا لعرس النديم

ذات مرة تعرضت له إمرأة صاحبه. وهي تدعوه إلى لقائها لكنه أبى

---

[1] كتاب الأغاني. ابو الفرج الأصبهاني ، ص٨٣ و٨٤ أيضاً نزهة الخواطر: عبد الحئ الحسني، الجزء الأول، ص١٧-١٨

إستحياءاً وشرفا فهو يقول:

رب بيضـــاء كالقضـــيب تـــثنى قـــد دعـــتنى لوصـــلها فأبيـــت

ليـــس شأنى تحـــرجـــا غير أنى كنت ندمان زوجها فاستحييت[1]

عـــن المدائني، قال ذات يوم أمر ابو جعفر المنصور الناس بأن يلبسوا السواد. فاضطر ابو العطاء إلى لبسه كرها ونظم بيتين من الشعر وقال:

كسيت ولم أكفر من الله نعمة ســـوادا إلى لوني ودنا ملهوجا

وبايعت كـــرها بيعة بعد بيعة مبهرجة ان كـــان أمرا مبهرجا[2]

ورد السندي إلى نصر بن يسار فأنشده:

قالـــت تـــريكة بـــيتى وهي عاتبة إن المقـــام عـــلى الإفلاس تعذيب

مـــا بـــالهم دخـــيل بات محتضرا رأس الفـــواد فـــنوم العين توجيب

إني دعانى إليك الخـــير مـــن بلدي والخير عند ذوي الاحسان مطلوب[3]

فلما سمع نصر بن يسار الأبيات أمر لـــه بأربعين ألف درهم.

كـــان ابو عطاء أفلح بن يسار السندي شاعرا مجيدا ومفلقا. ويمكنا أن نقدر منـــزلـــته فـــيما بـــين شعراء العربية بأن جامع "ديوان الحماسة" أبا تمام الطائي قد استشهد في بداية الفصل الأول من الحماسة بثلاثة أبيات من شعره هو يقول:

ذكـــرتك والخطـــى يخطـــر بينـــنا وقـــد نهلـــت منا المثقفه السمر

فـــوالله مـــا أدرى وإنى لصـــادق أداء عـــرانى من صبابك أم سحر

---

[1] انظر رجال السند والهند، القاضي اطهر المباركفوري، ص٢٧٩

[2] الأغانى: الأصبهاني، ص٨٥

[3] نفس المصدر، ص٨٧

فان كان سحرا فاعذريني على الهوى وإن كـــان داء غيره فلك العذر[1]

وكذلـــك ذكر ابو تمام مرثيته الغراء في باب المراثي لذلك الكتاب. وقد رثاها ابو عطاء عمر بن هبيرة الذي قتله المنصور غدرا بواسط بعد أن قدم إليه الأمان. هو يقول:

ألا إن عيـــنا لم تجـــد يوم واسط علـــيك بجـــارى دمعها لجمود

عشـــية قـــام الفاتحات وشققت جـــيوب بـــأيدي مأتم وخدود

فـــان تمـــس مهجور الفناء فربما أقـــام بـــه بعـــد الوفود وفود

فانـــك لم تبعد عـــلى متـــعهد بلى كل من تحت التراب بعيد[2]

يقـــول الدكتور زبيد أحمد: ومما لاشك فيه أن قصائد أبي عطاء افلح بن يسار السندي توخذ دليلا على إسهام الهند في الشعر العربي خلال عصر ما قبل الغزنويين[3]

كشاجم

إسمـــه محمد بن الحسن بن شاهك السندي. هناك إختلاف في إسمه. قيل: هو محمـــد بن الحسين وقيل محمود بن الحسن وقيل محمود بن الحسين. قال ابن النديم في كـــتابه "الفهرست": كشاجم هو ابو الفتح محمود بن الحسين. أدبه وشعره مشهور. وـــله مـــن الكتب "كتاب أدب النديم" و"كتاب الرسائل" وكتاب ديوان شعره كان كشاجم من الشعراء المجيدين والفضلاء المبرزين. لقبه "كشاجم" هذا كان منحوتا من عدة علوم كان يتقنها. فالكاف تدل على براعته في الكتابة و"الشين" على إجادته في

---

[1] ديوان الحماسة: ابو تمام الطائي، باب الحماسة، ص١١٩

[2] نفس المصدر، باب المراثي، ص

[3] الآداب العربية في شبه القارة الهندية. د/زبيد أحمد، ص٦٠

الشعر و"الالف" في الانشاء و"الجيم" في الجدل و"الميم" على تضلعه في المنطق.[١]

قـــيل كشاجم لأنه كان كاتبا، اديبا، جميلا، مغنيا. وتعلم الطب فزيد في لقبه "طاء" فقيل طكشاجم. ولكنه لم يشتهر به.[٢]

قـــال بعضهم في ترجمته: هو من أهل الرملة من نواحى فلسطين وكان رئيسا في الكتابة مقداماً في الفصاحة والخطابة لـــه تحقيق يتميز به عن نظرائه. فهو الشاعر المفلـــق والنجم المتألق. لقب نفسه بكشاجم فسئل عن ذلك فقال: الكاف من كاتب الشين من شاعر والألف من أديب والجيم من جواد والميم من منجم.[٣]

كـــان كشاجم يضرب لملحه المثل فيقال "هو أملح من كشاجم" ومن شعره قوله في أسود لـــه تعد

يـــا مشـــبها في لونه فعله لم تعد ما أرجيت القسمة

فعلك من لـــونك مستبط والظلم مشتق من الظلمة[٤]

قال المسعودي في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر": ابو الفتح محمد بن الحســـن الســـندي المعروف بكشاجم كان من أهل العلم والرواية والمعرفة والأدب. أخبرني كشاجم أنه كتب إلى صديق لـــه يذم النرد-وكان بها مشتهرا- أبياتا وهي:

أيـــــها المعجب الفاخر بالنر دليزهو بها على الاخوان

فلعمرى حرصت جهدا على قمـــــرك لو لم تواتك الفصان

غـــير أن الأديب يـــكذبه الـــــــظن ويبكى لشدة الحرمان

---

[١] الأعلام: خير الدين الزركلى الجزء السابع، ص١٦٨

[٢] نفس المصدر، ص١٦٨

[٣] رجال السند والهند: القاضي اطهر المباركفوري، ص١٩٥

[٤] نفس المصدر، ص١٩٥

وذا مـــــا القضاة جـــاء بحكم لم يجد عن قضائها الخصمان

ولعمـــــرى ما كنت أول الانســـــان تمنى فأخلفته الأمانى[1]

قـــال ابو الفتح محمد بن الحسن السندي أبياتا من الشعر ذكر فيها بخل صديق لـــــه. وهـــذا الصديق كان قد دعاه إلى بيته. فلما وصل ابو الفتح اليه وجلسا على مائدة الطعام فأظهر صديقه عن عبس واغتياظ. فيقول:

صـــديق لـــنا من أبرع الناس في البخل وأفضـــلهم فـــيه ولـــيس بذي فضل

دعـــانى كمـــا يدعـــو الصديق صديقه فجئـــت كمـــا يـــأتي إلى مثله مثلي

فـــلما جلســـنا للطعـــام رأيـــته يـــرى أنـــه مـــن بعض أعضائه أكلي

ويغـــتاظ أحـــيانا ويشـــتم عـــبده وأعـــلم أن الغـــيظ والشتم من أجلي

أمـــد يـــدى ســـرا لأســـرق لقمـــة فيـــلحظني شـــزرا فاعبـــث بالـــبقل

فجـــرت يـــدي للحين رجل دجاجة فجرت كما جرت يدي رجلها رجلي

وقـــدم مـــن بعـــد الطعـــام حـــلاوة فـــلم اســـتطع فـــيها أمر ولا أحلى

وقـــمت لـــو أني كنت بـــيت نـــية ربحت ثواب الصوم مع عدم الأكـــل[2]

كـــان كشاجم شاعرا مفلقا ومطبوعا. كان يعد ريحانة الأدب في عصره. أقام بمصر مدة فاستطابها وداره بالرملة فلقب بالرملى. وله تصانيف عدة. توفى سنة ثلاث مائة وثلاثين للهجرة.

---

[1] نفس المصدر، ص٩٥-١٩٤

[2] نفس المصدر، ص٩٧-١٩٦

أبو الصلع السندي

كان ابو الصلع السندي مولى سنديا. قد وهبه الله موهبة شعرية ومقدرة كاملة على قرض الشعر. وكان يتذوق ذوقا موفورا فيه. يعتبر واحد من كبار شعراء السند ويعتز به أهلها. وقد ذكره ابن النديم في كتابه "الفهرست" في ضمن الشعراء المحدثين وبعض الإسلاميين ومقاديـر ما خرج من أشعارهم إلى عصره فقال في الشعراء المماليك أبو الصلع السندي ثلاثون ورقة.[1]

وقد ذكر القزويني في "آثار البلاد" قصيدة لـه وصف بها ابو الصلع السندي الهند وخصبة أرضها ومنتجاتها النفيسة والطيور والمواشي وغيرها. فيقول:

لقـد انكـر أصحابي وما ذلك بأمثل إذا مـا مـدح وسهم الهند في المقتل
لعمـري أنها أرض إذا القطر بها ينـزل يصـير الدر والياقوت والدر لمن يعطل
فمـنها المسك والكافور والعنبر والمندل وأصناف من الطيب يستعمل من يتفل
وأنواع الأفاوية وجوز الطيب والسنبل ومنها العاج والساج ومنها العود والصندل
وإن التوتـيا فيها كمثل الجبل الأطول ومنها الببر والنمر ومنها الفيل والدغفل
ومنها الكوك والببغاء والطاؤس والجوزل ومـنها شجر الرانج والساسم والفلفل
سيوف مالها مثل قد استغنت عن الصيقل وأرمـاح اذا اهتزت اهتزبهـا المحجفل

وهل ينكر هذا الفضل إلا الرجل الأخطل[2]

ويـبدو مـن إمعان النظر في هذه القصيدة الرائعة ودراستها كأن أبي الصلع

---

[1] انظر لمزيد من التفصيل، نفس المصدر، ص٢٧٦

[2] آثـار البلاد وأخبار العباد. زكريا القزويني، ص٨٥، نقلا عن تاريخ السند، السيد ابو ظفر الندوي، ص ٣٧٧

السندي كان شاعرا وطنيا.

في أشـــعار هؤلاء الشعراء الثلاثة الميزات والمحاسن التي كانت توجد في قصائد الشـــعراء العرب. وعليه رأى النقاد شعراء السند وأشعارهم بعين التقدير والإحترام. وشبه بعض الباحثين هؤلاء الشعراء بالشعراء العرب ويقول الدكتور حامد علي خان: ومن الممكن أن يقال إن هؤلاء الشعراء يدانون الشعراء العراقيين والمصريين.[1]

[1] هندوستان مين عربي شاعري: حامد علي خان، ص٣٠٩-٣١٠

الفصل الثاني

في

الشعر العربي خلال عصر السلاطين

قد فتح محمد بن قاسم السند وملتان في فترة سنتين عام ٩٢ الهجرية المصادف سنة ٧١٢ الميلادية وحكمها اربع سنوات ولا غرابة في أنه لو لم يعزل عن قيادة الجيش لفتح أقصى مناطق الهند. ان العرب قد حكموا حوالى ثلاث مائة سنة على السند وملتان ولكنهم لم يضيفوا فيها شيئا من البلاد المفتوحة. فكان الهنود يحكمون في شمال الهند آمنين مطمئنين و لم يتوجه أحد من الغزاة المسلمين إلى الهند إلا أن الملك ناصر الدين سبكتغين قد تقدم اليها.

كان الملك سبكتغين من عبيد أبي اسحاق بن البتغين قائد الجيش الغزني السامانى. عندما توفى أبو اسحاق بن البتغين سنة ٣٦٦ الهجرية فلم يبق في أسرته أحد يتأهل لسيادة الأمور فقدم الناس قيادة الجيش إلى الملك ناصر الدين سبكتغين دون أي نزاع لأنه كان رجلا كريما وصالحا وفيا يصفه السيد عبد الحي الحسني:

"كان رجلاً عادلا خيرا، كثير الجهاد، حسن الإعتقاد، ذا مروءة تامة وحسن عهد ووفاء. لا جرم بارك الله في بيته ودام ملكهم مدة طويلة جاوزت مدة ملك السامانية والسلجوقية وغيرهم."[1]

اعتلى الملك سبكتغين عرش المملكة في غزنة سنة ٩٧٦م ساس أمور رعية بلباقة وطارصيته في جميع انحاء المملكة ونال حفاوة كبيرة من الناس، فاغضب هذا "جى بال" وجمع أفواجا وأعد جيشا كبيرا ونزل بها في ساحة الحرب ليقاتل مع جيش الملك ناصر الدين سبكتغين، دارت الحرب بينها طويلا حتى هزم الملك سبكتغين جى بال شر هزيمة واضطر إلى المسالمة وخلص نفسه بخمسين فيلا ومليون درهم ووعد أنه

[1] نزهة الخواطر: السيد عبد الحي الحسني، ص١/٣٥

يرســـل الأفيال والأموال من بلده بواسطة من يرسله الملك معه من المسلمين ولكنه لما وصـــل لاهور نسى وعده ونكث عهده حتى القى القبض على أصحاب الملك ناصر الديـــن فلما سمع الملك مما قام به جى بال من الخيانة طار هائجه حتى جمع العساكر وزحـــف إلى الهند و لم يكن جى بال شاغلا من تقدم الملك فاقترب من الملوك الهنادك واســـتعان بهـــم وخرجوا متحدين لمساعدته. لقى منهم ناصر الدين في لمغان ووقعت حـــرب طاحنة. في أول وهلة اضطرب الملك بذلك الجيش الجرار ولكنه إرتدى رداء الثبات والصبر ودبّر أمره. ويقول عبد الحي الحسني.

"إنـــه أمر اصحابه أن يتناولوا القتال مع الهنود ففعلوا ذلك فضجر الهنود من دوام القتال معهم حمل جيش الملك عليهم حملة واحدة فعند ذلك إشتد الأمر وعظم الخطب وحمل المسلمون جميعهم واختلط بعضهم ببعض فانهزم الهنود وأخذهم السيف مـــن كـــل جانب وأسر منهم ما لا يعد وغنم أموالهم وأثقالهم ودوابهم الكثيرة وذل الهنود بعد هذه الوقعة و لم يمكن بعدها رأية.[1]

وفـــوق ذلـــك إنه قد زحف إلى أماكن أخرى وقاتل الذين خرجوا للحرب. وغـــزا على كابل حتى افتتحها بشاور. إنه قد توفى سنة ٩٩٧م في بلخ بعد أن حكم لفـــترة عشـــرين سنة بالبراعة وحسن الانتظام. قد القيت ضوءاً خفيفا على الخلفية السياســـية في عصر الإمارة الغزنوية الآن ومن الضروى أن أسلط الضوء على الجانب الأدبى لهذا العصر.

يمـــتد عصـــر السلاطين من سنة ٩٩٨ حتى سنة ١٥٢٦م ويحتوى على عهود مخـــتلفة منها العهد الغزنوي وعهد الغوريين وعهد المماليك وعهد السلاطين الخلجية

[1] نزهة الخواطر: السيد عبد الهي الحسني، ج١، ص٥٢

وعهد أسرة تغلق وعهد الأسرة اللودية.

بعـــد مـــا توفى الملك ناصر الدين سبكتغين اعتلى عرش المملكة ابنه السلطان محمـــود الغـــزنوي سنة ٩٩٨ ينفرد عصره للفتوحات العلمية إلى جانب الفتوحات السياســـية. إنه كان عالما بارعا. وكان يبذل قصارى جهده في ترويج العلم والأدب وكـــان يجـــامل العلماء ويصنع المعروف اليهم حتى أجمع كثيراً من العلماء والأدباء والشعراء من دول آسيا النائية في بلاط وذكر شمس تبريز خان في كتابه "أن الشعراء والأدبـــاء الذيـــن حضروا بلاطه يبلغ عددهم إلى اربع مأة.[١] وكان يجب مصاحبتهم ويعـــامل معهم أحسن المعاملة. وقد أحاط المؤرخون به مدحا لحبه العلم واستحسانه العـــلماء. ومـــن الشـــعراء الذين نالوا بارزة سمعة في بلاطه الفردوسي والعسجدى والعنصرى والفرخى. ويقول السيد عبد الحي الحسني "إنه كان عاقلا دينا خيرا عنده عـــلم ومعرفة وصنف لـــه العلماء كثيراً من الكتب في فنون العلم وقصده أهل العلم مـــن أقطار البلاد وكان بكرمهم ويقبل عليهم ويعظمهم ويحسن اليهم وكان عادلا كثيرا لإحسان إلى رعيته والرفق بهم، كثير المعروف وكثير الغزوات وملازما بالجهاد، فـــتوحه مشهورة وفيه ما يستدل على بذل نفسه لله تعالى واهتمامه بالجهاد و لم يكن فيه ما يعاب إلا أنه كان يتوصل إلى أخذ الأموال بكل طريق."[٢]

وكـــان محمود مثقفا بالثقافات الفارسية والعربية وكان ولوعا باللغة الفارسية إلى جانب كونه ممعن النظر في اللغة العربية وكان يجيد هذه اللغة وقد صنف فيها كتبا عديدة في مختلف الفنون منها.

---

[١] عربي أدب مين هندوستان كا حصه: شمس تبريز خان، ص٩٩

[٢] نزهة الخواطر: السيد عبد الحي الحسني، ص٧٣

"التفريد في الفروع" في الفقه، ذكره صاحب كشف الظنون ونقل من الإمام مسعود بن شيبة أن السلطان المذكور كان من أعيان الفقهاء وكتابه هذا مشهور في بلاد غزنة وهو في غاية الجودة وكثرة المسائل ولعله نحو ستين ألف مسألة.[1]

ذكرت آنفا أنه كان يجمع العلماء ويحب مصاحبتهم وكان بنفسه من أعيان الفقهاء فكان يحضر المناقشة العليمة التي كانت تجرى بين العلماء الأحناف والشوافع. توفى محمود الغزنوي سنة ٤٢١ الهجرية المصادف سنة ١٠٣٠م وتولى العرش ابنه السلطان شهاب الدين مسعود.

اتبع مسعود اباه في حب العلم والمعرفة وتشجيع العلماء والفضلاء مع أنه لم تتيسر له الإمارة لمدة طويلة لأنه قد فشل من أجل ظهور المتمردين، مع ذلك قد أجمع في بلاطه عديدا من العلماء والفضلاء. وظهرت على خير الوجود كتب عديدة منها "القانون المسعدوي" في الفنون الرياضية ألّفه أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني وقد أهدى البيروني هذا الكتاب لإسم مسعود وكان كثير الصدقة والإحسان إلى أهل الحاجة. كان يبذل الأموال على الشعراء لتشجيعهم ويقول عبد الحي الحسني "إنه أعطى شاعرا على قصيدة ألف دينار واعطى آخرا بكل بيت ألف درهم.[2]

ثم إعتلى العرش ابناءه انما السلطان إبراهيم قد حكم أربعين سنة وتطور العلم والأدب في عصره ويقول الشيخ محمد إكرام "قد تحولت لاهور في إمارة إبراهيم الغزنوي (١٠٥٩-١٠٩٨م) مركزا للنشاطات العلمية وعلى حد قول العوفى بل كان مركزا كبيراً للعلم والدراية. أحد من وزراء إبراهيم كان إسمه ابا نصر الفارسي الذي

---

[1] نزهة الخواطر: السيد عبد الحي الحسني، ص٢٣

[2] أيضاً: ج١، ص٧٥

اشـــتهر بالأديب من نشاطاته الأدبية والعلمية. كان مربيا للعلم والمعرفة. إنه قد بنى زاوية (خانقاه) بمدينة لاهور التي كانت مأوى للعلماء والشيوخ وجعل يتوجه او يوفد اليها العلماء شيئا فشيئا من لاهور وبلخ وبخارا والبلدان الأخرى.[1]

توفى السلطان رضي الدين إبراهيم سنة ٤٨١ الهجرية وحكم البلاد بعده إبنه وأحفـــاده الذيـــن أشرفوا على العلم والأدب منهم معز الدولة بهرام شاه صنف لـــه العـــلماء كتبا عديده، تولى عرش الملك إبنه خسرو شاه الذي كان يحب العلم ويكرم العـــلماء ثم حكم البلاد ابنه خسرو ملك وانتهت عليه الإمارة الغزنية. وكانت مدة حكومة الغزنويين حوالى مأتى سنة.

العهد الغزنوي

قبل أن أذكر الشعر والشعراء في هذا العصر يحسن لي أن القى ضوءا على لغة ذلـــك العصر. فالمعلوم أن الحكومة الغزنوية قامت مباشرة بعد الحكم العربي في الهند وعـــندما كان العرب يحكمون السند وملتان كانت لغة هذه البلاد الرسمية لغة عربية فـــاتخذ سلاطين غزنة اللغة العربية لغة رسمية للمناطق التي كانوا يحكمونها. وكان يتم القيام بالأعمال الإدارية كلها بالعربية عامة. وكانت العربية في الشرق لغة ادارية، مع أن الإمارات المستقلة غير العربية قد ظهرت، لكن اللغة الفارسية أو التركية لم تزدهرا إلى درجة أن نقوم بالأعمال الإدارية.

ويقـــول الأســـتاذ محمد منور "إن الأعمال الإدارية كانت تقام بها بالعربية في عصر محمود. ووزيره الأول أبو العباس فضل بن أحمد الاسفرائنى لم تكن لـــه معرفة

---

[1] آب كوثر: شيخ محمد إكرام، ص٦٤

والمـــام بالعربية فجعل يكتب الأمور الملكية والمكاتبات الرسمية بالفارسية عندما تولى بعـــده بـــزمام الوزارة أحمد بن حسن الميمندى إتخذ العربية من جديد لغة المكاتبات والقرارات".[1]

ويقـــول شمس تبريز خان "إن عصر العزنويين كان ملائما باللغة العربية ولكن الســـلجوق والمغول بعدهم اتخذوا اللغتين الفارسية والتركية لغة رسمية لإداء الأعمال الإدارية فتوقف ازدهار اللغة العربية في المناطق الشرقية".[2]

فظهر أن اللغة الرسمية في هذا العصر كانت عربية ولكن الفارسية بدأت تنشأ. من أجل ذلك نرى أنه ظهر فيها كثير من الشعراء في العربية. منهم عطاء بن يعقوب الغزنوي ومحمد بن عبد الجبار العتبى وأحمد بن حسن الميمندى وأشهر الشعراء لذلك العصـــر مسعود بن سعد بن سلمان اللاهوري والشاعرة رابعة بنت كعب القزدارى ولكن اذكر هنا شاعرا أو شاعرين من أجل التجنب عن التطويل.

عطـــاء بن يعقوب الغزنوي: هو أبو العلاء عطاء بن يعقوب الغزنوي. أشتهر بـــناكوك كان عالما مجيدا. وجاء ذكره في لباب الألباب لنور الدين محمد العوفى وفي "دمـــية القصـــر" لأبي الحســـن على بن الحسن الباحرزى وفي معجم الأدباء لياقوت الحمـــوى. عند ما تولى السلطان إبراهيم علاء الدين بن مسعود بزمام المملكة بالهند كان أبو العلاء أسيرا في سجن بلاهور ومضى أسره ثمانى سنوات. وقد ترك ديوانا في العربية والفارسية كليتهما. وقد ذكر السيد عبد الحي الحسني نموذجا من شعره العربي في نزهة الخواطر. ومن شعره قوله:

---

[1] تاريخ أدبيات مسلمانان باك وهندوستان: فياض محمود، ص٦٧

[2] عربي أدب مين هندوستان كا حصه: شمس تبريز خان، ص٧٤

الله جـــاء عصـــابة ودعـــتهم والدمـــع يهمى والفؤاد يهيم

قـــد كان دهرى جنة في ظلهم ساروا فاضحى الدهر وهو جحيم

كـــانوا غـــيوث سماحة وتكرّم فالـــيوم بعدهم الجفون غيوم

رحلوا على رغمى ولكن حبهم بـــين الفـــؤاد المستهام مقيم

قـــد خانهم صرف الزمان لأنهم كـــانوا كـــراما والزمان لئيم

طلّقـــت لذاتـــى ثلاثاً بعدهم حـــتى يعود العقد وهو نظيم

الله حيـــث تحملـــوا جاء لهم والأمـــن دار والسرور نديم

والعيش غض والـــمناهل عذبة والجو طلق والـــرياح نسيم[1]

قـــد نظّم هذه الأبيات على غرار الشعراء العرب الإسلاميين. ورثا بها جماعة فارقته، وله أسلوب رائق ومعنى رقيق فيها.

مســـعود بن سعد بن سلمان اللاهوري: هو أول شاعر هندي نظم أبياتاً من الشعر في العربية. انتقل أبوه من همدان إلى الهند وأقام بلاهور وقد ذكره محمد العوفى في كتابه "لباب الألباب" إنه ولد ونشأ بهمدان ولكن الحقيقة هي أن مسعود قد ولد بمدينة لاهور ونشأبها. يقول الدكتور زبيد أحمد ناقلا من ميرزا محمد بن عبد الوهاب القزويني كلامه "إن مسعود قد ولد وجئ به إلى لاهور.[2]

وقـــد أكـــثر في الشـــعر وترك لـــه ثلاثة دواوين في اللغات الثلاث: العربية والفارسية والهندية: ديوانه الفارسي متواجد مع الناس ولكن الديوانين العربي والهندي قد ذهبت بهما الأيام ومرور السنين. ومن شعره قوله:

---

[1] نزهة الخواطر: عبد الحي الحسني، ص٦٥

[2] The Contribution of India to Arabic Literature by Zubaid Ahmad, p.٢٣٧

ثــق بـــالحسام فانه ميمون أبدا وقل للنصر كن فيكون[1]

ومن شعره: قوله

قد ركضت في الدجى علينا دهمـــا خداديـــة الاعنة

فـــبت اقـــتا فـــكانت حبلى نهاديـــة الأجنة[2]

ومن شعره قوله:

ولـــيل كأن الشمس ضلت ممرها ولـــيس لها نحو المشارق مرجع

نظـــرت الـــيه والظـــلام كأنه على العين غربان من الجو وقع

فقلـــت لقلبى طال ليلى وليس لى من الهم منجاة وفي الصبر مفزع

أرى ذنب السرحان في الجو ساطعا فـــهل ممكن أن الغـــزالة تطلع[3]

وقد ذكر غلام علي آزاد البلكرامي أن في هذه الأشعار إيهام وتورية[4] الإيهام أو التورية هو أن يدل لفظ واحد على معنيين أو اكثر ولكنه يبدو كأنه استعمل لمعنى واحـــد. هنا تورية في كلمتين من الشعر الأخير وهما ذنب السرحان والغزالة. ولهما معنـــيان أحدهمـــا ذنـــب الذئب معنى حقيقي والثاني النجوم. وللثاني "الغزالة" معناه الأصلى أي الظبية والثاني "الشمس".

عهد السلاطين الخلجية

بعد الدولة الغزنوية ظهرت الإمارة الغورية التي حكمت عشرين سنة فحسب

---

[1] الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني، ص٤٤

[2] نزهة الخواطر: عبد الحي الحسني، ص٨٩

[3] The contribution of India to Arabic literature by Zubaid Ahmad, p.٢٣٨

[4] سبحة المرجان: غلام آزاد بلكرامي، ص٦٩

و لم تنجـــب هذه الإمارة شعراء متفوقين إلا العلماء والفقهاء والمتكلمين الذين كانوا متفردين في مجالاتهم منهم الخواجه معين الدين الجشتي وتلميذه الباز قطب الدين بختيار الكعكـــى وفخـــر الدين الرازي. ثم قامت بعدها إمارة سلاطين المماليك التي أسسها قطـــب الدين ايبك وجعل دلهي عاصمة للحكومة الإسلامية في الهند فاصبحت دلهي مركـــزا كـــبيرا للعلـــوم الإسلامية. ومن علماء ذلك العصر الشيخ حسن بن محمد الصغاني وكان خبيرا في علم اللغة والقاضى حميد الدين الناغوري ومحمد بن إسماعيل الذي هاجر إلى دلهي من الخارج.

جـــاء عهد السلاطين الخلجية بعد هاتين الإمارتين أسس هذه الإمارة جلال الدين فيروز الخلجي وارتقى عرش المملكة عن عمر يناهز سبع عشرة سنة. كان يقدر العـــلم ويشرف على العلماء، كان منصفا ومواظبا على الشريعة الإسلامية وعطوفا برعيته وملكا يحب العلم ومن مسترشدى نظام الدين أولياء وكان أمير خسرو شاعرا في بلاط الملك وحكم هذا الملك الذكي ست سنوات فحسب لأنه تم إغتياله على يد ابن أخيه سنة ٦٩٦ الهجرية واعتلى عرش المملكة السلطان علاء الدين الخلجي الذي كـــان مـــدة حكومته عشرين سنة كان علاء الدين الخلجي أمياً و لم يكن راغبا في الدراسة ولكن بلاطه كان مكتظا بالعلماء. ونقل الدكتور زبيد أحمد عن ضياء الدين الـــبرني. كلامه "إن علاء الدين كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولكنه كان دائما يصادق رجال العلم حتى أننا نجد ضياء الدين البيانوي وظهيرلنك والقاضي مغيث الدين.[١]

ومـــن الشعراء البارزين الذين قرضوا أشعارا في العربية هو أمير خسرو مع أن هذا الشاعر الكبير قد إشتهر بالفارسية.

---

[١] The contribution of India to Arabic literature by Zubair Ahmad, p٣٠

أمـــير خســـرو: هو خسرو بن سيف الدين محمود الدهلوي المعروف بأمير خســـرو. ولـــد في سنة ٦٥١ الهجرية. يعد من أشهر شعراء الفارسية بالهند كما أنه طارصـــيته في الشعر العربي. وقد تفرد بالشعر والحكم والموسيقى والبلاغة و لم يكن لـــه مثيل في فن الموسيقى. وقد إخترع بنفسه زخارف كثيرة منها "القول" و"ترانه" و"خيال" و"نقش" و"بسيط" وغيرها.

نشأ بدلهي في عهد السلطان غياث الدين بلبن. وحضر بلاطه وغيره من الملوك والأمـــراء وحصـــل على الجوائز والصلات الكثيرة منهم. وقد ترك خلفه مصنفات عديـــدة أشهرها الاعجاز الخسروي" فيه قصيدة عربية لـــه. ولـــه خمسة دواوين في الفارســـية منها "تحفة الصغر" و"وسط الحياة" و"غرة الكمال" و"البقية النقية" و"نهاية الكمال" اشتهر أسره عندما كان على قيد الحياة حتى طارصيته إلى أقصى إيران. ونقل الســـيد عبد الحي الحسني عن ضياء الدين البرني كلامه "إنه كان ملك ملوك الشعراء مـــن السلف إلى الخلف لم يكن لـــه نظير في اختراع المعاني وكشف الرموز الغريبة وكثرة المصنفات فإنه كان بعض الشعراء متفردين في فن أو فنين فانه كان متفردا في جمـــيع الفـــنون الشعرية. قال: مع ذلك الفضل والكمال لـــه. كان صوفيا، مستقيم الحـــال. صرف اكثر عمره في الصيام والقيام والتعبد والتلاوة. وكان صاحب وجد حالة وماهرا في علم الموسيقى علما وعملاً."[١]

توفى أمير خسرو سنة ١٧٢٥ الهجرية.

من شعره قوله:

ذاب الفؤاد وسال من عيني الدم وحكى الدوامع كلها أنا اكتم

---

[١] نزهة الخواطر: عبد الحي الحسني، ص٤١-٤٢

واذا أبحت لدى الورى كوب النوى تـــبكى الأحبة والأعادى ترحم

باياعـــاذل العشـــاق دعنى باكيا إن الســـكون عـــلى المحب محرّم

من بات مثلى فهو يدرى حـــالتى طـــول الليالى كيف بات متيم[1]

ومن شعره ما مدح به السلطان علاء الدين الخلجي قوله:

في مهجـــتى سكنت محبتها كما مـــدح المليك المستعان الأعظم

اعـــنى علاء الدين سلطان الورى ملـــك تولـــد مـــن سلالة آدم

عـــين الحـــيا بل عينه عين الحيا يم الـــندى بـــل كفه عين اليمّ

مـــن جوده الفياض قد يحكى اذا نعـــب الغراب على رميم الحاتم

مـــا كـــان يعطش سيفه بقرابه إلا ويسقى من كؤوس جماجم

رشـــح لمدحـــتك العليه خسرو بالشـــعر ليس كمثله في العالم

كـــن بالخلود على الارائك قاعدا فـــأنا أخصك بـــالبقاء والدائم[2]

ومـــن شعراء ذلك العصر الشيخ نصير الدين المعروف بشراغ دلهي (مصباح دلهي) تلميذ الشيخ نظام الدين أولياء. ويمدح أستاذه شمس الدين يحي الأودى. قوله:

سألت العلم من أحياك حقا فقال العلم شمس الدين يحي[3]

وكلمة يحي هنا تورية اذا قرئت بضم الياء الأولى.

وانتهـــت الإمـــارة الخلجية باغتيال قطب الدين مبارك الخلجي و لم تكن فيه مؤهلات لادارة الحكومة.

---

[1] نزهة الخواطر والثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني، ص٤٢ و ٤٤ على الترتيب

[2] The Contribution of India to Arabic literature by Zubaid Ahmad, p. ٢٣٩-٤٠

[3] سبحة المرجان: غلام آزاد بلكرامي، ص٢٠

عهـــد أســـرة تغلـــق: بعد ما تم اغتيال مبارك الخلجي تولى منصب الإدارة والإمارة خسرو خان. و لم يكن رجلا مسلما بل كان هندوكيا. أما إسمه خسرو خان فـــلم يكن إسما حقيقيا بل انعم عليه قطب الدين مبارك بن علاء الدين الخلجي بهذا اللقـــب. وكان جل عنايته في تنمية التقاليد والعادات غير الإسلامية وشمر عن ساقيه لازدراء الإســـلام وقتل كثيرا من الأمراء من الأسرة الخلجية واضطرب الناس وخافوا أن تنـــتهى الحكومـــة الإسلامية من الهند حتى احتاروا غازى ملك محافظ ملتان أميره الذي قاتل خسرو خان وهزمه شر هزيمة مع أن جيشه كان كبيرا.

ارتقـــى عرش المملكة غياث الدين تغلق سنة ٧٢٠ الهجرية كان رجلا كريما ومتديـــنا وكان مدة حكومته اربع سنوات. وقام في هذه الفترة القصيرة بما لم يقم به كـــثير من السلاطين في فترة طويلة. كان علماء عصره البارزون هم الذين عاشوا في عصـــر علاء الدين. بعد وفاته تولى منصب الإدارة إبنه محمد تغلق سنه ٧٢٥ الهجرية إنه كان عالما فقيها وسلطانا ذكيا وخطاطا بارعا وحافظا للقرآن. وكان يشرف على العـــلم ويقدر العلماء ويعترف جميع الناس بمؤهلاته. وكانت السنوات العشر البدائية مـــن عصره ذات ثروة ورخاء. ولكنه مع ذلك قد الحق ببلاده الضرر أكثر من إفادتها من أعماله الخرقاء. وقد أضطر غير مرة إلى نسخ الأوامر التي أصدرها بنفسه. ويقول ثـــروت صـــولتْ "إن الســـنوات العشر البدائية من عصره كانت ذات رخاء وثراء وكانت مملكة دلهي في أوج رقيها ونقل محمد تغلق العاصمة من دلهي إلى دولت آباد ســـنه ١٢٢٦م لكنه عندما شعر بصعوبات الناس فالغى هذا الأمر بعد عشر سنوات فصـــارت دلهـــي عاصـــمة مرة أخرى في سنة ١٢٣٧م وكذلك تفنن بترويج عملة

النحاس في سنه ١٣٣٠م ولكنه أضطر إلى إبطاله أيضاً من أجل الخسران.[١]

ومن المحير أن محمد تغلق بنفسه كان عالما ويقدّر العلم والعلماء ولكن ازدهام العلماء الذي كان في عصر علاء الدين الخلجي الأمي لم نره في عهد محمد تغلق وسبب ذلك أن مستوى العلم والمعرفة لم يزل كان على انخافض. مع أن محمد تغلق كان يقدر العلوم ولكن عدد البارعين في عصره لم يكن بمقدار ما كان في عصر علاء الدين.

ظهرت دول عديدة في عصره ولا يخمد محمد تغلق ثورة إلا تندلع أخرى. خرجت بنغال أولا من نفوذه وفي سنة ١٣٣٥م قامت حكومة اسلامية مستقلة في جنوب شرق الهند وكذلك تحررت دكن أيضاً في سنة ١٣٣٧. وفي النهاية كان محمد تغلق مشغولا في إخماد الثورة بالسند حتى توفى في سنة ١٣٥١م.

بعد وفاته إعتلى عرش المملكة ابن عمه فيروز شاه تغلق وكان عطوفا برعية وأطلق سراح الأسرى الذين حبسهم محمد تغلق في السجن وقدّم التعويضات عن الذين قتلهم محمد تغلق إلى ذويهم وردّ الممتلكات إلى أصحابها وكان يستنكر الدماء. وعليه لم يحاول أن يضم إلى دلهي تلك الولايات التي خرجت في زمن محمد تغلق. كانت حكومته ذات رخاء وهناءة العيش. ومن علماء ذلك العصر الذين يستحقون الذكرهم مجدد الدين الفيروز آبادي ومولانا أحمد التانيسري والقاضي شهاب الدين الدولت آبادي والقاضي عبد المقتدر الكندي. كان مولانا أحمد التانيسري وعبد المقتدر الكندي شاعرين بالعربية. قرض أحمد التانيسري القصيدة الدالية التي ذاعت سمعته وأما عبد المقتدر الكندي فكتب القصيدة اللامية رداً في لامية العجم.

---

[١] ملت إسلامية كي مختصر تاريخ: ثرون صولت، ص١٥٢

القاضـــي عـــبد المقتدر الكندى: هو الشيخ الإمام العالم الكبير العلامة عبد المقـــتدر بـــن محمـــود بن سليمان الشريحى الكندى بن القاضي ركن الدين الكندى الدهلوي. ولد ببلدة تانيسر ونشأ وترعرع بدلهي. أخذ العربية وسمع الكثير وبرع في الأدب والإنشـــاء وقرض الشعر ولازم الشيخ شمس الدين محمد بن يحي الأودى وقرأ عليه الكتب الدرسية وقرأ الكشاف والبزدوى على الشيخ نصير الدين محمود بن يحي الأودى.[1] وكـــان يتردد في أيام تحصيله إلى الشيخ نصير الدين محمود المذكور ويذكر المطالـــب العلمية عنده. عندما فرغ من الدراسة أخذ الطريقة عن الشيخ نصير الدين وعاش حياته في الدرس والتدريس. كان من الشعراء المفلقين وله قصيدة لامية أنشأها في تقليد لامية العجم. مطلعها:

يا سائق الظعن في الأسحار والأصل سلِّم على دار سلمى وابك ثم سل

ويـــرى الدكـــتور زبيد أحمد أن هذه القصيدة مليئة بالمحسنات البديعية. وفي الشعر الأول محسنات كما تلي:

١- جناس بالزيادة بين سلم، سلمى، وبين سلم وسل.

٢- مراعاة النظير

٣- صنعة الاشتقاق بين سلم وسلمى

٤- المقابلة أو التضاد بين الأسحاد والأصل.[2]

وقـــال عبد المقتدر الكندى هذه القصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. وتحـــتوى هـــذه القصيدة على ٤٩ بيتا. ولكن الباحث البارز مولانا امتياز علي خان

---

[1] نزهة الخواطر: عبد الحي الحسني، ص٢/٧٣

[2] The contribution of India to Arabic literature by Zubaid Ahmad, p.٢٤١

العرشي قد بحث عن ٩١ بيتا من هذه القصيدة. بعد ما حققها وشرحها قد نشرها في ثقافة الهند تصدر من دلهي في عدد سبتمبر ١٩٥٠م.[١]

ومن قصيدته قوله:

يا أيها الطفل أنت الطفل في أمل وشمس عمرك قد مالت إلى الطفل

فاقنع من بالأدنى تكن ملكا إن القناعة كنز عنك لم يزل

ولا تكن لمذيد من الرزق مضطربا واقنع بما قسّم القسام في الأزل

يا أيها الناس إن العمر في سفر وإن اوقاتكم، والله، كالظل.[٢]

هذه الأشعار من قصيدته تذكرنا بقصيدة زهبر بن سلمى صاحب المعلقات. ويمدح بالنبي صلى الله عليه وسلم.

محمد خير خلق الله قاطبة هو الذي جلّ عن مثل وعن مثل

له المزايا بلا نقص ولا شبه له العطايا بلا من ولا بدل

أتيتنا بكتاب جلّ منفعة وجئتنا بسبيل ناسخ السبل

رسل الإله عيون في خلقية وأنت فيها بعون الله كالكحل[٣]

الشيخ احمد بن محمد التانيسري: ولد الشيخ احمد بن محمد التانيسري بدلهي ونشأ بها. قرأ على القاضي عبد المقتدر الكندى صاحب "لامية الهند" حتى برع في الفقه والأصول والعربية. وكان شاعرا مجيدا. سمع الأمير تيمور عن علمه فاراده أن يذهب به معه. ولكنه رفض قال عبد الحي الحسني "إنه خرج من دلهي في فتنة الأمير

---

[١] عربي ادب مين هندوستان كا حصه: شمس تبريز خان، ص١٩٦

[٢] عربي ادب مين هندوستان كا حصه: شمس تبريز خان، ص١٩٧

[٣] نفس المصدر، ص١٩٨

تيمور سنة ٨٠١ الهجرية وكان الأمير يريد أن يستصحبه إلى سمرقند فأبي وخرج إلى كالبى وسكن بها.[١]

قال أحمد التانيسري قصيدة بديعة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم اشتهرت هذه القصيدة بـــ "القصيدة الدالية" مطلعها:

أطار لبّى حنين الطائر الفرد وهاج لوعة قلبى التائه الكمد

ومن شعره في مدح النبي قوله:

ولـــيس في الدين والدنيا وآخرتى سوى جناب رسول الله معتمدى

العـــدل ســـيرته والفضل طينته والبذل شيمته في الوجد والوبد

أفديك بالروح والقلب المتسوق معا والنفس والمال والأهلين والولد

يـــارب صـــل وسلم دائما أبدا عـــلى الـــنبي نبى الحق والرشد

محمـــد أحمـــد الهـــادي لأمتـــه إلى الصراط صراط غير ملتحد[٢]

---

[١] نزهة الخواطر: عبد الحي الحسني، ص٣/٨

[٢] نفس المصدر، ص٣/٩

الفصل الثالث

الشعر العربي في عهد مغول

قد تحدثت في الفصل السابق عن خلفية الشعر العربي في الهند عبر العصور التي حكـــم فيها السلاطين الخلجيون والأمراء الغزنوين. أحاول في هذا الفصل أن اسلّط الضـــوء على الشعر العربي وأسلوبه ومضمونه خلال العصر المغولي. ولكنه قبل ذلك يحسن لي أن أذكر خلفية هذا العصر بالإيجاز.

كـــان السلطان إبراهيم اللودي أميرا أخرا لعهد الأسرة اللودية. كان متصفا بمحاسن حميدة. لكنه مع ذلك أصبح عرضة لمكايدة مستشاريه الكاذبين الذين أساءوا ظنه بكثير من أعضاء دولته. فاضطرب بعض أمراء دولته من سوء تصرفاته واضطروا إلى الـــلجوء إلى من يخلصهم من سوء تصرفات اللودي. تنسب قد هذا الاضطراب الداخـــلي إلى دعـــوة بابر إلى بلاد الهند. ويقول الشيخ محمد إكرام في كتابه "رود كوثر". "جاء بابر إلى بلاد الهند ملبيا نداء بعض أمراء الهند الذين كانوا مضطربين من تصرفات إبراهيم اللودي. وبعد أن هزمه في معركة وقعت بينهما في "باني بت" سنة ١٥٢٦م واستولى بابر على دلهي.[١]

بابـــر: أسس السلطان ظهير الدين بابر الدولة المغولية. هذا الملك الجبار الذي هـــو من سلالة جنكيز خان وتيمور لنك ارتقى عرش الإمارة بمدينة فرغانة عن عمر يـــناهز إحدى عشرة سنة. عندما كان في الثاني عشر من عمره توفى ابوه وأحاط به أعداءه من جميع الأطراف و لم تكن هذه الأعداء إلا أعمامه وأخواله الذين يرغبون في الاســـتيلاء عـــلى فرغانة وقد حاول محمد بابر غير مرة أن يسيطر على سمر قند لكنه خاب في سعيه في المرة الأولى سنة ٩٠١ الهجرية لكنه ظفر بالسيطرة عليها سنة ٩٠٢

---

[١] رود كوثر: الشيخ محمد إكرام، ص٢١

الهجرية واستغرقت هذه السيطرة مائة يوم فحسب لأنه أضطر إلى مغادرة سمر قند من أجـــل الـــثورة بها. ولكنه لم تضعف قواه حتى استولى على سمر قند مرة أخرى سنة ٩٠٦ الهجـــرية ولكـــن هذا الظفر أيضا كان مؤقتا كان يتخبط حتى فتح كابل سنة ٩١٠ وأقام دولة قوية هنا وحكم عليها ست عشرة سنة.

كـــان ظهير الدين محمد بابر كريما جوادا مؤاسيا وعادلاً. وكان أمير السيف والقلم معا وقد أظهر هذا جيدا فيما كتب. كان بابر أديبا رقيقا وكاتبا قديراً. كتب ســـيرته الذاتية "تزك بابري" التي تسمى بـــ "بابر نامه" وهي تعد من عمله العبقرى الذي يدل على أسلوبه البديع. يقول الدكتور غوستاف لوبون "فعدت مذكرات بابر التي شبهت بتفاسير يوليوس قيصر نموذجا حسنا في الآداب. ومن هذه المذكرات نعلم جمـــع المغـــولي بين الوحشية والمدنية علماً أحسن مما في جميع كتب المؤرخين.[١] وقد نقلت سيرته الذاتية هذه إلى عدة لغات عالمية.

لم يكن بابر قائد الجيش اللائق فحسب بل كان مع جبروته شاعرا مجيدا، وقد عـــبر عمـــا كان يخالج في صدره من المشاعر والعواطف في اللغتين الفارسية والتركية وكان يعد من الشعراء العباقرة. ويقال "إنه لم يكن لـــه كفو في قرض الشعر التركي إلا أمـــير عـــلى شير بيغ النوائي" ويقول المؤرخ فرشته "لم يكن لـــه مثيل في علوم الموسيقى والشعر والإنشاء.[٢]

كان بابر هذا يتكلم المغولية والعربية والفارسية وكان لـــه إلمام باللغة الهندية وقـــد ترك ديوانا لـــه في التركية والفارسية أيضاً. وتوفى ظهير الدين محمد بابر سنة

---

[١] حضارات الهند: الدكتور غوستاف لوبون، تعريب عادل زعتير، ص٤٣٥

[٢] تاريخ فرشته: ج١، ص١١١

١٥٣٠م وتولى عرش المملكة ابنه همايون.

هـــمايون: عندما جلس همايون على عرش المملكة لم يكن يبلغ من عمره إلا ثلاثـــين ســـنة. كان كريماً صالحا ورحيما مثل أبيه. كان فيه ذوق لطيف يرغب في الأشعار ربما كان يقرض الأشعار في اوقات الفراغ ويروى أنه قد رتب ديوانا كاملا ونقل الدكتور شبير أحمد القادر آبادي عن صباح الدين عبد الرحمن كلامه أن السيد حسن العسكرى أستاذ التاريخ في كلية بتنة قد بحث من هذا الديوان وأصدره من بتنه وكتب لـــه الحافظ شمس الدين أحمد.[١]

واشـــترك همايون مع أبيه في معظم المعارك منها معركة باني بت وفتح آغرة. ولكنه مع ذلك كان كسولا متساهلا و لم يتغلب على الجيش وقوّاده كليا كما تغلب علـــيهم ابوه بابر حتى غزا شير شاه السوري على دلهي سنة ١٥٤٠ وفتحها بعد أن هـــزم السورى همايون ولكن مدة دولتهم كانت خمس عشرة سنة حتى استرد همايون حكومته المفقودة الأسرة السورية في سنة ١٥٥٥. وتوفى بعد سنة واحد.

جـــلال الديـــن محمد أكبر: ولد محمد أكبر سنة ١٥٤٢م وكان هذا عصر الاضـــطراب والقلق لأن السلطان شير شاه السوري قد هزم آباه همايون قبل ولادته بسنتين وكان همايون يتخبط من هنا إلى هنا.

ارتقى جلال الدين محمد أكبر العرش سنة ١٥٥٦ عن عمر يناهز اربع عشرة سنة من أجل حداثة سنّه تولى ادارة المملكة مربيه الوفى المخلص السيد بيرم خان. عند مـــا تـــولى زمام أمور المملكة بيده سنة ١٥٦٠م تدعمت حكومته حتى أنه قدر على

---

[١] عربي زبان وادب مغليه عهد مين: شبير احمد القادر آبادي، ص٦٦

القيام بالإجراءات العسكرية ضد الحكومة الإقليمية. حكم أكبر خمسين سنة. مع أن أكبر كان أميا ولكنه قد دبر أمور مملكته حيث أنه حيّر الناس.

كـــان أكـــبر أميا مع ذلك كان يشرف على العلم والمعرفة وقد أنجبت الهند عـــلماء عظامـــا في عهده، منهم المجدد الف الثاني وعبد الحق و لم تكن لهما أية صلة بالبلاط وعمل هؤلاء العلماء دون أية رعاية الملك كما فعل الإمام ابو حنيفة والإمام الشافعي في العصر العباسي والإمام الغزالي وعبد القادر الجيلاني وابن الجوزى في عهد السلجوق وابن تيمية في عصر مملوكى مصر.[1]

ومن شعراء عصره الفيضى المعروف بملك الشعراء نذكره فيما بعد.

سليم جهانكير: بعد أكبر اعتلى عرش المملكة إبنه نور الدين جهانكير إنه قد ورث حســـن الـــتدبير عـــن أبيه ومذاق العلم والأدب عن جده. نشأ في عهد العلم والمعرفة. كان لـــه ذوق لطيف وخيال بديع واسلوب رائع عندما بلغ من عمره اربع ســـنوات وأربعـــة أشهر وأربعة أيام أدخله ابواه في المكتب كان معلموه بارعين حتى ابلغته عنايتهم الفائقة به إلى أوج العلم والأدب.

كان جهانكير كاتبا رفيعا واديبا متوقدا بالاضافة إلى كونه شاعرا مجيدا ونقادا حاد الذهن. وله مقدرة كاملة في الغزل واستخدام الألفاظ الملائمة. و لم يكن يتحمل مذاقه الأدبي الالفاظ الثقيلة والتعبيرات الفاحشة وعمله العبقرى عبارة عن كتاب لـــه بالفارسية يسمى بـــ "تزك جهانكيري" كتبه على منوال بابر. وهو سيرته الذاتية توفى جهانكير سنة ١٦٢٧م.

شاه جهان: بعد جهانكير ارتقى عرش المملكة إبنه شاه جهان سنة ١٦٢٧م.

---

[1] ملت اسلامية كي مختصر تاريخ: ثروت صولت، ج٢، ص٢٨

إنـــه كـــان يعرف اللغات العربية والفارسية والتركية والهندية.[1] ولكنه لم يكن مولعا بالعلم والدراية كما كان بابر وهمايون وجهانكير. بل كان راغبا إلى الإنشاء والتشييد فلهذا نرى أنه لم يترك آثارا أدبية بل ترك آثارا بنائية كالمسجد الجامع والقلعة الحمراء بدلهي والتاج محل بآغرة. وقال بضعة أبيات من الشعر وهي موجودة في "عمل صالح" لمحمد صالح كنبوه و"بادشاه نامه" لعبد الحمدي اللاهوري ولكن هذه الأشعار بسيطة وساذجة.[2]

كان شاه جهان بنفسه رجلا مثقفاً وكان عصره عصر رخاء وغناء وقد اعتنى إلى المباحـــث العلمية بالاضافة إلى الإنتصارات الوطنية وقد أشرف على العلماء وقدر العـــلم تقديرا حتى تفوق على أبيه جهانكير وجده أكبر. حضر مرّة بلاطه سفير ملك إيـــران وكـــان عالما أعمى وبرع في العلوم النقلية والعقلية. وقعت مناظرة بينه وبين عـــلماء البلاط وهزمهم وقد أساءت هذه الهزيمة الملك وتشاور وزيره في هذا الصدد. أشـــار الوزير على الملك أن يدعو الملا محمود الجونفوري جاء محمود ولقى السفير في الـــبلاط وناظـــره في "هـــيولى" حـــتى أعجزه بدلائله القوية فاعجب الملك بمحمود الجونفـــوري وتصدق عليه بالذهب والفضة وارسل ابنه محمد شجاع اليه للحصول على العلم.[3]

ومـــن عـــلماء عصره عبد الحكيم السيالكوتي وعبد السلام اللاهوري وعبد الرشيد الجونفوري. توفى شاه جهان سنه ١٦٥٧م.

---

[1] بزم تيمورية: صباح الدين عبد الرحمن، ص١٧٠

[2] عربي زبان وادب عهد مغليه مين: شبير أحمد القادر آبادي، ص١٨٦

[3] هندستان كى سلاطين اور علماء: صباح الدين عبد الرحمن، ص٣٧

أورنـــك زيب: قد ارتقى العرش محي الدين أورنك زيب بعد أبيه شاه جهان ســـنة ١٦٥٧م. وهو أمير عظيم من الأمراء المغوليين في الهند. كان يتصف بصفات حمـــيدة ومؤهلات عديدة. إنه كان كريما فطينا وشجاعا من حداثة سنه وربّاه ذووه أحسن تربية. كان مولعا بالمطالعة وكان يطالع "إحياء العلوم" للغزالي وأشعار شرف الديـــن يحـــي المنيرى ورسائل الشيخ زين الدين وقطب الدين محي الدين الشيرازي. وكذلك كان اورنك زيب يدرس كتب التفسير والحديث والفقه. وكان لـــه مقدرة تامة في الكتابة والإنشاء. قد برع اللغتين العربية والفارسية وكان يعرف اللغة الهندية واللغة التركية.

ومـــن العجـــب أنـــه لم يكـــن في بلاطه شاعر خاص به و لم يشجع الشعر والأشـــعار. مـــع أنه كان لـــه مذاق لطيف في الشعر وكان يزين كتاباته بالأشعار البليغة حينا بعد حين. كان يدرس دواوين السعدى والحافظ والفاني الكاشميري على وجـــه خاص وكان يحفظ الأشعار عن ظهر قلبه قدم إليه بخشى الممالك مخلص خان ديـــوان الصـــائب كان فيه مأة الف شعر وقد تمتع اورنك زيب بقراءة الأشعار التي كانت تتناول التصوف.[1]

عصر عالمكير جدير بالذكر بحيث أنه كان فيه شعراء كانوا يقرضون أشعارهم في اللغـــة العربية منهم الشيخ أحمد المعروف بملاجيون الذي كان شاعرا مجيدا وقال قصـــيدة طويلـــة تحتوى على ٢٢٠ بيتا على منوال قصيدة البردة. عندما وصل جدة لاداء فريضة الحج كتب شرح تلك القصيدة. وخلال إقامته بالجاز كتب ٢٩ قصيدة

---

[1] بزم تيمورية: صباح الدين عبد الرحمن، ص٢٦٠

أخرى ونال تشجيعا وإستحسانا من علماء مكة والمدينة المنورة.[1]

والشـــاعر الـــثاني من عصره في العربية الشيخ غلام نقش بند اللكنوي لـــه قصيدة غرّاء بالعربية اذكره في مكانه إنشاء الله.

هذه خليفة سياسية وعلمية لسيادة المغول في الهند. وسيادتهم في الهند تمتد حتى ســـقوطها في أيـــدى الإنجليز سنة ١٨٥٧م. وكانت السيادة عندئذ في يد بهادر شاه ظفـــر. ولكنني أكتفى ببداية السيادة المغولية حتى عصر اورنك زيب لأن هذا العصر المذكـــور كان عصر الازدهار لا في السياسة والسيادة فحسب بل في العلم والمعرفة والأدب أيضا.

يحلـــو لى أن ألقـــى نظرة خاطفة على اللغة الرائجة في هذا العصر. إن كتب الـــتاريخ تخبرنا بأن اللغة الرسمية كانت لغة فارسية. وكان الشعراء يعبرون عما كان يختـــلج في قلوبهم من مشاعر وأحاسيس في الفارسية والكتاب كانوا يؤدون مطالبهم بالكتابة في هذه اللغة. وظهرت كتب لا يستهان بها في تفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والتاريخ والسير في الفارسية حتى عامة الناس كانوا يتحدثون بالفارسية ولهذا نـــرى أن الكتـــب الـــتي ظهرت على حيز الوجود في هذا العصر كان معظمها في الفارســـية. سبب ذلك أن الملوك والأمراء الذين كانوا يحكمون البلاد كانت لغتهم اللغـــة الفارســـية. وعناية الملوك والأمراء بأية لغة ينطقها ويستعملها كأداة الإبلاغ والتبليغ تساعد في ازدهارها وتطورها.

ولا شك في أن اللغة الرسمية عندئذ كانت لغة فارسية ولكن الأمراء المغولي مع ذلك لم يعاملوا اللغة العربية معاملة سيئة. وله أسباب.

---

[1] نزهة الخواطر: عبد الحي الحسني، ج٦، ص١٩

السـبب الأول هـو أن معظمهم كانوا يلمون باللغة العربية فاشرفوا عليها وقدروهـا أحسـن تقدير حتى جلب بعضهم العلماء والشعراء إلى بلاطهم. ويقول الدكتور غوستاف لوبون "وسار المغول على غرار المسلمين الآخرين فأداموا حضارة هؤلاء محبين للآداب والعلوم والفنون حبا جما. فرحبوا بالشعراء والعلماء ورجال الفن مهمـا كان جنسهم. و لم تكن العلوم دون الفنون حظوة في دولتهم فأنشأوا المدارس وأقـاموا المراصد. وحب المغول لعلم الفلك ورثوه كابرا عن كابر. فقد جلب خان المغـول هلاكـو إلى بلاطه أشهر علماء العرب وأقام في مراغة مرصدا كبيرا سنة ١٢٥٩م.[١]

والسـبب الثاني هو أن شجيرة اللغة العربية التي غرسها التجار العرب في الهند وسقاها محمد بن قاسم الثقفى وقواده قد أصبحت شجراً قويا على مر السنين وجعل هذا الشجر القوى يثمر ثمارا شهية في عهد السلاطين وعهد الملوك المغوليين و لم يذبل هذا الشجر الخضر حتى في عهد الاستعمار البريطاني.

والسـبب الثالث هو أن اللغة العربية لغة الدين ولغة القرآن والحديث. وتمت كـتابة معظـم الكتب للتفسير والحديث والفقه وفروعهما في العربية وعليه أضطر المسلمون إلى دراسة العربية وتعلمها. واستقبلها المسلمون ورحبوا بها حيث وصلت. هؤلاء السلاطين والملوك المغوليين كانوا مسلمين فتعلموا العربية وأتقنوا فيها بالاضافة إلى تقديرها والإشراف عليها. فلهذا نجد أن الهند قد انجبت علماء وشعراء بارزين لا مثيل لهم منذ دخلت العربية الهند وظهر عدد كبير من الشعراء.

أبـو الفـيض بـن المـبارك الناغوري: هو الشيخ أبو الفيض بن المبارك

---

[١] حضارات الهند: الدكتور غوستاف لوبون، تعريب عادل زعتير، ص٤٣٤

الـــناغوري. ولـــد بمدينة آغرة سنة ١٥٤٧م. كان لـــه ذهن خصب وفرغ من الدراسة عن عمر يناهز الرابع عشرة سنة. قرأ العلم على والده وأخذ بعض الفنون العربـــية عن الشيخ حسين المرزوى. ثم أقبل على قرض الشعر اقبالا كليا. وخاض كثيرا في الحكمة والعربية.[١] ولم يكن لـــه مثيل في الشعر والعروض والقافية واللغة والتاريخ واللغز والانشاء والطب.[٢] وقد ترك لنا مؤلفات عديدة تدل على مقدرته الكاملة على العلوم الأدبية. منها "موارد الكلم" الغير المنقوط في الأخلاق وترجمة لـــيلاوتي في الحساب والمساحة وأشهر مصنفاته "سواطع الألهام" في تفسير القرآن وهو أيضاً عير منقوط.

قال الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي في كتابه في أخبار الشعراء: إنه كـــان ممن تفرد في عصره بالفصاحة والبلاغة والمتانة والرصانة ولكنه لوقوعه وهبوطه في هاويـــة الكفـــر والضـــلالة أثبت على جبينه نقوش الرد والانكار والإدباد لذلك يستنكف أهل الدين والملة وأحباء النبي صلى الله عليه وسلم.[٣]

توفى سنة ١٥٩٩م. ومن شعره قوله في مدح الملك محمد أكبر.

صـــاح صاح الحمام حول كمام　　دور ورد أرد صـــواع مـــدام

لاح دار الحمـــل وحـــال الحول　　دار كـــأس المـــدام رأس الآكام

وهـــو وال محمـــد اسمـــه　　طـــول الله عمـــره وأدام

ملـــك العصـــر إسمـــه الأسعد　　مـــع إســـم المصـــور العـــلام

---

[١] نزهو الخواطر: عبد الحي الحسني، ج٥، ص٣٠

[٢] نزهة الخواطر، ج٥، ص٣٠، وتذكره علماء هند: رحمان علي، ص٧٧

[٣] نفس المصدر، ص٣١

واســـع العـــلم مكـــرم العلماء مســـعد العـــلم ومصعد الإسلام

عـــامـــر المـــلك آمـــر العـــالم ساعد العدل صـــاعد الاعلام[1]

الشـــيخ غـــلام نقشبند اللكنوي: هو الشيخ غلام نقشبند بن عطاء الله بن حبيب الله بن أحمد بن ضياء الدين اللكنوي. ولد سنة ١٠٥١ الهجرية بقرية "غوسى" تلمذ على مير محمد شفيع بن محمد مقيم الدهلوي وفرغ من الأخذ والقراءة في الثامنة عشر من عمره وقرأ على الشيخ بير محمد اللكهنوي القدورى وشطرا من البيضاوى. عـــندما بلـــغ إحدى وعشرين سنة من عمره قرأ "فاتحة الفراغ. وكان الشيخ غلام نقســـبند من كبار الأساتذة لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها متوفرا على علوم الحكمة.[2]

وله تفسير القرآن المسمى بالأنوار وفرقان الأنوار واللامعة العرشية

في مســـألة وحدة الوجود. وله شرح القصيدة الخزرجية في العروض والقافية وقصائد غراء بالعربية من شعره قوله في مدح شيخه مير محمد شفيع. مطلعها:

خليـــلي هل هاتان دارة جلجل ودارة ســـلمى في قفاف عقنقل

عليها سوارى المزن سحت مطيرة فمحـــت مبانيها محوح المهلهل

أمـــنـــزل سلمى هل تفرج غمتى وتكشف عما ظعن ذات التدلل

فمنذ غداة البين قد بتُّ في الهوى بصـــدر جوى أو بقلب مقتل

معارفـــه جلـــت معاليه قد علت أشـــم جـــبال بالفخم مفضل

---

[1] نفس المصدر، ص٣٣

[2] نزهة الخواطر: السيد عبد الحي الحسني، ج٨، ص٢٢٠

لديـــه علـــوم لا يـــرام فـــناءها وأســـرار لوح في الأسارير تجتلى

و لم يؤثـــر الدنـــيا الدنى نعيمها ويـــنعم عند الله أحسن مفضل

شفيعي ليوم الحشر حرزى ومؤئلى ووجهة قلبى غوث كل مومل

لكـــل عصام واعتصامى بفضله كفانى قواما ذات يوم التجلجل

يطوف حـــواليه المكارم والعـــلى طـــواف حجـــيح حـــول بيت مبجل[1]

لـــو نمعـــن النظر في هذه القصيدة وأسلوب الشاعر نجد أنه خطا خطوة الشـــعراء العـــرب ولا سيما الشعراء الجاهليين. ونظم هذه القصيدة على غرار معلقـــة إمرئ القيس. بدأ الشيخ غلام نقشبد قصيدته بالتشبيب كما نرى في الأبيات الأربعة الأولى وذكر الديار ومنـــزل حبيبه. واستخدم الألفاظ المألوفة لـــدى الملـــك الضـــليل في معلقته كأمثال "دارة جلجل" و"سلمى" و"التدلل" وغيرهـــا. ثم تخلص من التشبيب إلى غرضه الحقيقي وذلك مدح شيخه. وأجاد فيه بروعة البيان وانتقاء الألفاظ الجيدة.

الســـيد عـــبد الجليل البلكرامي: إنه قد عاش في عصر الملك المغولي اورنك زيـــب. وقـــد قـــال هذا الشاعر أشعارا جيدة في اربع لغات وهي العربية والفارسية والتركـــية والهندية. ويقول عنه إبن معصوم في كتابه "سلافة العصر" إنه لم يرق الهند نظـــيرا لـــه.[2] ويتكلم غلام علي آزاد البلكرامي "حسان الهند" على شعره فيجعله في

---

[1] نفس المصدر، ج٦، ص٢٢١-٢٢٢

[2] سبحة المرجان: غلام علي آزاد البلكرامي، ص٨٠

درجة عالية.[١] ويقول الدكتور زبيد أحمد "إن عبد الجليل كان خبيرا في شعر التاريخ الجملى.[٢]

نمـــوذج مـــن تاريخاتـــه الذي نظمه عندما فتح الامبراطور اورنك زيب قلعة "ستارة" فيقول:

لمـــا توجـــه السلطان الأنام إلى رب الســـموت في تأييد إسلام
أقـــرّ إبهامـــه في أصـــل خنصره لـــورد يـــا قادر أفتاح أكمام
فصار حين إفتتاح الإسم مفتتحا حصنًا لمن عبدوا أحجار أصنام
نظـــرت في الفـــات وهي أربعة مـــن فـــوق إبهام من غير إبهام
لله تلـــك يـــد بيضاء قد بزغت للـــناظرين فيا للمعجز السامى
هذا البـــديع مـــن التاريخ أنشأه عبـــد الـــجليل بتأييدات الهـــام

قـــال السيد عبد الجليل البلكرامي هذه الأبيات عندما فتح اورنك زيب قلعة ســـتارة ســـنة ١١١١ الهجرية. يقول إن الملك يسبح ويحصى تسبيحة وعند إحصاء التســـبيح يضـــع أعلى أبهامه على خنصره من نفس اليد وترتفع أصابعه الأربعة على شـــكل ١١١١ وهذا يدل على رقم السنة التي فتح عالمكير فيها القلعة. والإبهام راقد كخط افقى صغير يكتب عادة في موضع السنة.[٣]

كـــان اللغـــة والأنســـاب وأيام العرب والشعر على طرف لسانه وله أبيات معدودة بالعربية لا تخلو عن الرقة. من شعره قوله:

---

[١] نفس المصدر

[٢] The contribution of India to Arabic literature by Zubaid Ahmad, p.٢٤٤

[٣] Ibid.

هو القطب إلا أنه البدر طالعا سوى أنه المريخ لكنه السعد[1]

وقد ذكر الوطواط أن بديع الزمان الهمداني قال:

هو البدر إلا أنه البحر زاخرا سوى أنه الضر غام لكنه الوبل

فـــلم يتمكن أحد من الشعراء العرب والهنود من الإتيان بمثله حتى جاء السيد عبد الجليل وأتى بهذا الشعر.[2]

ومن أشعاره قوله:

حبيبـــي قوس حاجبه كنون وصاد يدين مقله شكل عينه

لعمـــرى أنـــه نص جـــلى على أن الرماية حق عينه[3]

---

[1] الثقافة الإسلامية في الهند: السيد عبد الحي الحسني، ص٤٥

[2] The contribution of India to Arabic literature by Zubaid Ahmad, p٤٥-٤٦

[3] نزهة الخواطر: عبد الحي الحسني، ص١٤٧

الباب الثالث

الأفكار الرئيسية في الشعر العربي بالهند

الفصل الأول

الفكرة السياسية في الشعر العربي

ورد الإنجليز إلى الهند عن طريق التجارة في عصر جهانغير الذي اذن لهم أن يقيموا بها مراكز تجارية لهم. عندما ارتقى العرش الملك أورنغ زيب كان الحكم الإسلامي على ذروة القوة والإزدهار والرخاء في ذلك العصر. أحس هذا الإمبراطور المغول بأن ورود الإنجليز إلى الهند من بواعث المضرات الخطيرة والأخطار الجدية لمصالح دولته. ففرض حظرا كاملا على زيارة الإنجليز إلى الهند. ثم بدأت الدولة المغولية تضعف يوما بعد يوم. واستولى العرش بهادر شاه ظفر الأخير من هذه الإمبراطورية وذلك في سنة ١٨٣٧ الميلادية. ولم تكن حكومته إلا في داخل القلعة الحمراء وكان يحصل على راتب التقاعد من قبل الإنجليز.

فلما ضعفت الدولة المغولية انتهزت الدول الغربية هذه الفرصة الذهبية وبدأت تتنافس فيما بينهما من أجل توطيد نفوذها في الهند من خلال شركاتها التجارية. كل من هذه الدول كان يريد أن يلتهمها وحده من دون شريك له. ولكن دولة بريطانيا تغلبت على الدول الأخرى كلها وقضت على نفوذ دول أخرى حتى احتلت بالهند كاملا في سنة ١٨٥٧ الميلادية.

سقطت الإمبراطورية المغولية عقب ثورة ١٨٥٧ وسيطر البريطانيون سيطرة كاملة على البلاد. كان ذلك صدمة كبرى للمسلمين كما كان صدمة للهنود الآخرين الذين حاربوا كي يهزموا البريطانيين ولكنه دون جدوى. عندما تملس زمام السيادة من أيدي المسلمين كاملا في سنة ١٨٥٧م وفترت همتهم سياسيا وإقتصاديا فجعلوا يركزون جل عناياتهم واستعداداتهم لإبقاء الدين الحنيف وإنقاذ الثقافة الإسلامية من مخالب المستعمرين وبدأوا يفكرون في دعمها. لأن المسلمين كانوا

يـــزعمون أنهم لو انهزموا في هذه المعركة ذات الأهمية الكبيرة لتعرض المسلمون الهنود للارتداديـــن العقـــلي والعلمي فلن يبقى أحد من المسلمين في الهند وتندرس آثارهم الدينية القيمة منها للأبد.

وكان هناك مسلمون غيارى أقلقهم هذا الوضع فشمروا عن ساقيهم للكفاح والمقاومـــة ضد الإنجليز. كان على رأسهم السلطان تيبو. إنهم قد حاولوا كل المحاولة للقضاء على النفوذ الإنجليزي مستغلين ما كان بين الفرنسيين والبريطانيين من عداء. وخاض السلطان تيبو في عدة معارك مع الإنجليز وكاد أن يتغلب عليهم وينقذ البلاد من مخالب المستعمرين الغاشمة لولا خيانة بعض القواد من الجنوب.[1]

عـــندما تم إحـــتلال الإنجليز على بلاد الهند بأجمعها في سنة ١٨٥٧م أثارت الكتيـــبة الهندية في الجيش البريطاني ثورة ضد الإنجليز وأرادت أن تسلم قيادة حرب الإســـتقلال إلى الملك بهادر شاه ظفر ولكنه لم يستطع و لم يقدر على أن يقوم بقيادة هذه المهمة الجبارة حتى فشلت حرب الإستقلال واعتقل الانجليز بهادر شاه ظفر ونفاه إلى رنغون سنة ١٨٥٨م. حيث توفى بعد أربع سنوات ودفن بها.

فـــلما أخمـــدت هذه الثورة تحمل المسلمون وحدهم عواقب الثورة. وخص الإنجلـــيز المســـلمين بالتنكيل مع أن الهندوس أيضاً كانوا قد شاركوا مع المسلمين في هـــذه الـــثورة. واســـتهدف الإنجليز الأسرة الملكية وقتلوا عددا كبيرا من ضعفاءها بالاضافة إلى ثلاثة ابناء الملك وقدموا رؤوسهم إلى ابيهم في أطباق على مائدة الطعام. وقد تفننوا في التنكيل بالمسلمين.

ولكـــن مـــع كل ذلك لم تضعف غيرة المسلمين السياسية وقوتهم النضالية بل

---

[1] كفاح المسلمين في تحرير الهند: عبد المنعم النمر، ص٢٨

أشعلها هذا التنكيل. و لم ييأس المسلمون من هزيمتهم لأن قلوبهم كانت مليئة بالايمان على الله والتوكل عليه والإخلاص لدينهم وحب الجهاد في سبيل الله وكذلك قلوبهم مليـــئة برغبة انقاذ بلادهم من المستعمرين الأشرار. وكان هولاء المسلمون المجاهدون عـــلى الرغم من قلة عددهم بمثابة أشواك في جنب المستعمر الذي كان يتخيلها دائما أكبر وأقوى من شوكة يخشى أن تزداد وتكبر وتقوى حتى تأتي على حياته.[1]

لم يكـــن الإنجلـــيز رجالا ساذجين بل كانوا ماكرين للغاية. واتصلوا ببعض عـــلماء الهـــند يصطنعونهم ويستفتونهم في جواز الجهاد بالهند. فاصدر هؤلاء العلماء الفـــتاوى بـــأن الجهـــاد في حالة عدم التكافؤ بين القوة الإسلامية وقوة المستعمرين الأجانب عبث ومضيعة للابرياء والأموال. وأن هؤلاء المستعمرين مادام لا يتدخلون في إقامـــة الصـــلوة وأداء الفـــرائض والشئون الدينية الأخرى فلا تكون البلاد بلاد حرب.[2]

اســـتجلب الإنجليز مثل هذه الفتاوى حتى من مكة المكرمة وكان الغرض منها إلغـــاء الفـــتاوى الـــتي أصدرها العلماء المخلصون للدين بمن فيهم الشاه عبد العزيز الدهلـــوي وكان أول من أصدر الفتوى عليهم في سنة ١٨٠٣. ونادى فيها بوجوب الجهـــاد ضـــد الإنجليز وأعلن فيها أن المملكة الإسلامية في الهند بعد ما تغلب عليها الانجلـــيز وتســـلطوا عـــلى جميع أمورها أصبحت دار حرب ويجب على المسلمين والمسلمات كلهم أن يجاهدوا الإنجليز ويقاطعوهم حتى يطردوهم من بلاد الهند كلها

---

[1] نفس المصدر، ص٢٩-٣٠

[2] نفس المصدر، ص٣٠

لأنهم أعداء للمسلمين.[1]

كـــان الإنجلـــيز –كما ذكرت– عيارين وماكرين للغاية فبدأوا يفكرون في إضعاف حركة المجاهدين حتى راودوا بعض المسلمين الساذجين والقوا العداوة بينهم وبـــين السيد أحمد الشهيد الذي كان يُعدّ الحركة ويشجع المجاهدين على القتال مع أعداءهـــم. تمكن الإنجليز من الفتك به وزميله السيد اسماعيل الشهيد في سنة ١٨٣١ الميلادية.

مهمـــا يكن من أمر إن هؤلاء المجاهدين المخلصين لم يخضعوا لمؤامرة الإنجليز الشـــنيعة و لم تفتر عزيمتهم بل تشجعوا على المحاربة ضد المستعمرين في البلاد. ويقول عبد المنعم النمر "فلم يزل هؤلاء وأصحابهم في الهند قائمين على الحق باذلين في ذلك الـــنفس والنفـــيس والانجليز يطاردونهم ويضطرونهم ويصادرون أملاكهم وأموالهم ويحـــاكمونهم محاكمـــات طويلـــة عريضة وهم محتسبون صابرون لا يضطربون ولا يتزعزعون ولا يلينون ولا يستكينون.[2]

ومن المعلوم أن المسلمين والهنود قد شارك كلهم سواء في الثورة ضد الانجليز في ســـنة ١٨٥٧م ولكن الانجليز ساء ظنهم بالمسلمين فيما يتعلق بهذه الثورة فأصيبوا بتعسفهم وعدوانهم. وتعودوا بأن يظنوا كل مسلم ثائرا عليهم. وكانوا يسئلون جميعا عن هويتهم لم يكادوا يعرفوه مسلما حتى قتلوه رميا بالرصاص.[3]

كـــان الإنجليز يحاكمون المسلمين محاكمات طويلة لا لجريمة جدية بل لتهمة

---

[1] تاريخ الإسلام في الهند: عبد المنعم النمر، ص٤١٦

[2] كفاح المسلمين في تحرير الهند: عبد المنعم النمر، ص٣٢

[3] هندوستاني مسلمان: السيد أبو الحسن على الندوي، ص١٦٢

بســـيطة وكانوا يعذبونهم عذابا شديدا حتى حكموا على قتل بعض المسلمين شنقا. ومن الذين تم حكم الإعدام عليهم مولانا يحي على من مدينة بتنا بولاية بيهار ومحمد جعفـــر التانيسري ومحمد شفيع اللاهوري. فلما أصدر القاضي حكم الإعدام عليهم قـــال لهم: "إنني أحكم عليكم بالاعدام ومصادرة جميع ما تملكون من مال وعقار ولا يُسلَّم أحدكم إلى ورثتكم بل يد فن في مقابر الأشقياء بكل مهانة وازدراء وسأكون سعيدا ومسرورا حين أراكم معلقين على الشنقة".[1] ولكن هؤلاء الشبان الثلاثة بدلا من الإضطراب والقلق أجابوه بكل هدوء "إن الأرواح بيد الله تعالى: إنه يحي ويميت وإنـــك أيها القاضي لا تملك حياة ولا موتا حتى لا تدرى من السابق منا إلى الموت." فحير الناس قولهم هذا حتى سألهم ضابط انكليزي إسمه "بارسن" مالى أراكم مبتهجين ومغتـــبطين ويحكم عليكم بالإعدام وانتم تفرحون. فقال لـــه محمد جعفر التانيسري "ومـــالى لا أفرح ولا استبشر قد رزقنى الله الشهادة في سبيله وأنت مسكين لا تدرى حلاوتهـــا". فبهـــت الانجلـــيز وأحسوا بأن السجناء المسلمين يفرحون بهذا الحكم وينتظرون حكم الإعدام فشق عليهم أن يفرح هؤلاء السجناء. وحاولوا تحويل حكم الإعـــدام إلى حكـــم آخر حتى قرروا نفيهم. ودخل يوما حاكم المدينة على السجن وقـــال لهم: انكم أيها الثوار تحبون الشنق وتعدونه شهادة في سبيل الله ولا نريد أن تـــبلغوا أملكـــم وبغيتكم وعليه نلغى حكم الإعدام ونحكم عليكم بالنفى المؤبد إلى جزائر سيلان."[2]

نفى بعضهم في سنة ١٨٦٥م. أرسل مولانا يحي على ومولانا أحمد الله العظيم

---

[1] نفس المصدر، ص١٦٧

[2] كفاح المسلمين في تحرير الهند: عبد المنعم، ص٣٤

آبادي وعبد الرحيم الصادق فورى والمولوي جعفر التانيسري إلى جزائر اندمان. توفى يحي على وأحمد الله هناك، أما محمد جعفر التانيسري فعفى عنه ورجع بعد ثمانية عشر عامـــا وذلـــك في سنة ١٨٨٣م. وبجانب هؤلاء العلماء قد أرسل الآخرون بمن فيهم فضـــل حـــق الخـــير آبـــادي والمفتي عنايت أحمد الكاكوروي والمفتي مظهر كريم الدريابادي. مات فضل حق الخير آبادي هناك ولكنه رجع زملاءه بعد فترة طويلة.[١]

قد ذكر مولانا فضل حق الخير آبادي ما لقيه من ألم وعقوبة في المنفى بجزائر ســـيلان وقال قصيدتين-همزية ودالية- تشتملان على ١٨٦ ومائة شعر على الترتيب وصورها أحسن تصوير في القصيدتين كلتيهما. فهو يقول في القصيدة الهمزية:

لجـــوى لـــــه بجوانحـــى ايراء ... جمـــد الدموع وذابت الأحشاء

ولمـــا ألم مـــن النوائب والنوى ... يبكى الصديق ويشمت الأعداء

ألم ألّـــــم بـــــناهم همـــــنا ... ونـــوى لـــنا مـــنها بلى وبلاء

حلّت عظام مصائب جلت بها ... وهـــن العظام ودقت الأعضاء

إنى بـــلانى خدعـــة إمرأة بلى ... كـــيذ عظـــيم ما تكيد نساء

يخلـــبن خلقـــا بـــالواثق ثم لا ... لعهودهـــن وعهدهـــن وفـــاء

فدعت بأن قد شهرت أن أمنت ... قومـــا نبـــت بهم الديار وناءوا

فأتيـــت دارى آئـــبا اذ غرّنى ... أيمـــان كافـــرة لهـــا استيلاء[٢]

ثم اعـــتدى عمالها اذ ما رعوا ... ميـــثاقها فأتـــانى اســـتدعاء

---

[١] هندوستاني مسلمان: أبو الحسن علي الندوي، ص١٦٧

[٢] عندما احتل الإنجليز بدلهي اختفى مولانا فضل حق الخير آبادي ولكن حينما اعلنت الملكة فكتوريا العفو العـــام لـــــه فأيقن به وعاد إلى موطنه خير آباد و لم يكد يصل بيته حتى القى القبض عليه. وحكم بالنفى المؤبد. (الثورة الهندية)

قـــد ضيقوا عيشى على فعقت ونســـيت عيشا كان فيه رخاء

حجروا على واسكنونى حجرة لم يأتمـــا غـــير الســـموم هواء

مـــنعوا أشد المنع أن يلقانى الأ حـــباب والإخـــوان والابـــناء

لـــم يكتفوا ظلما بحبسى بل ربا فـــوق احتباسى غربة وجلاء[1]

وقال مولانا الخير آبادي قصيدة دالية. عبّر فيها عن الحياة في المنفى وعن الحياة في الجلاء والتغريب والبعد عن أهالى البيت فيقول:

دائـــى عضال ولا يجدى بعائدة عـــود لـــداء يعود الداء عواد

لم يـــبق لى جلـــد مما أصيب به قلبى وروحى جثمانى وأجلادى

لقـــد دهـــانى فأوهـــانى فزائلنى الدهـــاء أن كادنى أشرار انكاد

كـــادت مليكتهم اذ آمنت فرقا مـــن الـــرعايا وأفواج وأجناد

وشـــهرت كتبا منشورة نشرت إيمانهـــا لمحاريـــب وأضـــداد

وطمعـــت كل دهقان فطاوعها حل الدهاقين من قار ومن باد

لمـــا رأت أنـــه لم يـــبق مختصم لـــلحرب باغ ولا باغ ولا عاد

عادت فعادت فما منت بما وعدت منـــت حـــبائل ميثاق وميعاد

رجعـــت اذ غـــرّنى أيمان كافرة زورا بعهـــد إلى أهلى وأولادى

لم يقـــنعوا باحتباسى بل أضيف إلى حبسى جلائى وتغريبى وابعادى

فلا يرى فيه يوما ضوء شمس ضحى ولا ســـنانير باللـــيل وقـــاد

يومـــى كليلى وليلى سرمد تقف الـــنجوم فيه كأن شدت بأوتاد

قطعت عما سوى الله الرجاء فما ممـــن ســـواه رجاء رفد وإرفاد

---

[1] الثورة الهندية: فضل حق الخير آبادي، ص٤٣٥-٤٣٨

يارب أنقذه من أيدى عدى كفر بجـــاه أحمـــد محمود وحمـــاد[1]

تحتوى القصيدتان على مائة شعر أو اكثر وكل شعر منهما يعبر تعبيرا حقيقيا عمـــا لقى المسلمون من ألم وتنكيل في المنفى بجزيرة اندمان. وكذلك يصور تصويرا حقيقـــيا للحـــياة في المـــنفى. يبدو كانهم قد يئسوا من هذه الحياة من أجل العدوان المستمر عليهم.

يكـــون الشـــاعر اكثر الناس شعورا وانفعالا ويشعر بما يعانيه مجتمعه من الم ونكـــبة أو أزمة قبل أن يشعر به الآخرون. وينظم هذه القضايا والشئون في أشعاره. أحـــس الشـــعراء الهـــنود الذين كانوا يقرضون ابياتا من الشعر في اللغة العربية بهذه الحوادث والنكبات التي كانت تمر بها بلادهم. وذكروا المكيدات والمؤامرات الشنيعة الـــتي كـــان الإنجليز يدبرونها ضد المسلمين والمجتمع الهندي. فلما القى القبض على محمود الحسن الديوبندي الملقب "بشيخ الهند" على أيدى الإنجليز القذرة. وصار أسيراً في السجن بمالطة. قال المفتي كفايت الله الدهلوي قصيدة سماها بـــ "الضيف الخائن" تحـــتوى هـــذه القصيدة على ثلاثة عشر بيتا فحسب. ولكن الشاعر قد صور ورود الإنجليز إلى الهند وتنفيذ خططهم الغاشمة فهو يقول:

ضـــيوف أتونا في جلود غنيمة جـــياعا وعريا يستضيفون قاريا
قريـــنا وكاويناكم في ربوعنا ولم ندر أنا نحن نؤوى الأعاديا
فخنـــتم مضيفك وعبدتموهم فصارت أضاحيهم تبارى الليالي
فنمـــنا طويـــلا نومة مستطابة ذهلنا بها عما اجترحتم مساويا

---

[1] نفس المصدر، ص٤٦٠

مصائب صبت ثم عادت دوايا فلم نستفق حتى استحالت مخازيا[1]

وكذلـــك قال انور شاه الكشميري قصيدة سماها "غدارة اليونان والبرطاني" وتحـــتوى هذه القصيدة على ثمانية وأربعين شعرا. عبر فيها عن تعسف واضطهاد من قبل الانجليز على المواطنين الهنود بمن فيهم الصبيان والنساء. حتى شبههم بجنكز خان في الشر والعسف وبالحجارة في القساوة فهو يقول:

أو ما ترى لما عدت عن طورها غـــدّارة الـــيونان والـــبرطاني
حـــتى غـــدوا لا يؤمنون لربهم وتنصـــلوا مـــن خلقة الإنسان
فـــازداد شر في البسيطة منهم ما كان يحكى منذ جنكز خان
أو مـــا ترقـــرق عينهم وقلبهم مـــن رحمة الصبيان والنسوان
أجيال كفر قد عدّوا حتى رأت عيـــنان مـــا لم تسمع الأذنان
حـــتى تـــدارك رحمة من ربنا مـــن دولة الإسلام من عثمان
المصطفى الغازي الكمال فهدّهم صرعى وهلكى هل ترى من غان
وأشـــدهم بأســـا على أعدائه وأســـد رأيـــا في نـــزال عوان
والسيف أشفى للصدور من العدى والعـــزم أمضى منه في الميدان[2]

---

[1] نزهة الخواطر: عبد الحي الحسن، ص

[2] نفحة العنبر: محمد يوسف البنورى، ص١٦٣

الفصل الثاني

الفـــكرة الـــدينية

كان الحكم الإسلامي بالهند على أوج الازدهار والتطور. وقد وصل من القوة والاعتزاز إلى حد أن اضطر سفير جيمس الأول ملك انجلترا أن يمكث اكثر من سنتين في الهـــند يحاول لقاء الإمبراطور المغول جهانغير. ولكنه لم يبلغ مرامه حتى تضرع إلى أن يأخذ كتابا منه إلى ملك انجلترا. فأجابه الوزير الأول أنه لا يليق بقدر ملك مغولي مســـلم أنـــه يكتب كتابا إلى ملك جزيرة يسكنها صيادون بائسون.[1] وكانت هذه الحال حتى عصر أورنغ زيب. ولكنه ارتقى العرش بعده ملوك ضعاف لم يقدروا على ادارة الحكومة و لم تكن فيهم مؤهلات وخبرة لتدبير شئون البلاد الخارجية والداخلية. وبدأت الدولة الإسلامية تنتشر وأخذت تتهادى من فوق القمة الشامخة إلى أسفلها.

كـــان بهـــادر شاه ظفر آخر السلاطين المغوليين. عندما تولى بهادر شاه ظفر العرش كان الإنجليز قد سيطروا على معظم بلاد الهند. و لم تكن حكومته إلا في داخل القلعـــة الحمـــراء. أثـــار المسلمون ضد الإنجليز المستعمرين ثورة كي يستردوا منهم حكومـــتهم المسلوبة ولكن الانجليز قد تمكنوا من إخماد هذه الثورة وتغلبوا على بلاد الهند كلها كاملا.

كانـــت الفترة ما بعد هزيمة الثورة الهندية في عام ١٨٥٧م فترة يأس وحرمان. بدأ معظم المسلمين يشعرون بالدناءة والهزيمة والحرمان في أنفسهم. وأما الإنجليز فقد ارتقعـــت عزيمتهم من أجل الانتصار. وكانوا يقولون مجاهرين إن بلاد الهند عطية من قبل عيسى المسيح الذي أعطانا إياها كي نروج تعاليمه بها. ففعل الإنجليز ما فعلوا من القتل والدمار في سبيل نشر الثقافة المسيحية.

---

[1] تاريخ الإسلام في الهند: د. عبد المنعم النمر، ص٤١

ومن المعلوم أن إحتلال الإنجليز بالهند لم يكن إحتلالا سياسيا فحسب بل كان احـــتلالهم إحـــتلالا ثقافيا أيضا لأنهم بعد لما تولوا بزمام أمور الهند بعد فشل حرب الاســـتقلال ركـــزوا جـــل عنايتهم في نشر الدين المسيحي وتوسيع ثقافته، ويقول الدكتور عبد المنعم النمر "كان الهدف من هذه السياسة تقليم أظافر المسلمين والقضاء عـــلى معنوياتهم. وقتل كل أمل يراود نفوسهم في استرداد أيامهم الماضية وسلكوا في تنفـــيذ مـــآربهم هـــذه كل الطرق المؤدية اليها".[1] وحاول الانجليز أن يغلقوا مراكز المســـلمين الدينـــية والثقافية المنتشرة في جميع انحاء البلاد. وكانوا يعتقدون أن هذه المراكـــز الثقافية والمدارس الدينية والمعاهد التعليمية للمسلمين ستلعب دورا بارزا في تـــرويج الـــثقافة الإســـلامية والتعاليم الدينية وتحول بينها وبين ترويج ونشر الثقافة المســـيحية. وعليه لم يتوقفوا عن إغلاق هذه المعاهد فحسب بل تغلبوا على الأوقاف والمؤسســـات الإسلامية التي كانت تقدم إلى هذه المدارس والمعاهد معونة مالية. وقال الدكـــتور عبد المنعم النمر نقلا عن المؤرخ الانجليزي السيد هنتر "فحاربوا مدارسهم وكانـــت منبع الثقافة والعلم في الهند ونزعوا الأوقاف الإسلامية التي كانت توفر لها الأمـــوال وعمدوا إلى الأغنياء الذين كانت تدفعهم الحمية إلى مساعدة هذه المدارس فأخافوهم أو منعوهم وأغزوهم حتى كفوا عن مساعدتهم فأغلق كثير منها أبوابها.[2]

ويقول الدكتور زبير أحمد الفاروقي "فبعد قيام الحكم البريطاني أغلقت المعاهد التعليمية للمسلمين في دلهي ولاهور وآكره وجونفور وغيرها من المدن في غوجرات وبيهار ومدراس وبنغال وذلك لانها كانت تعتمد في بقاءها ونشاطاتها على التبرعات

---

[1] كفاح المسلمين في تحرير الهند: د. عبد المنعم النمر، ص٢٧

[2] نفس المصدر، ص٢٨

مـــن الأمراء المسلمين والأوقاف والمؤسسات الإسلامية وتوقفت تلك التبرعات حين ســـقط الأمـــراء والأثرياء ضحايا لهمجية الاستعمار. وصارت الأوقاف والمؤسسات الخيرية ملكا للقوة المستعمرة التي اصبحت جاثمة على صدر الشعب الهندي عاملة على تخلفـــه وتعطيل مسيرته الحضارية والقضاء على الثقافة الدينية الإسلامية بوجه خاص حيث لم يكن من صالحها أن تكون المعاهد الإسلامية دائبة على تنشئة الجيل المسلمة وتربيتها وإعدادها ونتيجة ذلك أصيب نظام التعليم الإسلامي بتعطل كلي.[1]

هـــذه هـــي كانت سياسة الإنجليز الغاشمة ومحاولاتهم الشنيعة قد تسببت أكثر بكثير إلى تخلف المسلمين الهنود كليا في مجال التعليم والتربية. وأنشئت المراكز الجديدة والمعـــاهد العديدة لنشر الثقافات والدعوة المسيحية ودعت الحكومة الإنجليزية الدعاة المســـيحيين والجمعيات التبشيرية من بلادها إلى الهند. قد استهدفت هذه الجمعيات الإســـلام والتعاليم الدينية. وبذلت قصارى مجهوداتها في تشويه العقيدة الإسلامية و استهدف الدعاة المسلمين الفقراء والمتخلفين لكونهم عرضة ساذجة لدعواتهم. أنفقوا علـــيهم أمـــوالا كثيرة لجذب انتباههم إلى الدين والثقافة المسيحية حتى بدأت تنبعث فيهم خطة التدريس الغربية الجديد والفوضى الخلقية والبعد عن دينهم وجعل الإنجليز يظـــنون أن الجـــيل المسلم القادم سيكون غير خبير بالشريعة الإسلامية. قد أقلق هذا الوضع المسلمين وكانوا يخافون على الدين الحنيف من قبل المستعمرين الماكرين الذين كـــانوا قـــد هزموا المسلمين شر هزيمة في معركة وقعت بينهما ببلدة شاملى في سنة ١٨٥٧م. وكان الدين الحنيف على وشك الإندراس و لم يكن المسلمون قادرين على القتال معهم لعدم التكافؤ بينهم وبين المستعمرين. ولكنهم كانوا يقدرون على انقاذ

---

[1] مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي: د.زبير الفاروقي

هـــذا الديـــن الثمين بإنفاق الأموال. ويقول الدكتور عبد المنعم النمر "فرأي بعض المفكـــرين من المسلمين أن سلطانهم وإن ضاع منهم حين لم يقدروا على الدفاع عنه بالســـلاح فانهم يستطيعون أن بيذلوا من نفوسهم ومن أموالهم ما يحفظون به دينهم حتى لا تكون نكبتهم في سلطانهم ودينهم معا.[1]

فاضـــطر العـــلماء الهنود إلى إقامة مدارس دينية تحمي المسلمين من الانحطاط الديني والانهيار الخلقى بعد تعرضهم للتدهور السياسي. ويتخرج منها علماء يتضلعون في العلـــوم الدينـــية والشريعة الإسلامية وتكون فيهم روح للدعوة الإسلامية ووعي للخدمات التطوعية واشاعة العلم فيما بين المجتمع الإسلامي المضمحل. ويقول الشيخ مناظر أحسن الغيلاني في سيرة مولانا محمد قاسم النانوتوي "سوانح قاسمي" إن الذين تراجعوا من ساحة حرب شاملى لم ينقطعوا عن التفكير بل بقي هؤلاء الناس يفكرون ويكافحون لبقاء الدين والعلم الديني واشتغلت به عقولهم وقلوبهم ينتطرون النصر من عـــند الله. وكان من ضمن الجهود هذه المدرسة التي لم تكن غايتها التدريس والتعليم فحســـب وانما كان من غايتها الأساسية تربية رجال يقدرون على تدارك الهزيمة التي لحقت المسلمين في سنة ١٨٥٧م".[2]

ونظر إلى هذه الحاجة الماسة وقع الخيار على إقامة مدارس دينية جديدة تكون مستقلة ولا تكون لها أية صلة وعلاقة مع الحكومة. فاختار العلماء بلدة صغيرة تسمى بديوبـــند بمديـــرية سهارنفور واختاروها كي لا يمتد اليها أيدي المستعمرين وكي لا يســـتطيعوا أن يـــتدخلوا في شئونها. فأقاموا مدرسة صغيرة وتم تأسيسها على أيدى

---

[1] كفاح المسلمين: النمر، ص٣٦

[2] الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية: ابو الحسن علي الندوي، ص٧٦

مولانـــا محمد قاسم النانوتوي سنة ١٨٦٧م وبدأت الدراسة في مسجد صغير بطالب إسمه محمود الحسن واستاذه ملا قاري محمود تحت شجرة رمان.

ويقول الدكتور زبير أحمد الفاروقي "بإقامة هذه المدرسة رد هؤلاء العلماء رداً مســـكتا عـــلى الخطة التعليمية التي رسمها الاستعمار الانكليزي بهدف انشاء جيل في الهـــند يكـــون هندي النسل واللون وأوروبي الفكر والذهن حيث كان غرضهم من التعلـــيم ايجاد جيل يكون بلونه وعنصره هنديا ويتنور قلبه بنور الإسلام ويموج نفسه بالعواطف الإسلامية ثقافة وحضارة وسياسية".[١]

اســـتهدفت دار العلـــوم بديوبـــند تقويض التقاليد والعادات غير الإسلامية وإصـــلاح معـــتقدات المســـلمين والدعوة والإرشاد، ويشير أبو الحسن علي الحسني الـــندوي إلى غايتها المنشودة ويقول "إن التمسك بالدين والمواظبة على اتباع مذهب الأحناف وصيانة مثل الأسلاف العليا والدفاع عن السنة النبوية من ميزات دار العلوم بديوبند."[٢]

ويقـــول في موضع آخر "ولكن مما لا شك فيه أن لهذه الحركة وقادتها فضلا كـــبيرا في تمسك الشعب الهندي الإسلامي بالدين وشريعة الإسلام وتفانيه في سبيله والتماسك أمام الحضارة الغربية المادية الإلحادية تماسكا لم يشاهد في بلد إسلامي آخر تعـــرف بهـــذه الحضارة ووقع تحت حكم اجنبي. وكانت ديوبند زعيمة هذا الإتجاه والمركز الثقافي الديني والتوجيهي الإسلامي الاكبر في الهند".[٣]

---

[١] مساهمة دار العلوم: زبير أحمد الفاروقي، ص١٩

[٢] هندوستاني مسلمان: أبو الحسن علي الندوي، ص١٣٧

[٣] الصراع بين الفكرة: أبو الحسن علي الندوي

وبجانب هذه الفكرة برزت فكرة أخرى مثلها السير السيد أحمد خان. عندما اتجه الانجليز بعد ثورة ١٨٥٧م إلى إضعاف المسلمين من الناحية الاقتصادية وضاعفوا ديونهم أضعافا مضاعفة وأغلقوا أمامهم أبواب الوظائف ووضعوا العراقيل المادية للتجار المسلمين حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت. فشعر السير السيد أحمد خان هذه المشكلة الكبرى وكان يرى أن المسلمين ما لم يصبغوا انفسهم بلون الثقافة الغربية الجديدة لا يمكنهم أن يرتقوا ويتقدموا إلى الأمام فحاول أن يسد الفراغ بين الانجليز والمسلمين وبذل السعي والجهد لغرس الثقة في نفوس الفريقين حتى يقبل بعضهما بعضا ويستفيد ويفيد. ودعا السير السيد أحمد خان المجتمع الإسلامي إلى تلقي الثقافة الغربية والحصول على التعليم المدني الذي أتى به المستعمرون إلى الهند.

ولكن جماعة من المسلمين لم تقبل هذا المقترح بل تحولت إلى أعداء عنيفة له ولأصحابه، فلما لأي السير السيد أحمد خان أنه من العسير إقناع المسلمين بإرسال أولادهم إلى هذه المدرسة المقترحة فاضطر هو وأصحابه إلى إقامة مدرسة إسلامية تقدم التعليم الحديث إلى جانب التعاليم الدينية الإسلامية. وسافر السيد أحمد خان إلى انجلترا سنة ١٨٦٩ ودرس نظام التعليم والتربية بها فلما رجع من هناك أراد أن يؤسس مدرسة حديثة يتلقى بها أطفال المسلمين العلوم الحديثة واختار لتأسيسها بمدينة على جراه حيث أنشأ مدرسة العلوم ١٨٧٥م التي عرفت بكلية على جراه.[١]

وقابل السيد أحمد خان المسلمين الأثرياء وتضرع إليهم لتقديم التبرعات

---

[١] هندوستاني مسلمان: أبو الحسن علي الندوي، ص١٤٣

لإنشـــاء مدرســـة تكون للمسلمين في الهند بمثابة اكسفورد وكمبرج وهذه المدرسة ســـتعد رجالا يتحملون مسئوليات تثقيف ابناء الوطن على كواهلهم. ومن أغراضها كما يلي:

١- أن يتعلم المسلمين الثقافة الغربية والشرقية بدون أي تعصب ولا جمود

٢- أن يعنى فيها بحياة الطلبة الإجتماعية فيجدوا فيها سكنا يقيهم شرور المدن ومفاســـدها فيطمـــئن الآباء-حين يرسلون ابناءهم إليها- إلى أنهم في بيئة صالحة لخلقهم، مرقية لآدابهم.

٣- أن يعـــنى في نظـــام الكلـــية بترقية العقل وتربية البدن وتهذيب الخلق معا وبعبارة أخرى يكون الغرض منها "التربية" لا التعليم فقط.[١]

أصـــبحت مدرســـة العلوم أو كلية على جراه جامعة مستقلة في سنة ١٩٢١ واعترفت الحكومة بها واشتهرت بجامعة علي جراه الإسلامية فيما بعد.

قـــد ذكـــرت بالايجـــاز الأوضاع الدينية في العصر الذي كان الانجليز قد ســـيطروا فيه على الهند. وحاولوا نشر ثقافاتهم في أهلها. وقد تاثر العلماء بذلك. ورأيـــنا أن معظم هؤلاء العلماء كانوا شعراء قادرين. والشاعر يكون لسان الحال والمجتمع. ويكون أكثر الناس انفعالاً. وتأثر هؤلاء الشعراء أيضا بالأوضاع الراهنة آنـــذاك بالهـــند. وعبروا عنها في أشعارهم. وقد قالوا أشعارا في شأن دار العلوم بديوبند.

قـــال الشيخ عبد الرحمن السيوهاروي قصيدة تشتمل على ستة وعشرين بيتا ويصف بها دار الحديث التابعة لدار العلوم بديوبند. وقد أجاد في وصفها بالفاظ بليغة

---

[١] زعماء الإصلاح: أحمد أمين، ص١٣٠

ومعان بديعة فيقول:

دار الحديـــث حمـــى الإلـــه حماها ورعى خمائل روضها وسقاها

دار لأزهـــار الحديـــث حديقـــة فـــتعطر الكونـــان من رياها

بسمت هناك زهور هدى المصطفى لله عـــرف شمـــيمها وشذاها

نفحـــات طيـــبة في نشائم روضها ومن الحجاز نسيمها وصباها

دار أحـــق بـــأن يشـــاد بـــنائه دار مؤسســـة عـــلى تقواها

نالـــت مفاخـــر ديوبـــند ببدئها فهـــي افتخار الهند بين قراها

بشـــرى لبانـــيها ويـــا بشـــراه فخلاصة الحسنات في مبناها[1]

وقـــال الشيخ حبيب الرحمن العثماني قصيدة وصف بها دار الحديث المذكورة آنفا منها:

نعـــم انهـــا دار قـــد احتوت المنى لطيـــبة فـــيها طيـــبها وسرورها

فـــيا طيـــب أنفاس لطيبة اشرقت بهـــا الأرض انـــوار افتم حبورها

فأحيـــت قلوبـــا قد أميتت بجهلها وعـــادت رياضا مونقات وثورها

أضـــاءت لها الألوان وانجاب غيها وزالت غمايات الهوى وستورها

فهـــاتيك دار للحـــديث وأهـــله بهـــا تـــلتقى أنهارها وبحـــورها[2]

وقال الشيخ اعزاز علي الديوبندي قصيدة تحتوى على ٣٦ بيتا ومدح بها دار العلوم الديوبند وأساتذها وطلبتها منها:

---

[1] مجلة القاسم، المجلد الرابع العدد الأول، ص٣١، ٣٣، نقلا عن مساهمات دار العلوم لزبير الفاروقي، ص ١٢١

[2] مساهمة دار العلوم: د. زبير الفاروقي، ص١٢١

دار العلـــوم بفيضـــها المـــدرار فاقـــت ضياء الشمس نصف نهار

بـــاق عـــلى مـــر الـــزمان لاهله مـــن فيضـــها الهطـــال بحر جار

زادت عـــلى شمس السماء وبدرها نـــورا فلـــيس معـــارض ومبار

عـــادت تضـــيء وليـــلها كنارها وتمـــيز الابـــرار مـــن فجـــار

شـــهدت ملائكـــة الالـــه بفضلها ودعـــت لهـــا الحيتان تحت بحار

وتضـــوع الاكـــوان من فوحاتها فكأنهـــا زهـــر مـــن الازهـــار

ان زرتهـــا مـــا زرت الا روضـــة أنفـــا مـــن القـــرآن والآثـــار

يتـــلى كـــتاب الله فـــيها دائمـــا وحديـــث احمـــد ســـيد الابرار

ان زرتهـــا مـــا زرت الا كوكـــبا يهـــدى إلى الجـــنات للاخـــيار

ومدرســـوها كـــلهم الا أنـــا مـــثل الـــنجوم هدايـــة للسارى

شـــبانها شـــبان زهـــد والـــتقى وشـــيوخها غـــر مـــن الانوار

ذكـــر الالـــه طعـــامهم وشرابهم يتضـــوعون لكـــثرة الاذكـــار

جـــافت جنوبهم المضاجـــع ليلهم وترا هـــم يبكون بـــالاسحار[1]

ولـــه قصيدة أخرى تحتوى على ١٦ بيتا قالها عندما أنشدها في نادية الأدب الـــتي أنشـــأها طلبة دار العلوم للترغيب في العلوم الأدبية. وفيها موازنة بين الكتاب والـــرجال وقام بها بعد خبرة طويلة ويرى أن الكتاب خير جليس وأحسن أنيس لـــه يوانسه في الأحزان والأفراح. هو يقول:

تـــتمع مـــن شمـــيم عـــرار نجـــد فمـــا بعـــد العشـــية من عرار

ألام عـــلى التجنـــب والتخـــلي فقلـــت اجيـــبهم هذا شعاري

---

[1] نفحة العرب: محمد اعزاز علي الديوبندي، ص٢٦٤-٢٦٦

لقـــد طوفـــت في الآفـــاق دهرا وجبت الفقر والبيد الصحاري

وجربـــت الـــبلاد ومـــن علـــيها ومـــيزت الصـــغار من الكبار

فـــاني لم أجـــد أحـــدا نصـــوحا يقـــيني مـــن وقوعي في عوار

ولكـــن الكـــتاب كـــتاب عـــلم سمـــيري في اللـــيالي والـــنهار

يواســـيني اذا هجمـــت همومـــى ويونســـني اذا أنـــا في الدمار

خليـــلي في الهواجـــس والـــرزايا انيســـي مونسي حامي الذمار

به ســـكري اذا مـــا شئت خـــمرا ومـــنه افـــاقتي وبـــه خـــماري[1]

---

[1] نفس المصدر، ص٢٦٤-٢٦٣

الفصل الثالث

في الشعر الاجتماعي

مـــن العلوم أن المسلمين قد حكموا الهند من بداية القرن الثامن حتى منتصف القـــرن التاســـع عشـــر. عندما تولت الحكومة الانجليزية بزمام الحكومة بدأت تنفذ سياستها واستهدفت إلى إضعاف المسلمين الذين كانوا ملوكا قدامى في الهند، وأرقى الســـكان عقـــلا وعـــلما وكذلك استهدفت إلى القضاء على مدارسهم ومعاهدهم والمؤسســـات الخيريـــة الـــتي كانت بمثابة القلاع والحصون المنيعة التي تحمى الدين والاســـلام وثقافـــتها عن مؤامرات الانجليز السيئة و لم يكتف الإنجليز بهذه الأعمال الشنيعة بل قتلوا عددا كبيرا من المسلمين ونفوا بعضهم إلى جزائر إندمان. وقد مضى ذكرهم في الفصل الأول.

وكـــان الهـــدف من هذه السياسية السيئة والخطة الشنيعة تقليم أظافر المسلمين والقضاء على معنوياتهم وحيويتهم وإخماد كل نشاط فيهم وقتل كل أمـــل يشـــرق في أذهانهم لإسترداد السيادة المفقودة والأيام الماضية. ثم التفت الانجلـــيز إلى اضـــعافهم مـــن الناحية الاقتصادية فأقفروهم وضاعفوا ديونهم وســـاعدوا المرابين من الهندوس على انتزاع املاكهم. وسدوا في وجوههم كل الوظائف الكبيرة والصغيرة التي كانوا سابقا يفوزون باكثرها. ووضعوا العوائق الماديـــة والحواجز المالية في سبيل الذين يحترفون التجارة منهم فضاقت عليهم الأرض بما رحبت.[1]

ويقـــول السيد أبو الحسن علي الندوي ناقلا عن مؤرخ انجليزي "ان الموظفين الانجليز الكبار قد تمسكوا بأن يعزلوا المسلمين عن مناصب الحكومة وأن تغلق أبواب

---

[1] كفاح المسلمين في تحرير الهند: د/عبد المنعم النمر، ص٢٨

المعيشة أمامهم وأن تصادر ممتلكاتهم وأوقافهم التي تغذى مدارسهم ومعاهدهم وتفتح مدارس لا يمكن المسلمين أن يستفيدوا منها.[1]

وكـــان يصرح في بعض التصريحات الحكومية ألا تشغل الوظائف الشاغرة الا بالهـــندوس وكتب وليم هنتر بالاشارة إلى صحيفة فارسية مؤرخة بـــ ١٤ من شهر يوليو سنة ١٨٦٩ "ان المسلمين وان كانوا يملكون المؤهلات الكافية والكفاءة المطلوبة لوظيفة حكومية ولكنهم كانوا يشغلون عنها ببلاغ رسمى".[2]

فمـــن هذا وذاك تأخر المسلمون في جميع المجالات الهامة: في التعليم وفي الاقتصاد والوظائف الرسمية تأخرا واضحا. وتقدم المواطنون الآخرون بمن فيهم الهـــندوس والسيخ وغيرها لأنهم إقتربوا من الإنجليز وأخذوا ما قدموا اليهم من الدراسة الحديثة وغيرهم من المعونة لهم. ولم تكن للهندوس نظرة عداء للإنجليز كـــتلك الـــتي لـــدى المسلمين. وكان هدفهم من التعليم والثقافة الجديدة أن ينشغلوا في الوظائف الحكومية التي يوفرها الانجليز لهم ولو كانت هذه الوظيفة بســـيطة. وكـــان الانجليز يشجعونهم لانهم كانوا يرون أن الهنادك غير مواليين قلبـــيا للحاكم المسلم. فهم أضمن لتنفيذ سياستهم ومآربهم وعليه احتضنوهم وعملـــوا عـــلى زيادة التفرقة بينهم وبين المسلمين ليضمنوا ولائهموحكمهم ويـــنفذوا سياســـتهم "فرق وتسد". فأصبح المسلمون تحت مطرقتين: مطرقة الانجليز ومطرقة الهندوس. فاسفر هذا كله عن تأخر المسلمين في مجالات الثقافة

---

[1] هندوستاني مسلمان: السيد ابو الحسن علي الندوي، ص١٦٥

[2] المسلمون في الهند: السيد ابو الحسن علي الندوي، ص٩١

والاقتصاد والحياة الاجتماعية ولا نزال نلمح آثاره حتى اليوم.[1]

إن الشاعر يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها وبما يشاهد حوله من الحوادث والوقائع والأحـــداث التي تقع أمام عينيه. فيعبر عما يختلج في قلبه وذهنه ونفسه من ارتياح أو بـــالعكس بأشـــعاره. إن الزمان الذي احتل فيه الانجليز بالهند وحكمها كان حادثة فظـــيعة قد تأثر الشعراء بما لقيت الهند وسكانها من تعسف وعدوان من قبل الانجليز المعـــتدين فقالوا أشعارا كثيرة فيما يتعلق باضطهاد الانجليز واعتدائهم ونظموا أبياتا تصـــور أوضاع ذلك العصر. قد ذكرت في الفصل الأول الأشعار التي قالها الشعراء وهـــي تمثل الوضع السياسي لذلك العصر ثم ألقيت ضوءا على الوضع الديني وأتيت على سبيل المثال بأشعار كانت لها علاقة به.

الشـــاعر يـــتأثر بحادثة أو بكارثة ويبدأ قرض الأشعار التي تتعلق بها ولكنه لا يكـــتفى بها بل يتناول الموضوعات الأخرى وينظمها في أشعاره. كان هذا هو حال الشـــعراء الذيـــن عاشوا في ذلك العصر. إنهم نظموا أبياتا عديدة حول الموضوعات المتـــنوعة أذكـــر أشـــعارا متفرقة منها ما قال الشيخ انور شاه الكشميري في الفتنة المرزائية.

صدع الصديع وصيحة بالوادى　　لمـــن اهـــتدى من حاضر أوباد
بالقاديـــاني ذلـــك الآخر الذي　　أمســـى زعـــيم الكفر والالحاد
وأبـــان عـــن كفر ينوء بعصبة　　ويـــبوء بـــالأغلال والأصفاد
رزء عـــلى ديـــن الـــنبي يهذه　　آخـــر فهل من راشد في النادى

[1] ابو الكلام آزاد: المصلح الديني في الهند: د: عبد المنعم النمر، ٢٩/١

والله يهدى مـــن يشاء لـــدينه ولمن يضل فما لـــه مـــن هاد[1]

ولـــــه قصـــيدة تحتوى على ٣٠ بيتا قالها في مدح الشيخ الجليل رشيد أحمد الكنكوهي رحمه الله تعالى فيقول:

قفـــا يـــا صـــاحبى عن السفار بمـــرأي مـــن عـــرار أو بهـــار

يســـير بنشـــرها نفحـــات أنس وريـــا عـــند محـــى من قطار

وقـــد عـــادت صباها من رباها بأنفـــاس يطيب بها الصحارى

فيسرى في قلوب الصحب وجد بأطـــراف الحديث لدى اعتبار

لقـــد فـــرع الورى عملا وعلما مكـــارم ساعدت كرم النجار

أمـــام قـــدوة عـــدل أمـــين ونـــور مســـتبين كالـــنهار

ففـــيه حـــافظ عـــلم شـــهير كصـــبح مســـتنير هدى سار

ففـــى التحديـــث رحلة كل راو وفي الاخـــبار عمدة كل قارى

وأصـــبح في الورى صدراً وبدرا مـــنيرا دارثـــا حلك التوارى

وأصبح مـــفرداً عـــلما رفـــيعا كرفع المفرد العـــلم المنـــار[2]

منها ما قال الشيخ الكبير العمة فيض الحسن السهارنفوري من قصيدة تحتوى على ٥٥ بيتا. وهي في ضمن الحرب التي دارت بين عبد الحميد ملك الدولة العثمانية وبـــين روسيا. مدح بها الملك وأصحابه بعض أشعاره يقارب أشعار الشعراء العرب القدامى في الأسلوب. هو يقول:

مـــالى بذى الأرض من وال ولا واق ولا طبيـــــب ولا آس ولا راق

---

[1] نفحة العنبر: محمد يوسف البنوري، ص١٧٤

[2] نفس المصدر، ١٥٨-١٥٩

ولا حميم ولا جار ولا سكن ولا نديم ولا كأس ولا ساق

حولى كثير من العداء همهم قتلى ومالى دون الله من واقى

قوم غلاظ شداد شيط من دمهم شراسة وعتوا في سوء أخلاقى

عن آل عثمان سامى الطرف مبتسم إلى الطعان شديد البأس مشتاق

هينون لينون لا يرمون في خلق بسوء وترا هم حسن أخلاق

بيض كرام لهم مجد ومكرمة غراء يثنى عليهم كل ملاق

لا يرغبون إذا نالوا مناهم في المال والخيل والأحمال والناق

لا بارك الله في قوم طغوا وبغوا عليك ثم عتوا في بعد آفاق

بغوا عليك فخابوا إذ لقيتهم بكل ضرب شديد الضرب مخراق

جاهدتهم واثقا بالله فانهزموا خوفا ومن قتلوا ألقوا باضلاق

إنا نحبك حبا لا يماثله ولا يدانيه شيئا حب عشاق

هذا ونرجو لكم خيرا ونحمدكم بذكر ما شاء منكم ملء أشداق[1]

قال العلامة فضل حق الخير آبادي مرثية تحتوى على ٥٣ بيتا. رثابها صديقه مولانا فيض الله عندما سمع استشهاده. فيقول: وتشرف مولانا فيض الله في المنام بزيارة النبي صلى الله عليه وسلم الذي عانقه وأفعده على يمينه فيقول:

ايامى لدهرى بعد اسعاده عدا واعتدلى أدهى المصائب واعتدى

قسا بعد لين واعتدى بعد مرفق وواعد لطثا ثم عاد فاوعدا

فكنا زمانا لا نخاف فراقنا مدى الدهر حتى قيل لن يتبددا

فلما افترقنا بعد طول اجتماعنا بلينا ببعد ما لمدته مدى

---

[1] نزهة الخواطر: السيد عبد الحئ الحسني، ٨/٣٩٠-٣٩٢

فـــو الله ثم والله لـــو أن مـــثله يفادى بمثلى كان نفسى لـــه الفداء

قتلت شهيدا عند ربـــك شاهدا وقد كنت مشهود الكمال محسدا

تعيشـــت في الدنيا حميدا محسدا وفارقـــتها متشـــهدا متشـــهدا

وقـــد أيقنـــت بـــأن تفـــوز با لشـــهادة اذ زرت الـــنبي محمـــدا

سلام عـــلى قبر حـــواك فـــأنه حـــوى منك إحسانا وبرا ومحتدا[1]

وقال محمد اعزاز علي الديوبندي أشعارا في رثاء الحافظ محمد أحمد ناظم دار العلـــوم بالديوبند. إنه قد سافر إلى حيدر آباد وأصيب هنا بمرض تسبب لـــه الموت بالغربة. هو يقول:

نعـــى الناعون شيخا ذا حفاظ جلـــيلاً ماجداً بالفضل أحرى

نبـــيلا فاضـــلا شـــهما ذكيا مطـــيعا ربـــه نهـــيا وأمـــرا

صـــبور في المصـــائب والرزايا وفي الســـراء كان يزيد شكرا

لعطشى العلم كالعسل المصفى وللعـــلماء كـــان أجـــل بحرا

أعـــتق عـــلمه أســـراء جهل ســـنى احســـانه بعـــدا وحرا

شـــهيدا مـــات مغـــتربا غريبا فكـــلهم بحـــوار لدمع أجرى

وكـــنا آمـــين بـــأن نـــراه يخجـــل وجهـــه شمسا وبدرا

لـــــه جود حكاه الغيث طورا اذا اســـتمطرته والبحر أخرى

ولـــبى داعـــى الله الـــذي لا مـــرد لـــه وان خدعا ومكرا[2]

الشـــاعر الذي قد تأثر بمؤمرات الانجليز الشنيعة ومساعيهم الخبيثة فيما يتعلق

---

[1] باغي هندوستان: عبد الشاهد خان الشرواني، ص١٦٧-١٦٨

[2] نفحة العرب: محمد اعزاز علي الديوبندي، ص٢٩٧-٢٩٩

بالاحـــتلال هو عبد العزيز الدهلوي. انه قد لاحظ هذه الأوضاع المتنوعة وصورها بأشعاره. هو يقول:

ان هـــذا الفقـــير محفـــوظ عـــن شـــرور الزمان والأسقام

يســـئل الله بعـــد كـــل صلاة أن يعافـــيه فـــائض الأنعـــام

ثم ان الـــــبلاد فاســـــدة عـــن أيـــادى الغشوم والظلام

غـــير خاف عليك ما صنعت قـــوم ســـكه كآيـــة التوشام

خفضـــوا كـــل قـــرية ومضوا يفـــتحون الحصـــون والآطام

ضـــيعوا امـــة مـــن الأرواح قـــتلوا مـــن أمـــة الأجســـام

والنصـــارى مـــن الفرنج أتوا عـــرفوا بالوفـــاء وعـــى ذمام

ويـــريدون اقـــتطاع الملـــك من ذوى الأرض صاحبى الأقوام

ويـــريدون افـــتلاد المـــال مـــن ذوى المـــال أولى الأنعام

قد عدى الأمر عن حدود أدب وتعـــدى عـــن المقام كـــلام[1]

[1] حيات ولي: محمد رحيم بخش، ص٣٣٥-٣٣٦

الفصل الرابع

في الموضوعات المتفرقة

وإذا ألقيـــنا نظرة على أشعار الشعراء الهنود الذين قالوا أشعارا في العربية قبل العصـــر الـــبريطاني نجـــد أن معظـــم هؤلاء الشعراء قد قالوا أشعارا في مدح الملوك والســـلاطين أو في الرثاء. وقلما نجد أن هؤلاء الشعراء قد قالوا شعراً عبروا فيه عن أحاسيســـهم وانفعلاتهم كما رأينا في أشعار الشعراء الذين عاشوا عبر عصور مختلفة. كـــان عطـــاء بن يعقوب الغزنوي ومسعود بن سعد بن سلمان اللاهوري في العصر الغزنوي. معظم الأشعار التي وصلت إلينا هي في المدح أو الرثا. ومن أكبر الشعراء في العهـــد الخلجي هو أمير خسرو. إلى جانب الأشعار بالفارسية قال خسروا أشعارا في العربية أيضا. ومن شعره ما مدح به السلطان علاء الدين الخلجي، فهو يقول:

في مهجـــتي سكنت محبتها كما　　مـــدح المليك المستعان الأعظم
أعني علاء الدين سلطان الورى　　ملـــك تولـــد مـــن سلالة آدم
من جوده الفياض قد يحكى إذا　　نعـــب الغراب على رميم الحاتم
مـــا كـــان يعطش سيفه بقرابه　　إلا ويسقي من كؤوس جماجم
رشح لمـــدحتك العليه خسروا　　بالشعر ليس كمثله في العالم[1]

ثم كـــان عصر أسرة تغلق. وفي هذا لعصر أيضاً ظهر كثير من الشعراء الذين قـــالوا أشعارا في العربية. من أشهرهم القاضي عبد المقتدر الشريحي والشيخ أحمد بن محمد التانيسري. وقال الكندي قصيدة لامية على غرار لامية العجم.

يا سائق الظعن في الأسحار والأصل　　سلم على دار سلمى وابك ثم سل[2]

---

[1] الآداب العربية في شبه القارة الهندي: د. زبيد أحمد، ٤٠-٢٣٩

[2] نزهة الخواطر: عبد الحئ الحسني، الجزء الثاني، ص٧٢

وكذلك قال أحمد التانيسري قصيدة طويلة اشتهرت بـ "القصيدة الدالية مطلعها

أطار لبي حنين الطائر الفرء وهاج لوعة قلبي التائه الكمد[1]

هاتان القصيدتان كلتاهما في المديح النبوي.

بعد ذلك جاء جيل آخر ونشأ عدد كبير من الشعراء في العصر المغولي. ومن أبرز شعراء ذلك العصر أبو الفيض بن المبارك الناغوري والشيخ غلام نقشبندي والسيد عبدا الجليل البلكرامي. هؤلاء الشعراء كلهم قالوا أشعارا في المدح. قال المبارك الناغوري شعرا في مدح الملك محمد أكبر ومدح الشيخ نقشبندي شيخه مير محمد شفيع. أما السيد عبد الجليل البلكرامي قال قصيدة في مدح السلطان أورنغ زيب عندما فتح الإمبراطور قلعة ستارة.

ملخص القول إن هؤلاء الشعراء قد قالوا أشعارا كثيرة وأجادوا فيها لكنهم لم يعبروا فيها عن مشاعرهم وعواطفهم الذاتية وركزوا جل عنايتهم على الحمد والمديح النبوي والرثاء وغيرها قلما نجد أن هؤلاء الشعراء قد قالوا شعرا في وصف شيء أثر عليهم أو تأثروا به.

ولكن تغيرت هذه الأحوال كليا عندما احتل الإنجليز وباحتلالهم على هذه البلاد تغيرت الأوضاع والظروف بها. فقال الشعراء الذين نشأوا في هذا العصر أشعارا عبروا فيها عن انفعالاتهم وأحاسيسهم الداخلية. وعبروا فيها عن الكفاح والمقاومة ضد المستعمرين الأجانب وسياستهم الغاشمة. وكذلك مدحوا ووصفوا وقالوا أشعارا في الرثاء والترحيب والتهنئة. توجد في أشعارهم أفكار ومضامين

---

[1] نزهو الخواطر: الجزء الثالث، ص٨

متـــنوعة. قـــد ذكرت في الفصل الأول أشعارا سياسية قالها الشعراء في ذلك العصر، وأشـــعاراً دينية في الفصل الثاني وأشعارا إجتماعية في الفصل الثالث. في هذا الفصل أتناول أشعارا قالها الشعراء حول موضوعات مختلفة.

مـــن شـــعراء ذلـــك العصـــر المفـــتي محمد عباس اللكنوي وفيض الحسن الســـهارنفوري وفضـــل حق الخير آبادي والمفتي كفايت الله واعزاز علي الديوبندي وذوالفقـــار علي الديوبندي وحميد الدين الفراهي وغيرهم. نظم هؤلاء الشعراء أبياتا مـــن الشـــعر أعربوا فيها عن انفعالاتهم الداخلية قال عباس اللكنوي أبياتا من الشعر وصف بها المشيب. فهو يقول:

خليـــلي قـــد ولى الشباب حبيبا وأورث حـــزنا دائمـــا ونحيبا
يـــود الفـــتى لـــو أن يعمر وهو لا يـــود على طول الحياة مشيبا
وكيف يطول العمر من غير شيبة وهل من قضيب يستديم رطيبا
فان كان ذو شيب يحب غضاضة فـــبالدمع يســـقي ذرعه ليطيبا
ويســـعى لدار لا مشيب لأهلها ولا أمـــل إلا وكـــان قريـــبا
ولا رضـــب حـــتى يـــإن لأجله ولا ســـقم حـــتى يـــأم طبيبا
لحـــوم عـــلى مـــر الزمان طرية وزهر على الأحقاب يعبق طيبا
ولا شيء في الدنيا يـــدوم وراءه ســـوى شعر عباس تراه عجيبا[1]

وكذلـــك قـــال محمد عباس قصيدة يفتخر بها ويدعي بأنه هو حسان الهند. وكما نعرف أن السيد غلام علي آزاد البلكرامي قد لقب بـــ "حسان الهند" فيقول:

يا من لـــه الذوق بالأشعار والخطب عـــباس بالهـــند كالحسان في العرب

[1] رطب العرب: المفتي محمد عباس اللكنوي، ص٤٠

في نظمـــه حكـــم لم يـــبدها قـــلم في نـــثره كـــلم أحـــلى من الضرب

ديوانـــــه رطـــــب أغصـــــانه أدب أوراقـــه ذهـــب يفضى إلى العجب

الوجـــد من شعره والشعر من فكره كالسكر من خمره والخمر من العنب

بـــل رب لفظ جرى من غير فكرته كالريح في الروض تستغنى عن الطلب

الـــدهر يوحشنى والشعر يـــؤنسنى والله يحرسنى مـــن شـــركـــل غبى[1]

قال ذو الفقار علي الديوبندي أشعارا وصف بها الأنبج الذي يعتبر ملك الثمار من أجل حلاوته وطعمه. ذكر فيها جودة هذا الثمر ولطافته. وقد أتى بتعبيرات رائعة في وصف هذه الفاكهة الشهية. فيقول:

إن كنـــت تبغي أطيب اللذات فعلـــيك صاح بأنبه الثمرات

في حســـن مرأى في نباهة سيرة في لطف ذات في سمو صفات

من طعمها في كل قلب شهوة فكأنهـــا مجموعـــة الشهوات

وإذا عمارتها مصصت وجدتها أحلى كمثل رضاب محبوبات

بالجامعـــية فاقت الأثمار كالـــ انســـان فاق جميع حيوانات

ولئن يلمك اللائمون فقل لهم الإضطـــرار يبيح محظورات[2]

ذات مـــرة أصيب الشيخ حبيب الرحمن العثماني بمرض. فنظم الشيخ حبيب الـــرحمن قصيدة عنوانها "في حنين الجذع" تحتوي هذه القصيدة على ٣٧ بيتا. وذكر فيها مرضه. وقال:

نما في القلب والأحشاء داء رســـيس لـــيس منه شفاء

---

[1] نفس المصدر، ص٤٧

[2] الهديه السنية في ذكر دار العلوم الديوبندية: ذو الفقار علي، ص٣

أموت تحسرا وأذوب حزنا ولا يغني الصباح ولا المساء

ومـــا دائـــي غرام بالغوانى ولا في وصـــلهن في اعتناء

ودائـــي أنـــني في غير داء خـــلي القلب ليس به عناء

ولو كان السعادة ساعفتنى وأدركـــنى برحمـــته الهناء

لكنت اليوم أسعد من سعيد وقـــلبى للغـــرام بـــه نماء [1]

نظـــم الشـــيخ حبيب الرحمن العثماني منظومة أخرى. هذه المنظومة منظومة طويلة وتشتمل على ١٠٩ أبيات. عنوان هذه المنظومة "عروج الإسلام ونزوله" يذكر الشـــاعر مجد الإسلام وازدهاره في الأيام السالفة ويتأسف على انهيار في المسلمين في الأيام المعاصرة. فيقول:

تذكـــرت الـــزمان زمان لهو وعيشـــانا عمـــا فيه الوصال

وأيامـــا لـــنا غـــرا طـــوالا لهـــا في الدهـــر آثـــار وقال

بـــدا الإســـلام في الدنيا غريبا ولـــيس لـــــه حواء أو محال

أريـــنا الـــناس نهجا مستقيما قويمـــا لا يـــزاحمه ضـــلال

كـــذا كـــنا ملوكـــا في نهار ورهـــبانا إذا انطفـــأ الذبال

أضـــعنا الديـــن لمـــا أن بطرنا وغرتـــنا الأمـــاني والمحـــال

وضـــيعنا الشـــريعة فافتضحنا وصـــرنا صاغرين ولا ندال

وخلفـــنا أصـــول الدين زهوا وراء الظهـــر فـــانحل العقال

---

[1] معين اللبيب في جمع قصائد الحبيب. الشيخ حبيب الرحمن، ص٣٨-٤٠

ركـــبنا مـــا نهينا وانتهـــكنا مـــحارمه وذا داء عـــضال[1]

قـــال المفـــتي كفايت الله قصيده تحتوى على ستة عشر بيتا. في هذه القصيدة وصـــف المفتي كفايت الله المدرسة الأمينية التي ترأس بها هيئة التدريس لفترة طويلة. فيقول:

حمدا لمن هو في الشدائد مفزع وبـــرحمه ترجى النجاة وتطمع

ثم الصـــلوة عـــلى النبي محمد تـــرجى شـــفاعته بهول يفزع

عجـــباً لعـــين فهي عين تنبع مـــا دمعهـــا إلا نجـــيع تدمع

لا توذنـــوا بفراقكم يا سادتي فالصـــبر للمضنى سقام موجع

يـــا لائمي إن الملام هو الذي زاد الفـــواد صبابة لا تنـــزع

مـــا هذه النادي ومن حضارها ولم اجـــتماع لم يســـعه المربع

لا تســـألن عنهم فانهم الأولى رزقوا من الوهاب علما ينفع[2]

وكذلك قال المفتي كفايت الله الدهلوي قصيدة عندما كان مسجونا في ملتان بـــتهمة المقاومة والكفاح ضد الاستعمار الإنجليزي والاحتلال البريطاني. وقال هذه القصـــيدة بمناســـبة حلـــول العيد قد هنأ بهذه القصيدة مدير السجن بالعيد السعيد. فيقول:

أهنـــيك من فاز بالخير وارتوى بكأس دهاق من مكارم واشتفى

أهنـــيك من صاد أفئدة الورى بـــأخلاقك الزهراء طيبة الشذى

---

[1] نفس المصدر، ص٤٠-٤٥، نقلاً عن مساهمة دار العلوم بدوبند في الأدب العربي، د. زبير أحمد الفاروقي، ص٣٦-١٣٥

[2] مساهمة دار العلوم بديوبند، د. زبير احمد الفاروقي، ص١٢٣

بعـــيد إذا وافى أتـــى بمســـرة تـــدب إلى أعمـــاق أفئدة الورى

إذا العيد يـــأتي المـــرء محتـــظ بأهل ومغني أورث اللطف والهنا[1]

ثم قـــال لـــه إن سعادة العيد في الواقع لمن يحتفل به مع أهله وذوويه. لا عيد لمن لا حرية لـــه وكذلك لا عيد لمن كان محبوسا في السجن ويعيش حياة الغربة وهو بعـــيد عن بيته فهو لا يتمتع في الواقع بالعيد السعيد كل التمتع. بل يعود هذا العيد عليه بالحزن والأسى. كما يقول:

ولكـــنه إن حل والسجن مؤصد على المرء لم يورث سوى الحزن والشجى

وكـــم بـــين حر اذ يغانى غزالة وبـــين المعـــانى محنة السجن والغنا

ولكنـــنا قـــوم نلاعـــب بالظبى ونقـــلى ظباء اذ تداعت إلى الولى

أبيـــنا إبـــاء الليـــث ذل تعـــبد فـــلا سبة أخرى من الذل للعدى

حبســـنا وأوذيـــنا بغـــير جريمة فمـــا دنبـــنا إلا الدفاع عن الحمى

وإن غـــاشم عـــد الدفاع جريمة فـــإنا نـــرى ذاك من سودد الفتى[2]

قـــال الإمام حميد الدين الفراهي قصيدة هنا بها العلامة شبلي النعماني. وذلك حيـــنما لقبته الحكومة الإنجليزية بـــ "شمس العلماء" وهذه القصيدة من أروع قصيدته فهو يقول:

يـــا خير من يسمو إلى العلياء كالشـــمس بازغـــة بوسط سماء

قـــد كنت قد ما للمعالي ساميا أورثـــته عـــن شـــيمة الآبـــاء

لاذت بجانـــبك العلـــوم فإنها لـــو لم تصـــنها آذنـــت بفـــناء

---

[1] نفس المصدر، ص١٢٨

[2] نفس المصدر، ص١٢٨

فربت رياض العلم منك وانبتت مهـــتزة بغصـــونها الخضـــراء

فلأســـألن الله طـــول بقاءكم في كـــل بكرتـــنا وكـــل عشاء

وأهنـــئكم بمـــا أعطيـــتم مـــن خير ما وجدوا من الأسماء

إن كان تلك الشمس شمس سمائها فلصـــرت شمـــس العلم والعلماء

اذ أنت شمس والعلوم سماؤكم فـــالشمس شمسي والسماء سمائي[1]

قـــال العلامة الفراهي قصيدة أخرى عنوانها "في الرجوع إلى العقل" وقد أتى فـــيها بمعان لبعض الآيات القرآنية في أسلوب رائع. وأشعار هذه القصدية تدل على براعته في إستخدام الكلمات والمعانى القرآنية ونظمها في أشعار جيدة فهو يقول:

ســـر مـــع العقـــل أينما سار در مـــع الحـــق حيـــثما دارا

لا تهولـــنك لـــيلة عكـــرت إن بعـــد الظـــلام أنـــوارا

إن في اللـــيل والـــنهار وفي الشـــمس والـــنيرات تذكارا

راكـــعات مسبحات يـــدعو نـــنا للســـجود أســـحارا[2]

---

[1] ديوان المعلم: عبد الحميد الفراهي، ص٣٣-٣٤

[2] نفس المصدر، ص٣٥

الباب الرابع

أعلام الشعر

العلامة حميد الدين الفراهي

حياته

ولد العلامة حميد الدين الفراهي في قرية تسمى بـــ "فريها" من مديرية اعظم كـــره بولايـــة اترابراديش صباح يوم الأربعاء سنة ١٢٨٠هـ، في أسرة كريمة معروفة بنسبها وعلمها ومكانتها الاجتماعية، فنشأ الفراهي وترعرع في رخاء ورفاهية.

شيوخه ورحلاته في طلب العلم

بـــدأ الفراهي تحصيله العلمي في منـــزله فقرأ القرآن الكريم، وحفظه وهو ابن عشر سنين أو نحو ذلك.

ثم تعـــلم اللغـــة الفارسية في بيته أيضاً في مدة تسعة أشهر، أخذها عن الشيخ محمـــد مهدي الذي كان من المؤدبين المشهورين في تلك الديار، وشرعان ما حصلت لـــــه بذكائه وتوقد ذهنه ملكة قوية في اللغة الفارسية، و لم تمض مدة قليلة حتى أخذ يجاري فحول شعراء الفارسية.

كـــان الإمـــام الفراهي شاعرا فطريا وكان من حداثة سنه ميالا إلى الشعر و الأدب. وقـــال قصـــيدة باللغة الفارسية على غرار شعراء الفارسية القدامى. قدمها الأستاذ شبلي النعماني إلى السيد مولانا فاروق الجرياكوتي و لم يخبره عن إسم الشاعر وســـأله مـــن هو قائلها؟ كان مولانا فاروق الجرياكوتي استاذا كبيرا وناقدا بارعا في ذلـــك العصـــر. فأمعن النظر في القصيدة طويلا ثم قال لا يمكنني أن أدل على إسم الشاعر ولكنه يبدو من أسلوبها كأنها من قصائد الشعراء القدامى.[١]

---

[١] نفس المصدر، ص٢

عندما ناهز الرابع عشر من عمره بدأ الفراهي تعلم اللغة العربية، ثم انتقل من قريته إلى مدينة (أعظم كره) حيث قرأ ها على إبن عمته العلامة شبلي النعماني.[١]

ثم توجه معه إلى مدينة (لكناؤ) وحضر دروس العلامة الفقيه الشهير عبد الحي الفرنغي محلي، كما أخذ عن الشيخ فضل الله بن نعمة الله الأنصاري المعقولات.[٢]

وبعد ما تخرج في العلوم المتداولة من المنقول والمعقول وعلوم العربية رغب في تعلم اللغة الإنجليزية والعلوم الحديثة، وسافر إلى مدينة (الله آباد) ثم إلى كلية (عليكره). وكانت العربية والفارسية من المواد اللازمة لطلاب الكلية، ولكن الفراهي أعفي عنهما، بل كلف من قبل المسؤولين نقل كتابين من العربية إلى الفارسية لإدخالهما في المقررات الدراسية في الكلية التي كان يتعلم بها.

قد تعلم الفراهي اللغة العربية من كبار علماء العربية وأدبائها في الهند وتلمّذ على إمام اللغة والأدب آنذاك الشيخ فيض الحسن السهارنفوري للاختصاص في الأدب العربي كما يقول العلامة السيد سليمان الندوي في هذا الصدد: "أخذ الفراهي الأدب العربي من إمام اللغة العربية وشاعرها المفلق في ذلك العصر الشيخ فيض الحسن السهارنفوري أستاذ اللغة العربية في كلية العلوم الشرقية بلاهور. فبرع في الآداب العربية وفاق أقرانه في الشعر والإنشاء. قرأ دواوين الشعراء الجاهليين كلها وحل عقد معضلاتها وقنص شوار دها. فكان يقرض القصائد على منوال الجاهليين ويكتب الرسائل على سبك بلغاء العرب وفصحائهم."[٣]

---

[١] الأعلام خير الدين الزركلي، ٣: ٣٥٥

[٢] نزهة الخواطر، ٨: ٢٤٨

[٣] إمعان في أقسام القرآن: حميد الدين الفراهي، ص١٦

ويقول العلامة الندوي في موضع آخر عن نبوغه وتضلعه في اللغة العربية: "قد أكمل الفراهي التعليم العربي في عام ١٢٩٠ الهجرية المصادفة سنة ١٨٨٤ الميلادية وهو لم يتجاوز عشرين سنة من عمره. وبلغ ذروة الكمال في الأدب العربي. وفي الحقيقة أنه تفوق على أساتذته في هذا المجال ويدلّ على ذلك ديوانه العربي."[١]

تولى الفراهي بعد إكمال دراسته مناصب عدة تعليمية وإدارية. فعين سنة ١٣١٤هـ مدرسا للعربية والفارسية بمدرسة الإسلام في مدينة (كراتشي)، ودرس فيها أكثر من تسع سنوات.

لما عين عام ١٣٢٤هـ أستاذا مساعدا للعربية في كلية عليكره، وكان أستاذ العربية فيها حينذاك المستشرق اليهودي الألماني (جوزف هوروفيتس)، تلمذ عليه الفراهي لتعلم اللغة العبرانية كما استكمل ذلك المستشرق عليه اللغة العربية.[٢]

ثم اختارته حكومة (حيدر آباد الدكن) عميداً لدار العلوم التي كانت كلية شرقية، فغادر إليها سنة ١٣٣٢هـ منتدباً من قبل حكومة ولايته، وكان-بالإضافة إلى مسئوليته الإدارية- يدرس الصفوف العليا في الكلية.

وكان العلامة الفراهي أحد المؤسسين للجامعة العثمانية بحيدر آباد. مكث الفراهي بحيدر آباد إلى سنة ١٣٣٧هـ، ثم استقال من منصبه مع رغبة المسؤولين في بقائه هناك، وعاد إلى وطنه. فلما رجع من حيدر آباد تولى الفراهي إدارة مدرسة إصلاح المسلمين التي أنشأتها جمعية إصلاح المسلمين في بلدة (سراي مير) ووضع فكرتها التعليمية، ورسم لها منهاجاً دراسياً فريداً يختلف عن مناهج المدارس الدينية

---

[١] حيات حميد: سيد سليمان الندوي، ص٥

[٢] حيات حميد (الندوي): ٨، (الإصلاحي): ٣٦

الأخـــرى في نظامها ومقرراتهاالدراسية، وفي أواخر أيامه كان يقيم ثلاثة أيام من كل أســـبوع في المدرســـة، ويلقي دروساً في تفسير القرآن الكريم على أساتذتها وطلابها الكبار.[1]

كان الفراهي عالماً ذا ثقافة واسعة متنوعة، فقد برع في العلوم النقلية والعقلية، ومهر في اللغات العربية والفارسية والإنجليزية، وتعلم اللغة العبرانية.

مؤلفاته

قـــد تـــرك الإمام الفراهي مؤلفات قيمة خلفه. معظمها طبع ونشر في حياته: ومنها:

١- أســـباق الـــنحو: وهـــو كتاب في اللغة الأردية في جزءين لتعليم النحو والصرف للناشئين.

٢- أساليب القرآن: أفرد هذا الكتاب لذكر وجوه الأساليب في القرآن.

٣- أمـــثال آصـــف الحكـــيم. مجموعة حكايات آصف، نقلها الفراهي من الإنجليزية إلى العربية.

٤- إمعان في أقسام القرآن.

٥- تحفة الإعراب

٦- التكميل في أصول التأويل: رسالة قيمة في أصول التفسير.

٧- جمهرة البلاغة.

٨- دلائل النظام: ألف هذا الكتاب لإقامة الحجة على وجود النظام.

---

[1] مجلة الضياء: ٧/٢، ص٢٦٠

٩- ديوانه العربي، نشره الشيخ بدر الدين الإصلاحي من الدائرة الحميدية سنة ١٣٨٧هـ.

١٠- الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح.

١١- فاتحة نظام القرآن: وهي مقدمة تفسيره.

١٢- مفردات القرآن.

١٣- تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان.

١٤- نواي پهلوي: وهو ديوانه الفارسي.

تـــوفي رحمة الله-وهو يتلو القرآن الكريم- في١٩ جمادي آخرة عام ١٣٤٩هـ على إثر عملية جراحية أجراها طبيبه الخاص في مدينة (مثورا) ودفن بها.

كان الفراهي رحمه الله معروفاً بفرط الذكاء ونفاذ البصر وسرعة الإدراك ودقة الاســـتنباط. وكان ورعه وزهده في الدنيا، وقصده في العيش، وعزوفه عن السمعة. كـــان العلامة شبلي النعماني رحمه الله يقول: "من جلس إلى عبد الحميد انصرف قلبه عن الدنيا".[١]

كان العلامة حميد الدين الفراهي من ابرز علماء الهند الذين لهم براعة موفورة في اللغـــة العربـــية ومقـــدرة كاملة على قرض القصائد والأبيات في هذه اللغة فترك العلامـــة الفراهي ديوان شعر في العربية يشتمل على قصائد غراء زاخرة بذكر الدعاء والرثاء والتذكير والتهنئة والحكمة والأخلاق والوقائع والأحداث باسلوب رائع يتسم بعذوبـــة البيان ومتانة التركيب وسهولة العبارة وقلة التكلف وهو أحسن دليل وخير شاهد على كونه أديبا بارزا وشاعرا مقتدرا في هذه اللغة.

---

[١] حيات حميد: ٥٥

لم يكـــن حمـــيد الدين الفراهي من الشعراء الذين قال عنهم القرآن: الشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون.

بـــل كـــان مـــن الشـــعراء الذين قال عنهم القرآن "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات. من أجل ذلك يندر أن نجد في أشعاره المجون والتشبيب. وكما نعرف أن التفسير كان مجاله الخاص وقضى جل حياته في فهم القرآن وافهامه والغوص في آياته والكشف عن حكمه ومعارفه والبحث عن دره.

كان الفراهي ينظم القصائد والأبيات من الشعر بالعربية وكان شغوفا بدراسة القـــرآن المـــبين. وقضى معظم أوقاته في فهم القرآن ولذلك لم يبال و لم يهتم كثيرا بقـــرض الأشعار وحاول الأستاذ الفراهي أن يستخدم الشعر كي يوفر منفدا لموهبة الشـــعرية وتشجع في تطبيق تلك الموهبة والقدرة من قول النبي صلى الله عليه وسلم "إن مـــن الشعر لحكمة" فكلما خالجت فيه العواطف والمشاعر عبّر عنها في الأشعار. يقـــول الشيخ بدر الدين الإصلاحي في هذا الصدد "إن أستاذنا الإمام كان أديبا بليغا وشاعرا حكيما، ولكنه مع ذلك لم يقرض من الأشعار إلا قليلا وذلك لأنه قد انطقع بحـــول الله وتوفيقه من بدء شبابه إلى النظر في القرآن والتدبر فيه. حتى وجد منه ما تهـــدأ به العواطف وتطمئن به القلوب وتسكن إليه الأرواح، فبه سكنت فيه عوامل الشعر وهدأت ولكنه مع هذا إذ كان في نفسه شاعرا مطبوعاً فاذا جاشت فيه عاطفة شـــديدة وهجمت عليه فهو إذن يقرض".[1] مع أنه كان عاكفا في تدبر القرآن لكن ذوقه الشعري كان موهوبا فقال الأشعار حينا فحينا. والأشعار التي وصلت إلينا تدل عـــلى تضـــلعه في العلم واللغة وقدرته على قرض الأشعار الرائعة. فأول قصيدة قالها

---

[1] ديوان المعلم: عبد الحميد الفراهي، ص٥

الفراهي في اللغة العربية هي قصيدة نظمها لتهنئة العلامة شبلي النعماني وذلك عند ما لقب بـــ "شمس العلماء" من قبل الحكومة في سنة ١٨٩٤ الميلادية ويقول:

يـــا خير من يسمو إلى العلياء كالشـــمس بازغـــة بوسط سماء
قـــد كنت قدما للمعالى ساميا أورثـــته عـــن شـــيمة الآبـــاء
لاذت بجانـــبك العلـــوم فإنها لـــو لم تصـــنها آذنـــت بفـــناء
فربت رياض العلم منك وأنبتت مهـــتزة بغصـــونها الخضـــراء
فلأســـألن الله طـــول بقاءكم في كـــل بكرتـــنا وكـــل عشاء
وأهنـــئكم بمـــا أعطيـــتم مـــن خير ما وجدوا من الأسماء
إن كـــان تلك الشمس شمس سماءها فلصـــرت شمـــس العلم والعلماء
اذ أنت شمس والعلوم سماءكم فالشمش شمسى والسماء سمائي[1]

تتســـم هـــذه الأبـــيات بروعة الخيال وعذوبة البيان وحسن التعبير وصدق العواطف. وكذلك هذه الأشعار تدل على علاقة الشاعر الوطيدة مع ممدوحه العلامة شـــبلي الـــنعماني. وألقـــى الشاعر ضوءاً وافيا على أصالة أسرة ممدوحه ومآثر آبائه ومكارمهم. كما ابتكر فيها معان جديدة بمناسبة الكلمة "شمس العلماء".

فـــلما توفى الشيخ فيض الحسن السهارنفوري قال حميد الدين الفراهي قصيدة رائعـــة بلـــيغة ورثـــى بها أستاذه. وقد قال الشيخ أمين أحسن الإصلاحي عن هذه القصـــيدة ضـــمن ذكر العلاقة القائمة بين الأستاذ والتلميذ "إن القصيدة التي قرضها الفـــراهي بالعربية عند وفاة الشيخ فيض الحسن السهارنفوري يعبر كل بيت منها عن

---

[1] ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي، ص٣٣-٣٤

حـــزنه العميق وألمه البالغ".[1] وكذلك قال الإمام الفراهي قصيدة أخرى بالعربية وهنأ بهـــا الشاعر الإسلامي الكبير الشيخ الطاف حسين الحالي حينما خلعت عليه الحكومة الإنجلـــيزية لقب" شمس العلماء" وبعثها إليه. فكتب الشيخ الحالي رسالة إليه وأعرب فيها عن شكره وتقديره للكلمات التي هنأه بها. وقال: "أنا أشكركم من أعماق قلبي على تهنئتكم الحارة التي بادرتم بها إليّ. أعتبرها افتخارا واعتزازاً لنفسي. وسوف أهتم بطـــباعة أشـــعاركم البلـــيغة في جـــريدة ما. ولم يتح لي الفرصة لترجمتها حتى الآن وسأرسلها اليوم أو الغد مع ترجمتها إلى لاهور."[2]

يتضـــح لـــنا مـــن قول الشيخ أمين أحسن الإصلاحي ورسالة الشيخ الطاف حسين الحالي إلى الإمام الفراهي أن القصيدتين (إحداهما في رثاء الشيخ السهارنفوري والثانـــية في تهنـــئة الشيخ حسين الحالي) قد ذهبتا على أدراج الرياح ولم يتم العثور علـــيهما. وكذلك لا يوجد أي أثر لتلك القصائد والأشعار التي قالها الشيخ الفراهي بالعربـــية في أوائل عمره. وهذا الوقت يعتبر عنفوانا لمثل هذه الأعمال. وبقيت منها القصائد التي قالها الفراهي بعد ما رسخ عقله ونضج فكره في الموضوعات الجدية من الـــتذكير والتهنـــئة والحكمة والموعظة والاخلاق والقضايا الإسلامية الأخرى. وان القصـــائد والأبـــيات التي توجد في ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي المطبوع تكفي لوضعه فيما بين الشعراء الكبار الهنود الذين قرضوا قصائد في العربية من أجل ميزاته الشـــعرية الخاصة. وقال الباحث الأستاذ ابو محفوظ الكريم المعصومي بعد ذكر أسماء الشعراء العربية الهنود: ان الشيخ فيض الحسن السهارنفوري والعلامة الفراهي والشيخ

---

[1] مختصر حيات حميد: عبد الرحمن ناصر الإصلاحي، ص٣١

[2] ذكر فراهي: ص١٦٧

راغب البدايوني هم أعلى مكانا وأرفع درجة في الشعر العربي في الهند.[1]

شـــعره: قـــد ذكرت سابقا أن العلامة حميد الدين الفراهي ابتعد عن جماعة الشـــعراء الذيـــن قـــال فيهم القرآن "الشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهـــيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون."[2] بل كان متصفا بصفات حميدة. وتجنب عن أشـــعار المجـــون والتشبيب وذكر النساء في أشعارهم. وبدلا من ذلك قرض العلامة الفراهي أبياتا من الشعر فيها حكمة وخبرة. زهد وورع، وموعظة حسنة. حيث قال قصـــيدة اســـتعاذ فيها بالله من فتنة المال وفتنة الأهل ومن فتنة سوء الأعمال والجهل ومن وساوس الشيطان الرجيم ، فيقول:

أعـــوذ بـــالله العظيم الافضال الغافـــر الذنب الشديد الأنكال
من همزات النفس ذات الايغال نفـــثات كـــل بـــاغ محـــتال
وفتـــنة الحرص وطول الأعمال وفتـــنة الأهـــل ومـــال ميال
وفتـــنة الدنـــيا كرقراق الآل وفتـــنة العـــلم وزيـــغ الأقوال
وفتنة الجهل وســـوء الأعمال وفتـــنة الشيطان رأس الضلال[3]

وكذلـــك لـــه قصيدة أخرى. أراد بها الشاعر العلامة أن يوقظ الإنسان من ســـباته العمـــيق وينبهه من غفلته الطويلة ويحذره من حقيقة الدنيا وفناء هذا العالم ويذكره أن كل نفس ذائقة الموت. وان هذه القصيدة تدل على أسلوبه المرن الفصيح. فيقول فيها:

---

[1] المجلة "معارف" اعظم جراه المجلد ٥٦، العدد الثالث مارس ١٩٥٠، ص٢٠١

[2] سورة الشعراء ٢٢٤-٢٢٦.

[3] ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي، ص٩

أمـــا للـــناس أحلام　　أهـــم في السكر نوام

وهم وراد حوض المو　　ت إصـــرام فاصرام

فآبـــــاء وأبـــــناء　　وأخـــوال وأعمـــام

فحـــبل الموت ممدود　　وحـــبل العيش أرمام

وهـــم باللهو واللذا　　ت مشغولون ماداموا[1]

وقال الفراهي قصيدة أخرى يتحدث فيها عن تقلب الأيام بالناس. كما ذكر فـــيها حقـــيقة هذا العالم الفاني ويذكرنا بأن الذين كانوا يعيشون أمس عيش الرخاء والســـعة فهم ينامون اليوم تحت تراب وأحجار. واذا حضر أحدا منا ملك الموت فلا يمكن ان ينقذه الجنود والحراس الباسلون أو الحصون المنيعة. وهكذا يحث الناس على القـــيام بالأعمـــال الصالحة ويوصى الإنسان بأن يعيش في هذه الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل. فيقول:

العـــيش أحـــلاء وأمـــرار　　والدهـــر إقـــبال وإدبار

بيـــنا الفتى يرفل في قصره　　اذ نابـــه بـــؤس واقطار

وكم رخى العيش في قصره　　يفغمـــه مســـك وازهار

اذا رفـــع النعش لـــه بغتة　　فضـــمه تـــرب واحجار

اذا سلب الملك فـــلم يغنه　　جـــند وأحراس وأسوار[2]

قـــرض الشـــاعر هـــذه الأبيات في أسلوب عربي فصيح على منوال الشعراء المـــتقدمين فـــيقول أحد من النقاد عنه: "وهو اذ كان ماهرا باللسان الذي انزل فيه

---

[1] نفس المصدر، ص١٠

[2] نفس المصدر، ص١١-١٢

القـــرآن وبارعـــا فـــيه فـــيقرض على منوال الشعراء الجاهليين وينشد على سبك فصحائهم."[1] وان هذه الأشعار تدل على أفكاره الإسلامية ومشاعره الدينية. وتشير إلى اهـــتمامه الـــبالغ بهداية الناس وتذكيرهم بالموت ونجاحهم في الآخرة. ويفكر في ارشـــادهم إلى الصـــراط المستقيم كما ان الاستاذ الفراهي شاعر حب خالص وايمان صـــادق. وشعره يحمل في طياتها رسالة ودعوة وحكمة وموعظة حيث يجذب انتباه القراء بسمو فكره وعلوهمته.

وكذلـــك تنم هذه الأشعار عن وجهة نظر الفراهي التي تتعلق بالشعر والأدب وتلقـــى ضوءا على مكونات الشعر الإسلامي وعوامله وعناصره. ومن هنا يمكننا أن نســـتنبط مـــن شـــاعريته مبادئ الأدب الإسلامي وأصوله. كما أشار عروج أحمد القـــادري إلى هذا الجانب عندما استعرض ديوانه فهو يقول: "إن ما تأثرت به للغاية مـــن خصائص أدب العلامة الفراهي هو أن نظريته في الأدب نظرية إسلامية خالصة. وفي مجال الأدب أيضاً انه لم ينصرف عن ذلك الطريق الذي يرشدنا إليه أدب القرآن. فلا توجد عنده الازدواجية في الأدب بحيث أنه يتبع في النثر القرآن وفي النظم والشعر يسلك مسلك الحافظ والخيام".[2]

و لم يـــنظم حمـــيد الدين الفراهي القصائد والأبيات إلا لتحقيق أهداف دينية وأغراض نبيلة. وصارت قصائده مجموعة ثمينة للحكم والمعارف وسراجا منيرا للرشد والهداية وأنه في قصائده دائما يلفت انظار الناس إلى الحقائق ليتذكر بها اولو الالباب ويتفكر فيها أصحاب العقل والنهي كما ان ابياته التالية تساند وتدعم هذا القول.

---

[1] نفس المصدر، ص٥-٦

[2] مجلة "زندكي" رامفور نوفمبر ١٩٦٧، ص٦٠

سـر مع العقل أينما سار در مـع الحـق حيثما دارا
لا تهولـنك لـيلة عكرت إن بعـد الظـلام انـوارا
إن في اللـيل والـنهار وفي الشـمس والنيرات تذكارا
راكعات مسبحات يـدعو ننا للسـجود أسـحارا[1]

تتسم قصائد الفراهي بالسهولة والبساطة إلى حد أنه لمن الصعب أن يأتي أحد بمثـلها ولا يتأتى هذا النوع من الشعر إلا اذا كانت القدرة على اللغة العربية وعلى اسـتخدام الفاظهـا وأساليبها قدرة كاملة. وكل من يلقى نظرة على ديوانه يجد فيه المـيزة. ولأجل ذلك قال أحد النقاد بعد تحليل عناصر شاعريته وإبراز محاسنها الفنية والأدبـية: "قد جاء نظمه سهلا خفيفا، يطمع السامع أن يأتي بمثله ولكنه اذا حاول عجـز. إنـه قـد أتى بقريضه للغة العربية دقة في التركيب رقة في الأداء، جمالا في الأسـلوب، حسنا في الخيال، رونقا في البيان وطلاوة في المعنى. وإن هذه كلها تدل عـلى أنه كان من الشعراء المطبوعين المجيدين لا يقرضون إلا بفيض قريحتهم ووحي فطرتهم".[2]

مع أن الأستاذ حميد الدين الفراهي كان شغوفا بالقرآن ودراساته. حيث نظم أبـياتا مـن الشعر ذكر فيها أفكارا دينية. ولكنه مع ذلك قال أشعارا عبر فيها عما كانـت تخـالج في صدره وذهنه من أحاسيس ومشاعر. وذلك عندما شنت الجيوش الإيطالـية الغارة على مدينة طرابلس وقتلت عددا كبيرا من أهلها الأبرياء بمن فيهم النسـاء والأطفال والصغار. فلما سمع العلامة الفراهي عن الاعتداءات الايطالية التي

---

[1] ديوان المعلم الفراهي، ص٣٥

[2] المصدر السابق، ص٦

تعـــرض لها ابناء مدينة طرابلس اكتئب عن عدد الضحايا والأضرار التي لحقت الأمة الإسلامية بها. وعبر عن ألمه الشديد على هذه الكارثة في قصيدة. يقول فيها:

غـــدرت بنا الروم الفواجر ذاك الـــذي كـــنا نحـــاذر

شـــبت ايطالـــية الحـــرو ب ومـــا لها في الناس عاذر

حثـــت لهـــا أبـــناء هـــا الغاوين في الهيجاء المضاجر

لـــيدوخوا ملكـــلا ويـــن تهـــبوا المدائـــن والعمائـــر

فـــأتوا طـــرابلس الـــتي لاحـــت لهـــم أدنى المعابر

دخـــلوا المـــدينة يـــقتلو ن بها الأكـــابر والأصاغر[1]

وبعد ذلك قال الإمام الفراهي قصيدة رائعة في رثاء المسلمين الذين استشهدوا في حرب طرابلس على أيدى القوات الإيطالية. عبر فيها عن حزنه العميق وألمه البالغ حتى بكى نفسه وأبكى جميع الناس على أزمة طرابلس الخطيرة. فهو يقول:

يـــا عـــين بكى بالهوا مع لا تـــرقأن لـــك المدامـــع

قتـــلى طـــرابلس الـــذ بن تطحطحت بهم القوارع

نـــبكى عـــلى إخوانـــنا أهـــل المكـــارم والدسائس

دهمـــتهم الـــروم الفـــوا تـــك بالمراكـــب والمدافع

قـــتلوا المراضـــع في المضا جع والضوارع في الشوارع

لا ديـــــن عـــــندهم ولا حـــلم عن العدوان وازع

يـــــبدون نصـــــرانية زورا وقد رفضوا الشوارع

---

[1] المصدر السابق، ص١٩

بـــل يشمئز الـــكفر مـــما يـــركبون مـــن الشـــنائع[1]

هذه القصيدة تشير إلى حمية الشاعر الدينية واخوته الإسلامية.

يكون الشاعر اكثر الناس انفعالا وشعورا. يشعر بالجور والعدوان على الخلائق قـــبل أن يشعر بها الآخرون. كما نرى أن مدينة طرابلس كانت على بعد شاشع من بلدة الإمام الفراهي ولكنه مع ذلك قد أدرك هذه الأزمة الفاجعة التي أثارت انفعالاته الأخويـــة ونظم انفعالاته وعواطفه المحزنة في الشعر باللغة العربية. وأصبحت شاعريته في هـــذه المـــرحلة قيثارة الأسى والألم. فأبياته التالية التي قرضها الفراهي إثر استيلاء المســـيحيين على مدينة طرابلس خير شاهد على هذا القول اذ انها تدل على موهبته الشعرية وقدرته الفائقة على التعبير عن خوالجه النفسية. فيقول:

كـــيف القرار وقد نكس أعلامـــــنا بطـــــرابلس

كـــيف القـــرار وحولنا الأعـــداء ترتقب الخلس

نـــبكى عـــلى إخوانـــنا بـــين القتيل ومن حبس

نـــبكى لـــربات الـــدو ر شـــرقن بالماء السلس

هـــم أهلـــنا وعشـــيرنا أ فـــيالمون ولا نحـــس

هـــل ترتضون بذل دين كـــم ولـــيس بملتـــبس

والله لا نـــــرضى بـــه مـــادام فينا مـــن نفس[2]

أحس العلامة الفراهي بكل ما كان يحدث في ذلك الحين في البلدان العربية من كارثة وبما كانت تحل على أهلها من داهية. وكذلك أحس العلامة بقضية فلسطين.

---

[1] نفس المصدر، ص١٧

[2] نفس المصدر، ص١٥-١٦

ورأي أن هـــذه القضـــية قـــد تســـببت من أجل المؤامرات الإسرائيلية والمكيدات الصـــهيونية. وقد نظم أبياتا من الشعر في نفس القصيدة حول هذه القضية وأشار إلى العواقـــب الوخـــيمة التي يعاينها المسلمون من أجل إهمالهم وعدم اكتراثهم بشئونهم فيقول:

فالـــيوم إن لم تدفعـــوا فلـــيا تـــين يـــوم النحس

إني أرى فتـــــنا تمـــــوج وقـــد ظهـــرن لمن حدس

يـــــبغون قســـــطنطنية وبعدهـــا أرض القـــدس

قـــد صـــيح في حجـــراتها وتســـمعن لهـــا الجـــرس

فلننضـــــحن أو نقـــــتلن عـــن قدسنا القوم النجس

فـــاحموا ذمـــــار المـــلة البيضاء كالأسد السكس[1]

وكذلك قال الإمام حميد الدين الفراهي قصيدة أخرى عنوانها "في ثوران الفتنة البلقانية". ذكر فيها حرب "بلقان" وعدوان المسيحيين على أهلها قائلا:

شـــبت على بلقان نار الحرب أشـــعلها بالبغى أهل الصليب

لم تـــبق في الآفـــاق أرض بها الاســـلام إلا نالهـــا من لهيب

ياكـــرد يـــا تاتـــار يـــا كابل يـــاكل مـــن لله عـــبد منيب

يدعوكـــم الإســـلام جهرا إلى ذب العدى عنه فهل من مجيب

قوموا لنصر الحق من فـــوركم واستنفروا من كل مرد وشيب[2]

بهـــذه الأشـــعار دعا الشاعر جميع المسلمين في العالم إلى المقاومة ضد اعداء

---

[1] نفس المصدر، ص١٦

[2]

الإسلام والحفاظ على الدين الحنيف والدفاع عن الشريعة المطهرة.

والجديـــر بالذكر أننا اذا تصفحنا وأمعننا النظر في الأشعار التي قالها الشعراء الهـــنود باللغـــة العربـــية نجد أنها مملوءة بالصنائع اللغوية والزخارف اللفظية وكذلك المحسنات الكلامية. وتأثر بها كثير من كبار الشعراء الهنود ولكن الإمام الفراهي كان مصونا عن مثل هذه الصنائع والزخارف. و لم تتأثر بها أشعاره وشاعريته لا في الشكل ولا في المضـــمون. بـــل انهـــا انبثقت على نمط الأشعار العربية والأساليب الفطرية والأحاســـيس الصادقة والمشاعر الذاتية. هذه الخصائص كلها تدل على سلامة ذوقه العـــربي. وذلك لأن الفراهي لم يكن شاعرا تقليديا بل كان شاعرا موهوبا. ولذلك يبـــتكر معان أصيلة وأفكارا جديدة. ويختار لشاعريته كلمات رشيقة والفاظ لائقة. ويقدم إلى القراء تصويرا واضحاً لما يتدفق في قلبه من العواطف والوجدان. ويعبر عن مشاعره وأحاسيسه في تعبير صادق.

لو تصفحنا ديوان المعلم الفراهي وأمعننا النظر فيه وجدنا أن الفراهي لم يكن شغوفا بدراسة القرآن وفهمه وقرض الأشعار الدينية ونظم الأبيات في المدح والتهنئة فحسب بل كان يعتني بالشئون السياسية والخارجية أيضاً ولا سيما في الأقطار العربية وإلى جانب تعاليم القرآن ودراسته كان ينظم القضايا السياسية في قصيدته بلغة سهلة وأســـلوب رائـــع. ويمكننا أن نقول أن الإمام الفراهي من خلال قصائده العربية ربما يظهر كمعلم للحكمة والموعظة وتارة أخرى يظهر كشاعر مفسر وفي بعض الأحيان يبدو كأنه شاعر سياسي يهتم بشئون ملته.

المفتي محمد عباس اللكنوي

حياته

كـــان الشـــيخ الفاضل المفتي محمد عباس بن علي بن جعفر عالما متفننا وأديبا متضلعا وشاعرا متقنا وقد هاجر جده جعفر بن أبي طالب بن نور الدين الموسوي من "تستر" إلى بلاد الهند في أواخر النواب آصف الدولة واستوطن لكناؤ. نال مبلغا كبيرا من الحفاوة والتقدير من قبل الأمير سعادت علي خان والنواب غازي الدين حيدر.

ولـــد محمـــد عباس في آخر ربيع الأول سنة ١٢٢٤هـ بمدينة لكناؤ ونشأ بها. وكانـــت مدينة لكناؤ عندئذ على أوج الإزدهار والرقى في المجالات العلمية والثقافية كان محمد عباس مولعا بالدراسة والمطالعة منذ صباه وكان ذكيا فطينا طبيعيا[1] اشتغل بالعلم على مولانا عبد القوي الحنفي وقرأ عليه الرسائل المختصرة بالفارسية ثم اشتغل بـــه عـــلى مولانـــا عبد القدوس الحنفي اللكنوي وقرأ عليه رسائل النحو والصرف وغيرهما[2] بعد ما فرغ من الكتب البدائية قرأ المصباح على الشيخ عبد القدوس، وتلمذ عـــلى مولانا قدرت علي الحنفي وقرأ عليه المعقولات والمنقولات والحساب والفلسفة والمـــنطق والحكمـــة والهيئة والهندسة و لم يبلغ الرابعة عشر من عمره حتى فرغ من التحصيل.[3]

اشتاق محمد عباس اللكنوي التسترى إلى علم الطب وتوجه للحصول عليه إلى الذين برعوا فيه منهم ميرزا غوث علي والطبيب مرزا علي خان اللكنوي فأخذ منهما

---

[1] عربي ادب مين اودھ کا حصه: د. مسعود انور العلوي الكاكوروي، ص١٨٠

[2] نزهة الخوطر: عبد الحئ الحسني، ٢٢٤/٨-٢٢٥

[3] تاريخ عباس: مرزا محمد عزيز اللكنوي، ص٣٢٤

وتطبـــب عليه، ثم لازم السيد حسين بن دلدار علي المجتهد وقرأ عليه الفقه والحديث وبعض الكتب الدراسية وصحبه مدة طويلة، وبعد استكمال الدراسة اشتغل بالدرس والافادة وولي التدريس في المدرسة السلطانية استغرقت هذه الخدمة ثلاث سنوات ثم تـــولى منصب الافتاء في دار التابعة لهيئة الوزارة سنة ١٢٦١هـ وظل على هذه الخدمة مدة طويلة.

ســـافر محمـــد عباس التسترى إلى مدينة كولكوتا سنة ١٨٥٨ ولكن الجو لم يوافقـــه فـــرجع إلى لكناؤ و لم يلبث بها الا قليلا حتى زار كولكوتا مرة أخرى سنة ١٨٦٤ فلقـــى جانبا كبيرا من الحفاوة والكرامة من قبل واجد علي الشاه آخر ملوك أودھ ولقـــبه بتاج العلماء وافتخار الفضلاء فأقام بها مدة ثم رجع بعد وفاته إلى لكناؤ وانصـــرف إلى الـــدرس والافـــادة والتاليف واستفاد منه كثير من الناس في الأدب والانشاء من الشيعة وأهل السنة كليهما.[١]

وكـــان الشـــيخ التســـترى بارعا في الأدب والانشاء وقرض الشعر باللغتين الفارسية والعربية حافل القريحة، حاضر البديهة، وكان من المؤلفين المكثرين يكاد يبلغ عدد مؤلفاته ما بين صغير وكبير إلى مأة وخمسين.[٢]

ومـــن أهـــم مؤلفاته وأشهرها "من وسلوى" وديوان الشعر سماه بـــ "رطب العـــرب" و"مـــنابر الإسلام"، يحتوى هذا الكتاب على خطبه ومواعظه في أسلوب مسجع وأنيق و"شمع المجالس" هو مجموعة قصائده الفارسية وفيها قصيدة عربية طويلة تغطى حوالى تسعين صفحة مدح بها السيد حسين رضي الله عنه و"القصيدة العلوية"

---

[١] عربي ادب مين اودھ كا حصه: د/مسعود انور علوي، ص١٨١

[٢] نزهة الخواطر: عبد الحئ الحسني، ٢٢٥/٨

و"معراج المؤمنين" في مجلدين في الطهارة والصلوة و"الظل الممدود" في الانشاء العربي والانشاء الفارسي و"أجناس الجناس" يشتمل على ألفين بيت على وجه التقريب وكل بيت منه مرصع بنوع من التجنيس وله غير ذلك من المؤلفات. ومن شعره قوله أجناس الجناس:

لطفت لنا وانزلت الكتابا وتغفر أن يكن ذو الشرك تابا

هو المولى ونحن له عباد ومن سلكوا خلاف الشرع بادوا

يكم بالعطايا من أتاه ومن يجحد بنعمته فتاهوا [1]

الجناس: هو أن يتشابه لفظان من الفاظ الجملة أو الشعر في منطوقهما. فان تشابهت الحروف في اللفظين تشابها تاما قيل له الجناس التام.

نحو هو المولى ونحن له عباد ومن سلكوا خلاف الشرع بادوا[2]

نحن نرى أن في نهاية البيت الأول لفظ "عباد" وفي الثاني "بادوا" وقبله لفظ "الشرع" لو نلحق "ع" من اللفظ "الشرع" بلفظ "بادوا" ستكون كلمة "عباد" وكلمة "ع بادوا" متشابهين في المنطوق.

يبدو من الآثار الأدبية للمفتي محمد عباس التسترى اللكنوي أنه كان له مقدرة كاملة على النظم والنثر كليهما وبرع في النثر وقرض الأشعار باللغات الثلاث: الأردية والفارسية والعربية على حد سواء. يمتاز اسلوبه بجزالة الألفاظ وفخامة المعانى والبراعة في التشبيهات والإناقة في الاستعارات وتضمين الألفاظ والمعانى القرآنية إلا أنه مثقل بالصنائع اللفظية ومن نموذج نثره قوله في الظل الممدود:

---

[1] الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحئي الحسني، ص٤٨-٤٩

[2] الجديد في الأدب العربي: حنا الفاخوري، ٤/١٠٠

"الحمد لله الودود والصلاة على صاحب المقام المحمود، وآله شفعاء اليوم الموعود وبعد فهذا ظل ممدود وطلح منضود، جمعت فيه شتات مـــا صدر عني في أوقات وحالات عند صدور أو ورود، أو قيام أو قعـــود من النثر والنظم وحل العقود مع الإعتراف بما في قريحتي من الجمود والخمود وهو محتو على ستة جدود والله ولي الخير والجود"[1]

وأمـــا شعره فله نوطة في القلب خاصة ما جاء منه في الذكر والزهد والتذكير بالموت فمن هذا النوع من شعره قوله:

أتتـــنا مـــنايانا عـــلى حـــين غفلة وقـــد طالما كنا نخوض ونلعب
فقـــيل لـــنا قومـــوا سراعا ساروا فســـرنا وما غير الجنائز مركب
فســـاروا بـــنا سيرا إلى دار وحشة وظلماء ما فيها سراج وكوكب
على سطحها بول الكلاب وخرؤها وفي جوفها غل ودود وعقرب
وكم ذات خصر ضامر تحت صخرة لها أعين ســـود وكف مخصب[2]

أشعاره

قال المفتي محمد عباس التسترى أشعارا كثيرة في كل صنف من أصناف الشعر وقـــد تم طبع ديوان عربي لـــه وتوجد نماذج عديدة لجميع أصناف الشعر في الكتاب "تـــاريخ عـــباس" نحو المثلث والمخمس والمسدس والمعشر وغيرها. ومن إمعان النظر والمطالعة فيها يظهر أن المفتي عباس كان شاعرا وحيدا وأديبا منفردا في ذلك العصر.

---

[1] حركة التايف باللغة العربية في اقليم الشمالي الهندي: د/جميل احمد، ص٣٩١

[2] نفس المصدر، ص٣٩٣

قـــال الشيخ التسترى قصيدة في الثناء على رب السموات والأرض والتسليم عـــلى ســـيد الأنبياء. هذه القصيدة تشتمل على ٦٩ بيتا وهي أول قصيدة في ديوانه العربي سماه بـــ "رطب العرب" إنه يقول في الثناء والحمد.

هـــو الله لا يحصـــى عليه ثناء ويعجـــز عـــن إدراكه العرفاء

علـــيم حكـــيم صانع متقدس يصـــور في الآجام كيف يشاء

إلهى فخلص نيتى فيك حيث لا لا يكـــون مرادى سمعة ورياء

فكل رجاء ليس دونك خائب وما خاب للراجين منك رجاء

وكـــل عويل إن رضيت فنعمة وكـــل نشيد إن غضبت بكاء

وكـــل مســـاء فيه ذكرك نير وكـــل صباح ما ذكرت مساء

ولـــيس لذي ملك سواك تأبد ولـــيس لملـــك أنـــت فيه فناء

حمـــيد مجـــيد سرمدى مهيمن لـــــه ملكـــوت دائـــم وبقاء

فسجانه مـــن خالق متجمـــد لـــه من قـــديم الكبرياء رداء[1]

في البيـــت الثاني من الشعر الأخير تضمين لحديث النبي صلى الله عليه وسلم "الكبرياء ردائي" أو كما قال عليه الصلوة والسلام. ويقول في المديح النبوة:

محمـــد المـــبعوث للناس رحمة لـــــه كـــلما في العالمين فداء

ســـراج منير يستضيء الورى ومـــن نوره في الكائنات سناء

حبيـــب عـــدو الله من لا يحبه طبيـــب بـــه للعـــالمين شفاء

وصلى عليه الله من فوق عرشه ومـــنه علـــيه في الكتاب ثناء

وأسرى به ليلا إلى العرش فاعلا فوافـــاه من دون الحجاب نداء

---

[1] رطب العرب: المفتي محمد عباس، ص٢-٣

قد انشق من اشراقه القمر المنير لما اعتراه حيرة وحياء

على قلبه الرحمان أنزل مصحفا مجيدا له قد أذعن البلغاء

فقال وما آتاكم فاعلموا به ما عنه ينهاكم فعنه انتهاء

ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوته فيحبط أعمال الذين أساءوا[1]

وقال محمد عباس أشعارا تتعلق بالحادثة التي حدثت له وهي أن رجلا كان صديقا له وصحبه مدة طويلة ثم غضب عليه وأراد اغتياله فلما علم ذلك هجاه شر هجاء بالأبيات التالية فيقول:

بليت بشر زنجي شقى ألف الغدر له وفاء

كذوب غاشم شر البرايا بذى لا يقاربه الحياء

جهول ناقض للعهد غدرا تماثله من الناس النساء

عدو لا يخاف الله فينا شرير حاذرته الأولياء

لئيم من هجاه أتى بمدح ومن يمدح فهو له هجاء

هو الشاكى السلاح له سهام ومالى جنة الا الدعاء

ألم يعلم بأن الموت آت وأن العمر ليس له بقاء

أريد حياته ويريد قتلى ويابى الله الا ما يشاء[2]

وقال منظومة في صديق له وقع بينه وبين محمد عباس فراق وتمثل ذلك الصديق يوما في الرؤيا متعذرا اليه فطار الشيخ المفتي فرحا برؤيته حتى استيقظ من النوم ولكن صديقه غاب عنه عند إستيقاظه فتأسف شديدا ويعبر عن هذا الأسف

---

[1] نفس المصدر، ص٤

[2] نفس المصدر، ص١٥

ويقول:

رأيـــتك في المـــنام وأنـــت نـــاء　　كـــأنك قـــد رجعت إلى الوفاء

تعـــانقنى عـــلى نـــدم وعـــذر　　لمـــا قـــد كـــان منك من الجفاء

فـــأيقظنى الســـرور وزاد غمـــى　　بـــيقظتى الـــتي فـــيها عـــناء

فـــليلى كـــان أنـــور مـــن نهار　　وصبحى صار أكدر من مسائي[1]

ولـــه نظم لطيف في معنى طريف. يذكر فيه شح الأمراء وبخلهم. ويقول إن هؤلاء البخلاء دائما يتجنبون عن بذل النعيم فيما بين أهلهم. ويحسبون أن الثروة تقل من كثرة الانفاق. فيقول.

ان الأمـــراء قـــد أصيبوا　　بالفقر وشأنهم عجيب

ضـــنوا بنعـــيمهم وظنوا　　ان الـــنعماء لا تغيـــب

الدهـــر يبـــيد ما حباهم　　والمـــرء ببخلهم يخيب

كالاخوة يحجبون سهما　　للأم ومـــالهم نصيب[2]

ومن بديع شعره في معنى لطيف، قوله:

جـــب في جباية كنـــز العلم أفاقا　　فمـــن تعـــلم نال العز ان فاقا

المـــال يـــسرق والانفاق يـــنقصه　　والعلم يشرق لو انفقت انفاقا[3]

وقـــال محمد عباس قصيدة يفتخر بها ويعتز بنفسه وبشعره ويقول هو حسان الهـــند. ومن المعلوم أن السيد غلام علي آزاد البلكرامي قد لقب بـــ "حسان الهند"

---

[1] نفس المصدر، ص١٩

[2] نفس المصدر، ص٣٠

[3] تاريخ عباس: مرزا محمد هادي عزيز اللكنوي، ص٢٤٨

فيقول:

يامن لـــه الذوق بالأشعار والخطب عـــباس بالهند كالحسان في العرب
في نظمـــه حكـــم لم يـــبدها قلم في نـــثره كـــلم أحلى من الضرب
ديوانـــه رطـــب أغصـــانه أدب أوراقـــه ذهب يفضى إلى العجب
الوجد من شعره والشعر من فكره كالسكر من خمره والخمر من العنب
بـــل رب لفظ جرى من غير فكرة كالريح في الروض تستغنى عن الطلب
الدهو يوحشنى والشـــعر يؤنسنى والله يحر سنى مـــن شر كل غبى[1]

وقال قصيدة في الصبابة، ومنها:

يشـــيب الـــزمان ويفنى القرون ومـــا كنـــت فـــيه ففيه أكون
فـــؤاد علـــيل وجســـم كلـــيل وحـــزن طويـــل ودمع هتون
طلبـــتم فقـــود القلـــب بـــرفق وهبـــنا على شرط أن لا تخونوا
أحـــب عـــدوا تســـمى بخـــل ومـــا ذالـــك الحب إلا جنون
رمـــانى زمـــانى بســـهم البلايا ومالى عند الصبر حصن حصين
كلام فـــصيح ولـــفظ مـــليح أعباس أحسنت لـــولا المجون[2]

قـــد قال المفتي محمد عباس التسترى اللكنوي قصائد عديدة وأشعارا كثيرة في جمـــيع أصـــنافه: الذم والهجاء والمدح والثناء والتأبين والرثاء وغيرها من الموضوعات وكذلـــك قـــال أشعارا في المثلث والمخمس والمسدس والمعشر والمستزاد والتضمين وغيرهـــا. وقـــد تناول موضوعا بسيطا وبث فيها روحا من قدرته على قرض الشعر

---

[1] رطب العرب مفتي محمد عباس، ص٤٧

[2] نفس المصدر، ص٢٥٣

ومـــن تلـــك الموضـــوعات: النسيان والدوران والغيم والمطر والفقر والغناء والحمى والشيب وأذكر على سيل المثال أشعارا قالها في المشيب. يقول:

خليـــلى قـــد ولى الشـــباب حبيبا وأورث حـــزنا دائمـــا ونحيبا

يـــود الفـــتى لـــو أن يعمر وهو لا يـــود عـــلى طول الحياة مشيبا

وكـــيف يطول العمر من غير شيبة وهل من قضيب يستديم رطيبا

فـــان كان ذو شيب يحب غضاضة فـــبالدمع يســـقى ذرعه ليطيبا

ويســـــعى لـــــدار لا مشـــــيب ولا أمـــل إلا وكـــان قريـــبا

ولا رضـــب حـــتى يـــإن لأجلـــه ولا ســـقم حـــتى يـــأم طبيبا

لحـــوم عـــلى مـــر الـــزمان طرية وزهر على الأحقاب يعبق طيبا

ولا شيء في الـــدنيا يـــدوم وراءه سوى شعر عباس تـــراه عجيبا[1]

قـــد لا حظنا نماذج من أشعاره. انه قد أتى في شعره ونثره كليهما بتعبيرات بليغة وتشبيهات أنيقة واستعارات بديعة. وله اسلوب رائع. في أشعاره روعة وسلاسة لا ســـيما عندما يفتخر ويعتز بشيء كما رأينا في قصيدة قالها في شأن نفسه وادعى فـــيها بأنه حسان الهند. لو نلقى نظره على آثاره الأدبية والعلمية نجد أنه كان شاعرا مطبوعا وحاضر البديهة ووحيد العصر وقد تفنن في قرض الشعر في عصره.

---

[1] نفس المصدر، ص٤٠

الشيخ ذو الفقار علي الديوبندي

حياته

هـــو ذو الفقار علي بن فتح علي الديوبندي. يعتبر أحد من علماء الهند الذين ذاعـــت سمعـــتهم في مختلف العلوم والفنون لا في داخل الهند فحسب بل في خارجها أيضاً. ولد الشيخ ذو الفقار علي ببلدة ديوبند في سنة ١٢٤٧هـ المصادفة سنة ١٨٣١م. ونشأ بها، وقد تلقى الدراسات الابتدائية أولا من علماء تلك البلدة ثم انتقل منها إلى دلهـــي للاســـتزادة من معينها العلمي، وقرأ الكتب الدراسية على الشيخ مملوك على الـــنانوتوي والمفـــتي صدر الدين المتلقب بـــ "آزرده" وأخذ منها حتى امتاز في علم المعـــانى وعلم البيان والنحو وغيرها من العلوم وتميز عن زملائه في ذالك العصر وبرع في قرض الشعر.

لمـــا أكمـــل دراسته العليا إختار لنفسه وظيفة التدريس وأصبح مدرسا بكلية بريـــلي ثم اشتغل إلى المناصب الحكومية في ادارة التعليم حتى أصبح مفتشا للمدارس الابتدائية من قبل الحكومة. وظلّ على تلك الوظيفة الهامة لبضع سنوات ثم تركها إلى التدريس وبدأ يعلم في دار العلوم بديوبند حتى أصبح شيخ الأدب لدار العلوم وأسدى خدماته العلمية والأدبية اليها وأنشا جيلا نشيطا خلال تدريسه بها.[1]

كـــان ذو الفقـــار عـــلي الديوبندي من الذين قد أحسوا بالاحتياج إلى قيام المدرسة الدينية التي ستذود هجمات الانجليز الغاشمة عن الثقافة الإسلامية وتحول بين نشر الثقافة المسيحية فيما بين الهنود ولا سيما في المسلمين فقد اشترك في تأسيس دار

---

[1] نزهة الخواطر: السيد عبد الحئ الحسني: ١٥٢/٨

العلوم بديوبند سنة ١٨٦٦م.

قـــد ترك الشيخ ذو الفقار علي آثاراً أدبية خالدة بعده. من أشهرها ما شرحه من قصائد الشعراء العرب ودواوينهم وعلق عليهم بالاردية منها "التعليقات على سبع المعلقات" التي طبعت من المطبعة المجتبائية بدلهي و"ارشاد إلى بانت سعاد" وهو شرح للقصيدة المعروفة بـــ "قصيدة البردة" التي قالها كعب بن زهير. وطبع من نفس المطبعة وشـــرح "عطر الوردة في قصيدة البردة" قائلها حسن البوصيرى. بالاضافة إلى شروح هـــذه القصائد الشهيرة انه قد شرح "ديوان الحماسة" و"ديوان المتنبى" وله كتاب في علم البلاغة ألفه باللغة الأردية. وتوفى الشيخ الديوبندي سنة ١٩٠٤م عن عمر يناهز ٧٣ عاما.

كان ذو الفقار علي الديوبندي فريد عصره ونادر دهره. وبرع في علم البيان وفي علم المعانى والنحو والنظم. انه لم يشتهر في شرح القصائد العربية للشعراء العرب والتعليق عليها فحسب بل قرض أشعارا عديدة ونظم أبياتا بديعة باللغة العربية أيضا. هذا يدل على قدرته الموفورة وبراعته الكاملة في قرض الشعر. وتتلألأ هذه البراعة في أشعاره وقد تناول فيها جميع أصنافها التي كانت مألوفة لدى الشعراء الهنود في ذلك العصر نحو المراثي والقصائد. وكانت هذه القصائد تشتمل على الموضوعات المختلفة. ويقـــول الدكتور زبير أحمد الفاروقي "وكانت القصائد تحتوى على الحمد والمناجاة ومـــدح الـــنبي وما يتصل به والمدح والوصف والترحيب والتهنئة والمواعظ والحكم والموضوعات المتفرقة.[١]

---

[١] مساهمة دار العلوم بديوبند: د/زبيد احمد الفاروقي، ص-٩٣-٩٤

شعره

من أشعاره ما قاله من قصيدة مدح بها السلطان عبد الحميد الثاني ملك الدولة العثمانية. هذه القصيدة تحتوى على ٥٣ بيتا. بدأ القصيدة بالتشبيب على طريقة الشعراء القدامى وله أسلوب رائع ويقول:

يا قاسى القلب يامن لجّ في عذلى ... السيك عنى فان عنك في شغل

وكيف تعرف حال المستهام أيا ... من لم تصبه سهام الأعين النجل

سفاكة وحياة العاشقين بها ... فتاكة وهي مع ذا مرهم العلل

هيفاء ضامرة لعساء غادرة ... بيضاء ساحرة بالغنج والكحل

كالشمس تبدو جهارا غير خافية ... ولا تسير بالأستار والكلل

ثم تحول إلى غرضه الحقيقي وهو مدح السلطان عبد الحميد ويقول:

عبد الحميد أمان الخائفين مبيد الظالمين سدي القول والعمل

كهف الأنام مغيث المستضام له ... إلى أقاصى المعالى أقرب السبل

العادل الباذل المرهوب سطوته ... في الجود كالبحر بل كالعارض الهطل

غوث الورى خادم الحرمين معتصم المكروب غيث الندى يهمى بلاطلل[1]

و إلى جانب مدح ملك الدولة مدح في نفس القصيدة آل عثمان وهو يقول:

لله جيشك أبطال النزال ومن ... في الكر كالليث في التمكين كالجبل

أبناء حرب قتال العلج بغيتهم ... أساد حرب لهم غاب من الأسل

الخائضون غمار الموت من طرب ... والقاهرون على الاقبال والبسل

---

[1] نزهة الخوطر: السيد عبد الحئ الحسني، ٨/٥٣-١٥٤

يا آل عثمان ويا فخر الكرام ويا　　خـــير الأنـــام لأنتم منتهى أملى

جزاكم ربكم خير الجزاء عن الا　　ســـلام اذ قد نصرتم سيد الرسل

أبقاكم الله في عـــز وفي شـــرف　　وفي علو وفـــي مجد وفي زعـــل[1]

وقال قصيدة أخرى مدح بها مؤسس دار العلوم بديوبند محمد قاسم النانوتوي فهو يقول:

حـــتام تشـــغل بالدنـــيا عن الدين　　أمـــا تـــرى أزمـــة حلت بقارون

وكـــيف تعلـــو علـــو النار عن سفه　　فـــان أصـــلك من ماء ومن طين

ولازم العـــلم والعـــلماء مجـــتهدا　　يعـــيذك الله مـــن شـــرّ الشياطين

العـــلم علـــق نفـــيس يستضـــاء به　　فاطلب ولو كان هذا العلم بالصين

ان تـــرد أن يصـــير الحـــق متضحا　　فاســـتفت صاح امام الحق والدين

كهف الورى قاسم الخيرات جامعها　　مـــن فاق أنفاسه روض الرياحين[2]

وقـــال قصيدة وصف فيها الأنبج، وعدّه أطيب الثمار وألذ الفواكه طعما ولا شـــك في كونه لذيذا. يتفوق الانبج في الشمار كما تميز الإنسان في الخلائق الأخرى انـــه قـــد أتـــى بتعبيرات حلوة في وصف هذه الفاكة الشهية. وقد تفنن في وصفه. وتحتوى هذه القصيدة على خمسة وعشرين بيتا. ومنها:

إن كنـــت تبغى أطيب اللذات　　فعلـــيك صاح بأنبه الثمرات

في حســـن مرأي في نباهة سيرة　　في لطف ذات في سمو صفات

من طعمها في كل قلب شهوة　　فكأنهـــا مجموعـــة الشهوات

---

[1] نفس المصدر، ٨/٥٥-١٥٨

[2] مساهمة دار العلوم بديوبند: د:زبير احمد الفاروقي، ص١٢٢

بالجامعـــية فاقت الأثمار كالـــ إنســـان فاق جميع الحيوانات

ولئن يلمك اللائمون فقـــل لهم الإضطرار يبيح محـــظورات[1]

قـــد اتضح لنا بالأشعار والأبيات المذكورة أن ذو الفقار على الديوبندي كان شـــاعرا قديرا وأكثر في قرض الشعر من جميع أصنافه. وقال أشعاراً لم يعنونها. وذلك عـــندما إقترب منه بعض أصدقائه وتضرعوا إليه أن يكتب شرحا لديوان المتنبى. انه رفض هذا المقترح في أول وهل واعتذر اليهم ثم أجاب ارادتهم وقام لمطالبهم فيما بعد وتهـــيأ لهذه المهمة الجبارة للتجنب عن تكسير قلوبهم وتكدير خواطرهم. وقال أبياتا بهذه المناسبة. منها:

ومـــن مذهـــبى ألا أخيـــب راجيا فـــلا عذر لي في أن أجيب المناديا

فقمـــت لتســـويد الكتاب مشمرا ورمـــت لـــتحرير المطالب ساعيا

بمـــاذا أبـــاهى إنـــنى لست كاتبا فصـــيحا ومـــن يجـــيد القوافـــيا

وأرجـــو من النظار أن ينظروا إلى صـــنيعى بعـــينى مـــن يرانى راضيا

فعين الـــرضا من كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا[2]

في الـــنهاية أذكـــر أشعارا قالها الشيخ الديوبندي في مدح النبي صلى الله عليه وسلم والحقها بالكتاب "عطر الوردة في شرح البردة" وأجاد في مدحه. منها:

مـــا مـــثل أحمد في الوجود كريما كهـــف الورى بالمؤمنين رحيما

لنـــجاتنا يـــوم النشور زعيـــما مـــن قال فيه إلهنا تـــعظيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

---

[1] الهدية السنية في ذكر، دار العلوم الديوبند: ذو الفقار علي الديوبندي، ص١٠-١١

[2] مساهمة دار العلوم بديوبند: د/زبير احمد الفاروقي، ص١٣٤

مـــن أخجـــل القمرين نور جماله وأذل جـــبار العـــدى بجلالـــه

فـــاق الأنـــــام بفضله وكـــماله حسنت جميع خـــصالـــه وفعاله

صلوا عليه وسلموا تسليما

أســـرى الالـــه بـــه فـــنال مكرما من قاب قوسين المحل الأعظما

وبســـره أوحـــى الـــيه وســـلما وحـــــباه نعمة قـــربه وتكلما

صلوا عليه وسلموا تسليما[1]

هـــذه هي بعض النماذج من الأشعار والأبيات التي قرضها الشيخ ذو الفقار عـــلي الديوبندي في قصائد مختلفة. ولا شك في أنها قليلة ولكننا من خلالها نتطلع إلى مقدرته البالغة على قرض الأشعار. انه قد تناول موضوعا بسيط لكنه نفخ فيه روحا ببراعته وأسلوبه الرصين كما رأينا في القصيدة التي نظمها في شأن الأنبج الذي يعتبر أحلى الثمار لا في داخل الهند فحسب بل في خارجها أيضا. وقد أجاد في وصفه.

[1] عطر الوردة في شرح البردة: ذو الفقار علي الديوبندي، ص١٠٦

العلامة فضل الحق الخير آبادي

هو واحد من العلماء الكبار الذين ولدوا بالهند ونشأوا بها. كان العلامة فريد العصر في الفطانة، وحيد العصر في خصبة الذهن والذاكرة. كان من أعاجيب الزمان في الحفـــظ وســـرعة الفهـــم. ويقال إنه لم يكن لـــه نظير في العلوم العربية والفنون الأخرى كالمنطق والحكمة والفلسفة في ذلك العصر.

ولـــد العلامـــة فضل حق ببلدة "خير آباد" بمديرية "سيتافور" سنة ١٢١٢هـ ونشـــأبها. تقع هذه المدينة على بعد بضعة أميال من مدينة لكناؤ، عاصمة ولاية اترا بـــراديش كانت هذه المنطقة مهدا للعلم والفضل والثقافة منذ قديم الزمان وقد انجبت عديـــدا من كبار العلماء والفضلاء والشعراء وغيرهم. كان أبوه فضل إمام أيضاً عالماً كـــبيرا وكان يقيم بمدينه دلهي فقرأ العلامة الكتب البدائية على والده. كان ذكيا وله ذهن حاد حتى حفظ القرآن في فترة أربعة أشهر فحسب. ثم أخذ عن أبيه المعقولات وبـــرع فيها. يقول مولانا عبد الشاهد خان الشرواني: "كان من عادة أبيه أنه كان يـــدرس العلامـــة وهو راكب على الفيل للذهاب والإياب بالاضافة إلى تدريسه في البيت حتى جعله فقيد النظير في المعقولات في صغر سنة"[١]

ثم أرســـله ابـــوه إلى الشاه عبد القادر بن ولي الله الدهلوي وأخيه الشاه عبد العزيـــز الدهلوي المحدث. أخذ المنقولات عنهما. إن العلامة كان قد أخذ المعقولات عن أبيه والمنقولات عن إبني الشاه ولي الله الدهلوي. وعليه ظن العلامة أن أسرتهما لا تتـــبحر في المعقولات. اتفق ذات مرة أن فضل حق والمفتي صدر الدين قد تحدثا عن العلوم الإسلامية في هذه الأسرة وقالا: "إن الأسرة الشاهية لها فضل كبير في التفسير

---

[١] باغي هندوستان: سوانح علامه فضل حق، عبد الشاهد خان شرواني، ص١٤٢

والحديث والفقه وغيرها ولكنها لا تتبحر في المعقولات فبلغ ذلك الخبر الشاه ولي الله الدهلوي. فلما وصلا في اليوم التالي. قال الشاه رحمه الله: لا أريد اليوم التدريس بل أريد المناقشة معكما في المعقولات. فرضيا على الفور: وقال الشاه الدهلوي لهما: خذا مسئلة واختارا جانبها القوى اعطياني أوهنها. فبدأت المناقشة بينهم حول "حصول الأشياء بأنفسها وبأشباحها" وأقنعهما مما أتى ببراهين قاطعة خلال المباحثة حتى اعترفا بفضل وبراعة تلك الأسرة في المعقولات أيضا.[1]

فلما بلغ الثالث عشر من عمره انتهى من الدراسة النظامية وذلك في سنة ١٢٢٥هـ/١٨٠٩م. ثم تولى التدريس وظل يدرس التلاميذ الذين كانوا يأتون إلى أبيه للاستزادة من معينه. ودرس خمسين عاما كاملا مع أنه كان مشغولا في وظائف مختلفة. كان العلامة فضل حق الخير آبادي شفوقا بالطلبة. وكان دائما يحرص على تدريس الطلاب الأذكياء ويحاول أن يفهمهم الدروس بالفاظ سهلة وكان لا يفرق بينهم خلال الدرس وطار صيتهم في حسن التدريس حتى حضره الطلاب من أقصى البلاد وأدناها. فأفادهم كثيرا.[2]

يبلغ عدد تلاميذه إلى مئات الدين نالوا قبولا واسعا في مجالات فنونهم. ومن ابرزهم: (١) مولانا عبد الحق بن فضل حق الخير آبادي (٢) ومولانا هداية الله خان الرامفوري (٣) والأديب الجليل مولانا فيض الحسن السهارنفوري (٤) ومولانا عبد الحق بن الشاه غلام رسول الكنبوري (٥) ومولانا قادر (ابن أخته) (٦) ومولانا الشاه خير الدين بن محمد هادي (والد مولانا أبي الكلام آزاد) (٧) ومولانا عبد

---

[1] نفس المصدر، ص١٤٥

[2] آثار الصناديد: السير سيد أحمد خان، ص٤٦٧

العزيز السنبهلي وغيرهم.

بـــرع العلامة في العلوم العقلية والنقلية وتفوق فيها من أبناء جلدته. اعترف بذلك كثير من العلماء المعاصرين والمتأخرين كليهما. قال مولانا الحكيم محمود أحمد الـــبركاتي: "لاشـــك أن مولانـــا فضل حق كان إمام العصر في الإلهيات وفي الكلام والمـــنطق والفلســـفة و لم يكـــن لـــه مثيل في العلوم العقلية في جميع بلاد الهند وبين فلاســـفة العالم الإسلامي. كان يداني نصير الدين الطوسى وصدر الدين الشيرازي. فمؤلفاته القيمة حول الموضوع تعين منـــزلته فيما بين فلاسفة العالم.[١]

قـــال المولوي الحافظ فقير محمد الجهلمى: "إن العلامة فضل حق الخير آبادي كان عالما كبيرا وفقيها بارعا ومحدثا جليلا. كان إماما في علم الأدب واللغة والحكمة والفلســـفة.[٢] وقال الشيخ السيد عبد الحئ الحسني عنه: "وفاق أهل زمانه في الخلاف والجدل والميزان واللغة وقرض الشعر وغيرها. ونظمه يزيد على أربعة آلاف. وغالب قصائده في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وبعضها في هجو الكفار.[٣]

وقـــال الأمير صديق حسن خان عنه: "إنه كان إمام وقته في العلوم الحكمية والفلسفية بلا مدافع. غير أنه وقع في أهل الحق ونال منهم على تعصب منه.[٤]

وكذلـــك برع العلامة في علوم أخرى نحو علم الهيئة وأجاد في اللغة الفارسية وتشير إلى تلك الواقعة التي وقعت في السجن. وهي كما يلي:

"كان العلامة فضل الحق الخير آبادي مسجونا في اندمان. وكان ناظر السجن

---

[١] نفس المصدر، ص١٤٨

[٢] حدائق الحنفية: فقير محمد الجلهمي، ص٤٨٠

[٣] نزهة الخواطر: السيد عبد الحئ الحسني، ص٤١٣

[٤] ابجد العلوم: الأمير صديق حسن خان، ص٥٠١

رجـــلا مـــثقفا وعالما للعلوم الشرقية. وكان لـــه إلمام في علم الهيئة. كان في السجن عـــالم آخر. ففوض الناظر إليه كتابه في علم الهيئة ليصحح عبارته. كان الكتاب في اللغـــة الفارسية فلم يقدر ذلك الأسير العالم. فذهب بالكتاب إلى العلامة وهو كان أسيرا جديدا في ذلك الحين وتضرع إليه للتصحيح. فلم يصحح العلامة عبارة الكتاب فحســـب بل أضاف فيه شيئاً وأشار إلى بعض المراجع وكتبها في الحاشية فلما رأي الناظر الكتاب بهت بما وجد فيه من تعديلات لم يتوقعها. وقال للمولوي "انت رجل فاضـــل" ولكن أين وجدت الكتب التي أشرت اليها في الحاشية. فتبسم وأخبره عما جـــرى. فذهب الناظر على توه إلى ثكنة المعسكر وبعد أن انتظر قليلا رأى أنه يجيء رثيـــت الحـــال. ففاضت عيناه دموعا لـــه ثم اختاره كاتبا لـــه. بعد ذلك شفع في الادارة لاطلاق سراحه.[1]

كـــان فضل حق الخير آبادي كريما جوادا. كان يصنع المعروف والمجاملة مع الأصـــدقاء والـــزملاء من شيمته. كان الشاه غوث علي قلندر الباني بيتي من زملاءه وتلامـــيذ أبيه فضل إمام الخير آبادي. ذات مرة نزل بمدينة رامفور وأقام بالخان بها. اتفـــق أن رآه العلامـــة فأراد أن يذهب به إلى بيته لكي يقيم عنده وألح ذلك. ولكن الشـــاه علي لم يرض بالمرافقة لانه كان يقضي كثيرا من أوقاته في الإستغراق. وذلك يتطلب الخلوة والعزلة عن الناس فلذلك آثر الإقامة في الخانة على الذهاب مع العلامة. فقال العلامة لصاحب الخانة إنه يتحمل جميع نفقاته ويدفعها ولا يطلب منه.[2]

كـــان العلامـــة فضل حق مواظبا على التدريس والقاء الدرس. وقد واصل

---

[1] باغي هندوستان، ص٢٢٧

[2] نفس المصدر، ص٢٠٣ و ٢٠٤

التأليف والكتابة حتى في المنفى بجزيرة "اندمان" وتصل مولفاته إلى سبعة عشر كتابا. منها (١)الجنس الغالي في شرح الجوهر العالي (٢)الهدية السعيدية الحكمة العلمية (٣)الروض المسجود في تحقيق حقيقة الوجود (٤) حاشية على تلخيص الشفاء لوالده (٥) حاشية على "الأفق المبين" للسيد باقر داماد (٦) حاشية على "شرح السلم" لقاضي مبارك (٧) رسالة في تحقيق العلم والعلوم (٨) رسالة في تحقيق حقيقة الأجسام (٩) رسالة في تحقيق الكلي الطبيعي (١٠) رسالة في التشكيك والماهيات (١١)رسالة الثورة الهندية (١٢) قصائد فتنة الهند (١٣) رسائل في الرد على الشيخ إسماعيل الدهلوي في اثبات امتناع نظير النبي صلى الله عليه وسلم (١٤) شرح تهذيب الكلام (١٥) رسالة قاطيغورياس (١٦) مجموعة القصائد (١٧) تحقيق الفتوى في أبطال الطغوى. سأله بعض العلماء الأسرى في المنفى "هل تركت شيئا من المآثر في الهند؟ فقال العلامة. نعم! تركت اثنين. أحدهما كتابي حاشية على "شرح السلم" وثانيهما إبنى عبد الحق.[1] يبدو من قوله أنه كان يعتزب "حاشية شرح السلم" من بين جميع كتبه ويفتخر على عبد الحق من بين أبنائه كلهم.

فلما ناهز العلامة الثامنة والعشرين من عمره توفى ابوه فتحمل عبئ نفقات الأسرة على كواهله. وعين مساعد المدير في مكتب الوكيل البريطاني بدلهي. وكان محببا لدى جميع الحكام وموقرا في البلاط الملكي مادام كان موظفا في الإدارة الحكومية. ولكنه مع ذلك لم يمكث طويلا بدلهي. وانتقل منها إلى بلدة جهاجهر. تم تعيينه في وظائف مختلفة. انتقل من مدينة إلى أخرى حتى وصل إلى مدينة لكناؤ وعين بها صدر الصدور.

---

[1] باغي هندوستان، ص١٨٤

عندما وصل العلامة فضل حق الخير آبادي مدينة لكناؤ حدثت حادثة فاجعة أثـــرت عـــلى حياة العلامة وهي أن تعرضت بلدة بالقرب من لكناؤ للاضطرابات الطائفـــية انـــتهك الهنادك حرمة المسجد بها دخلوها لابسين أحذيتهم، مزقوا أوراق المصـــحف الكـــريم وقـــتلوا الشاه غلام حسين وزملاءه كما يبلغ عددهم إلى ٢٦٩ نسمة. وتجرأوا على نفخ الصور في حرم المسجد.[١]

فلما سمع مولانا الشاه امير علي هذه الواقعة المؤلمة اشتعلت نار الحمية فيه وتهيأ لـــلجهاد ضـــد هـــؤلاء الهنادك المقترفين بهذه الجرائم الشنيعة والقى خطبة حض بها المســـلمين عـــلى الخروج في سبيل الله لإعلاء كلمته. كان العلامة موظفا مسئولا في ادارة الحكومـــة الإنجلـــيزية في ذلـــك العصر. حينما أرسل وفد يشتمل على العلماء والأمـــراء إلى الشـــاه لإجراء المحادثات معه لإقناعه عدم المشاركة في الجهاد. حضر العلامـــة أيضـــا المحادثة ولكن المفاوضة قد فشلت. كان الشاه أمير علي مزمعا على الخـــروج لـــلمقاومة ضـــد الهنادك المسئولين عن إنتهاك محارم الإسلام. وخرج حتى استشهد هو وجميع زملاءه الذين خرجوا معه.[٢]

غـــيرت هـــذه الحادثـــة الفاجعة مجرى حياة العلامة فضل حق كليا وتغيرت شخصـــيته. بـــدأ يفكر في الثورة. غادر مدينة لكناؤ وذهب إلى "الور" وتحدث مع الأمراء والإقطاعيين حول الموضوع ثم رجع إلى دلهي وجعل يحضر الاجتماعات فيما يتعلق بنشاطات الثورة. كما يذكر الكاتب جيون لال في مذكراته عن ذلك:

١٦ أغسطس ١٨٥٧م: حضر المولوي فضل حق بلاطا ملكيا. وأهدى دنانير

---

[١] نفس المصدر، ص٢٠٨، أيضاً علماء هند كا شاندار ماضي، الجزء الثاني: سيد محمد ميان، ص٤٤٦

[٢] نفس المصدر، ص٢٠٩

إلى الملك وتحدث معه حول الأوضاع والظروف الراهنة.

٦ سبتمبر ١٨٥٧م: أخبر المولوي فضل حق أن عساكر متهرا (Mathura) ذهبت إلى آغره وهزم الإنجليزيين. والآن تتهيأ للإغارة على المدينة.

٧ سبتمبر ١٨٥٧م: مكث الملك في الأيوان الخاص. حضره الحكيم عبد الحق والمير سعيد علي خان والمولوي فضل حق وبدر الدين خان والأمراء والآخرون.[١]

موجز الكلام أن الإنجليز قد سيطروا على دلهي في اليوم التاسع عشر من شهر سبتمبر في عام ١٨٥٧م. فشلت محاولات المجاهدين لانقاذ البلاد من براثن المستعمرين الغاصبين. فأجمع رأيهم على أن يتخذوا مدينة لكناؤ مقرا جديدا لمقاومتهم وأن يحاربوا الإنجليز من الهند. أما العلامة فضل حق الخير آبادي فبقى محتبسا في بيته بعد احتلال الإنجليز لخمسة أيام. و لم يأكل و لم يشرب شيئا خلال هذه الأيام الخمسة. خرج في ٢٤ سبتمبر مع أسرته والمتطلبات اللازمة في ظلام الليل. ترك كتبه النادرة والأمتعة الأخرى في بيته ووصل بيكن فور (بهيكن پور) بمديرية علي جراه. أقام ثمانية يوما. ثم وصل إلى بلدة خير آبد والتحق بجنود الملكة حضرت محل.[٢]

فلما تغلب المستعمرون البريطانيون على كل جبهة من جبهات الثورة أعلنت الملكة فكتوريا العفو العام للثوار الهنود كلهم. وذلك في أول نوفمبر من سنة ١٨٥٨م. أمهلتهم فترة شهرين لكي يعودوا إلى بيوتهم، فأيقن العلامة ميثاقها. ونظر إلى العفو العام من قبل الملكة رجع إلى موطنه "خير آباد" لم يكد يصل إلى المدينة حتى

---

[١] غدر كي صبح و شام روز نامچه منشي جيون لال، ص٢١٧، ٢٤٠، ٢٤٦ و ٢٤٧ نقلا عن باغي هندوستان، ص٢١٤

[٢] باغي هندوستان، ص٢١٦ أيضاً مقال الدكتورة قمر النساء: ثقافة الهند، ص١٠٥-١٠٦، المجلد ٣٧ العدد ٢٠١، ١٩٨٦

ألقى القبض عليه. ويقول العلامة في هذا الصدد:

إن بـــلاني خدعة إمرأة بلى كيد عظيم ما تكيد به نساء

خدعت بأن شهرت أن أمنت قوما نبت بهم الديار وناءوا

فأتيـــت دارى آئـــبا اذ غرنى أيمـــان كافرة[1] لها استيلاء

ثم اعتدى عمالها اذ ما رعـــوا ميثاقها فـــأتانى استدعـــاء[2]

بعـــد أيـــام أصدرت الحكومة الإنجليزية أوامر بحبسه ومصادرة جميع ممتلكاته ونفي العلامة في سنة إلى جزيرة من جزر سيلان تسمى بـــ "اندمان".

تحمـــل العلامـــة فضل حق الخير آبادي المشاق والآلام المتنوعة من قبل مراقبي الســـجن ولكن العلامة مع كل هذه المصاعب والآلام لم يمتنع من الدراسة والكتابة. ألـــف العلامـــة بها عدة كتب، من ابرزها: رسالة الثورة الهندية وقصائد فتنة الهند. كلتاهما نموذجان في روعة البيان وتعبران بكل وضوح عن المشاق والشدائد التي ابتلي بها العلامة ورفقاءه في المنفى. ارسل العلامة هذه الرسالة والقصائد من السجن إلى إبنه الرشـــيد عبد الحق على يد المفتي عنايت أحمد الكاكوروي الذي كان قد تم إطلاق سراحه في سنة ١٢٧٧هـ. كان العلامة قد كتبها بقلم الرصاص (Pencil) والفحم. قام إبنه بتدوينه بعد جهد بالغ استغرق عدة شهور.[3]

وإلى جانـــب التأليـــف في السجن قام العلامة بتصحيح بعض الكتب وأخص بذكـــر الكتاب الذي الفه عالم انجليزي في علم الهيئة. وكان الكتاب باللغة الفارسية

---

[1] يعنى ملكة فكتوريا

[2] الثورة الهندية: العلامة فضل حق الخير آبادي، ص٨٦

[3] باغي هندوستان، ص٢٢٦

فقـــام العلامة بتصحيح ذلك وتسبب هذا إلى إطلاق سراحه. وقد مضى ذكره فيما سبق.

تـــوفي العلامة في المنفى سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م. مع أن حكم البراءة كان قد أصـــدر. وذهب إبنه شمس الحق إلى جزيرة اندمان. نزل من السفينة ودخل المدينة اذ رأى أن الناس يسيرون في موكب الجنازة. سأل الناس عنها. فقالوا "ان العلامة فضل حـــق الخير آبادي قد توفى بالأمس ونذهب الآن إلى تشييع الجنازة. فاشترك الإبن في تشييع أبيه كئيبا ورجع من هناك خائبا.[١]

شعره

قـــد لا حظـــنا في سيرته أن العلامة فضل حق الخير آبادي كان عالما متبحرا وألـــف كتـــبا عديدة ذات قيمة. وإلى جانب كونه مؤلفا قديرا كان العلامة شاعرا مفلقا. وكان لـــه قدرة كاملة في قرض الأبيات في اللغة العربية. ويبلغ عدد أبياته في الشعر العربي إلى آلاف. وتناول فيه جميع الموضوعات ولكن اكثر شعره في المديح النبوي وهجو الكفار. كما يقول الشيخ عبدالحئ الحسني: ونظمه يزيد على أربعة آلاف. وغالـــب قصـــائده في مـــدح النبي صلى الله عليه وسلم وبعضها في هجو الكفار."[٢]

واذا قال العلامة قصيدة في العربية قدمها إلى الشاه عبد العزيز الدهلوي ذات مـــرة قـــال العلامة قصيدة على منوال قصيدة لإمرئ القيس الذي كان يعتبر أشعر

---

[١] نفس المصر، ص٢٢٧ أيضاً مقال الدكتورة قمر النساء، ثقافة الهند، ص١١٢

[٢] نزهة الخواطر، ص٤١٣

الشعراء العرب. أنشدها على الشاه الدهلوي وعلى حد قول مولانا الشاه غوث علي قلـــندر" أعترض الشاه الدهلوي على بيت من تلك القصيدة. فانشد عشرين بيتا من كلام الشعراء للاستدلال به. كان ابوه حاضرا هناك في ذلك الحين قال لـــه فحسب لا تـــتجاوز حد الأدب. فقال العلامة لأبيه: إنه ليس علم التفسير والحديث. بل هذا فـــن الشـــعر ليس فيه شيء من سوء الأدب، فقال الشاه الدهلوي: يا بني تقول حقا كنت على خطأ.[1]

مـــن أروع قصيدة قالها العلامة هما: القصيدة الهمزية والقصيدة الدالية كتبهما في المنفى ذكر فيهما نقض العهد من قبل ملكة فكتوريا. وصور فيهما أحسن تصوير لما تجشم العلامة فيه من صعوبة ومشقة فيقول:

إني بـــلاني خدعـــة إمـــرأة بـــلى كـــيد عظـــيم مـــا تكـــيد نساء
يخلـــبن خلقـــا بـــالمواثق ثم لا لعهـــود هـــن وعهـــد هـــن وفاء
خدعـــت بأن قد شهرت أن آمنت قومـــا نبـــت بهـــم الديار وناءوا
اذ غـــرّهم ميـــثاقها رجعـــوا إلى أوطـــانهم مستبشـــرين وفـــاءوا
فأتيـــت داري آئـــبا اذ غـــربي أيمـــان كافـــرة لهـــا اســـتيلاء
لمـــا عـــنوت وما عنوت لهم ربت مـــن ظـــلمهم بي محـــنة وعـــناء
شحن الحقود صدورهم حتى بدت بـــالضغن مـــن أفـــواههم بغضاء[2]

ثم يذكر حياته في المنفى ويتحدث عن الشدائد به. فيقول:

---

[1] تذكرة غوثية: مولانا شه گل حسن شاه الباني بتي، ص١٣٠/١٣١ نقلا عن باغي هندوستان عبد الشاهد خان، ص١٦٥-١٦٦

[2] الثورة الهندية: فضل الحق خير آبادي، ص٨٦

ألم ألمّ بـــنا وهـــمّ همّـــنا ونـــوى لـــنا منها بلى وبلاء

حلت عظام مصائب جلت بها وهن العظام ودقت الأعضاء

قـــد ضيقوا عيشي عليّ فعفته ونسيت عيشا كان فيه رخاء

يومى وليلى في إشتداد حـــرارة ودجى هما الباجور والداداء[1]

واذا أمعنا النظر في القصيدة الهمزية وجدنا أن العلامة قال أبياتا من الشعر في الحمـــد والمديـــح النبوي. قال العلامة هذه القصيدة في المنفى. وكانت أيامه في ذلك الحين صعبة عليه. ولكن العلامة لم ينس ربه ورسوله فهو يقول في المديح النبوي:

هـــو أول النور السنى تبلجت بضـــيائه في العـــالم الأضواء

هـــو أول الأنـــباء آخرهم به خـــتم النـــبوة وابتدأ الإبداء

قد خصه الباري بأوصاف على لم يعطها الأحداث والقدماء

أعطاه فضلاً ليس يمكن أن يكو ن لـــه شريك فيه أو شركاء

بـــر رحـــيم مفضـــل ذوقوة هـــاد رؤوف محســـن معطاء

قـــد زاد مكـــة رفعـــة ميلاده وتشـــرفت بوجوده البطحاء

أنـــبأ ببعثته المسيح وقـــبلـــه مـــوسى كما أنبأ به شعياء[2]

ثم يقول العلامة في موضع آخر من نفس القصيدة:

يـــا رحمـــة للعالمين ارحم على مـــن لالـــه في العـــالمين رثاء

فاشفع لـــه من دون إرجاء فقد ضـــاقت عليه الأرض والأرجاء

يـــا من أغاث بلطفه جملا شكا لطفا فلى شكوى نوى وشكاء

---

[1] نفس المصدر، ص٨٦

[2] نفس المصدر، ص٩٦-٩٨

لم يبق لي غيرا متياحك لى لدى الرب الرحيم المستماح رجـــاء[1]

وكذلك قال العلامة في تلك القصيدة أبياتا يستغفر بها ربه. فيقول:

يـــا رب حقق لي رجائي ولا يكن لي في الـــنجاة من العدى إرجاء

قد قمت أزجى القاعدين إلى الوغى وقعـــدت لمـــا قامـــت الهيجاء

أجر مت اذ حجمت من كسل فلم أشـــهد اذا ما استشهد السعداء

رب اعـــف عنى ما اقترفت واعفنى فـــرجائي مـــنك العفو والإعفاء

فاغفر وعـــاف وتب عـــلي فنجنى ممـــا ابـــتلاني الخـــصم والمشاء[2]

قـــد أشار العلامة في هذه الأبيات إلى حادثة وقعت بالقرب من مدينة لكناؤ. استشهد فيها ٢٦٩ شخصا. وحاول مولانا في ذلك الحين إقناع بعض المجاهدين بعدم المشاركة في الجهاد. وقد مضى ذكره فيما سبق من سيرته.

اذا رأى الشاعر جمالا أو شيئا ما وتأثر به عبر عن انفعاله بأشعار رائعة. ونجد أن العلامة فضل حق الخير آبادي، بالإضافة إلى المديح النبوي والحمد، قال أبياتا من الشعر وصف بها أشياء مختلفة. وصف العلامة الليل فيقول:

وطـــرف أرمد يؤذيه غمض ولـــيل سرمد داجى الظلام

طويـــل لا يقـــاس به زمان فســـاعته كشهر بل كعام

كأن كواكب الجوزاء نيطت بـــأجفان ودام بالـــدوام[3]

وكذلك اذا تصفحنا قصائد العلامة وجدنا أنه قال أبياتا من الشعر في أغراض

---

[1] نفس المصدر، ص١٠٠-١٠٢

[2] نفس المصدر، ص١٠٢

[3] نفس المصدر، ص١١٢

أخـــرى. مـــنها الشـــكوى والعتاب. وفي هذا الفن نرى أن الشاعر يعاتب أصدقاءه وزمـــلاءه وربما لا يسامح حتى نفسه ويعاتب شخصه. كما رأينا في الأبيات التي قالها استغفارا. بالاضافة إلى ذلك يشكو المصائب التي ابتلي بها في الحبس. فيقول:

قـــد ضـــيقوا عيشى علي فعفته ونسيت عيشا كان فيه رخاء

حجـــروا عـــلى واسكنوا حجرة لم يأتهـــا غـــير السموم هواء

يـــا ويـــلها من حجرة جدرانها تشوى الشوى وترابها رمضاء

مـــنعوا أشـــد المنع أن يلقاني الأ حـــباب والاخـــوان والأبناء

سلبوا الكسى لبسوا علي كساءهم مالى سوى ذاك الرديئ رداء[1]

فـــوق ذلك، نجد المحسنات اللفظية والمعنوية في أشعار العلامة فضل حق الخير آبـــادي وهـــذه الصناعة تدل على قدرته الموفورة وذوقه البالغ في نظم الشعر. وقد كـــثرت هـــذه المحسنات في شعر العلامة. ومن المحسنات التي كثرت في أشعاره (١)التلميحات (٢) التكرار (٣) التشبيهات.

قـــد كـــثر مجيـــئي التلميحات في أشعار العلامة فضل حق الخير آبادي. وقد استخدمها العلامة بأسلوب رائع وهي تدل على براعته الموفورة وقريحته الموهوبة. فهو يقول:

أومى إلى القمر المنير فشقه وأبـــانه شقين ذا الإيمـــاء

في هذا البيت أشار الشاعر إلى معجزة انشقاق القمر.

ويقول في موضع آخر لتلك القصيدة. فيقول:

قد شاء رسل أن يكونوا أمة وسطا فاعطى بعضهم ما شاءوا

---

[1] نفس المصدر، ص٨٦-٨٨

في هـــذا الشعر إشارة إلى رغبة عيسى عليه السلام الذي طمع في أن يولد في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويقول في موضوع آخر:

أصحابه حمس أشداء على الكفار فيما بينهم رحماء في هذا البيت لمح الشاعر إلى الآية: أشداء على الكفار ورحماء بينهم. (القرآن)

ويقول في موضع آخر في القصيدة الدالية:

اذا تجلت يخـــر المحتلى صـــعقا خرور موسى فويق الطور اذ نودى

فقد لمح العلامة في هذا الشعر إلى قصة موسى الذي سأل ربه أن يظهر لـــه. فـــلما تجلى لـــه ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا. سورة الأعراف رقم الآية ١٤٣.

التكرار

وذا طالعـــنا في أشـــعار العلامـــة لاحظنا أنه كثر تكرار الألفاظ والكلمات. اســـتخدم هذه الكمات من مادة واحدة بمعان متنوعة. هذه الميزة تدل على تضلعه في اللغـــة العربـــية وقدرته على انتقاء الألفاظ القوية والكلمات الجيدة التي تترك أثرا في نفوس القارئين. يوجد ذلك في كلامه شعرا ونثرا.

فهو يقول:

حشا حشاى جوى يشوى الجوانح والحشاء كنار غضا توري بايقاد[1]

"حشـــا" و"حشـــاى" كلاهما من مادة واحدة ولكن الشاعر قد استعملها في معنى مختلف. ويقول موضوع آخر:

---

[1] نفس المصدر، ص١٠٦

فقوّتي ضعفت والضعف ضوعف من تنقص في القــوى والجسم مــزداد[1]

في هــذا البيت أيضا قد استعمل الشاعر لفظان (ضعفت وضوعف) من مادة واحــدة ولكنه قد استخدمهما في معنى مختلف. وبل يتعارض بعضهما من بعض في المعنى.

ويقول في موضع آخر:

لما رأت أنــه لــــم يبق مختصم للحرب باغ ولا باغ ولا عــاد

عادت فعادت فما منت بما وعدت منت حبائل ميــثاق وميعــاد[2]

إســتعمل الشاعر في الشعر الثاني "عادت" و"فعادت" كلاهما من مادة واحدة ولكنه استخدمهما في المعنى المتعارض.

التشبيه

قــال العلامة فضل حق خير آبادي أشعارا كثيرة أورد فيها التشبيه. والغالب فــيها التشــبيه بمحسوس ليكون أقرب إلى الفهم. قال العلامة أبياتا شبه فيها المرأة بالشمس. كما يقول في هذا البيت:

ولو طلعت من الأخدار ليلا طلوع الشمس من تحت الغمام[3]

ثم يشبه النظر بالسهام. فيقول:

رنت فرمت سهاما وابتلتهم بلــدغ كالسهام وبالسهام[4]

---

[1] نفس المصدر، ص١٠٨

[2] نفس المصدر، ص١١٠

[3] العلامة فضل حق الخير آبادي، د. قمر النساء، ص٢١٩

[4] نفس المصدر، ص٢١٩

في ضـــوء هذه الدراسة يمكننا أن نقول إن العلامة فضل حق خير آبادي كان واحـــدا مـــن شعراء الهند المفلقين. قد ترك ديوانا لـــه. قد شبه قصائده بعض الناس بقصائد الشعراء العرب. وقال مولانا محمد الدين "إن العلامة فضل الحق الخير آبادي كانـــت لـــــه يد طولى في الأدب وعلم الفلسفة. قصائده الغراء تفوق بلاغة على قصـــائد إمرئ القيس ولبيد وكان لـــه مهارة في النظم والنثر كليهما حيث لا يدانيه إلا قليل من الشعراء السلف والخلف.[1]

[1] روضة الأدباء: محمد الدين، ص١٤٨ نقلاً عن باغي هندوستان، ص١٩٨

العلامة فيض الحسن السهارنفوري

ومـــن بـــين كبار العلماء وفحول الأدباء في تاريخ اللغة العربية الهندية الذين قدموا اسهامات جليلة في مجال الأدب والشعر وأثروا اللغة العربية رغم بعد المشرقين مـــن موطن اللغة الحقيقي في أرض تمتاز بتعدد اللغات واللهجات والثقافات واعترف بفضـــلهم العصـــور بشيء من سناءها وبهاءها هو الشيخ العالم الكبير العلامة فيض الحســـن ابـــن علي بخش بن خدا بخش القرشى الحنفي السهارنفوري تلميذ أساتذة أجلاء وأستاذ تلاميذ أبرار صاروا أئمة العلوم والفنون المختلفة.

ولـــد مولانـــا فيض الحسن السهارنفوري عام ١٨١٦م في محافظة سهارنفور بولايـــة اترابراديش الواقعة في منطقة قريبة من دلهي، مهد الحضارة والثقافة، المعروفة بخصـــوبتها حيث أنها أنجبت كبار رجال الفكر والدعوة والأدب والإصلاح ونشأ في أســـرة ثرية تمتلك الأراضى والضيعات وترعرع في حضن عائلة تحب العلم وتحرص على حصوله. فكانت أول مدرسة تعلم وتربى فيها هي بيته. وكان أول أستاذ علمه هـــو أبوه فقد قرأ الكتب الابتدائية للعربية والفارسية على أبيه. ثم وجد نفسه ظمآن ولا أحـــد في سهارنفور من يروي ظمأه العلمي فشد رحاله وولى وجهه شطر دلهي حيث توجد منابع العلم وعيون الفن والتقى هناك بالعلماء الكبار "وأخذ الحديث عن الشـــيخ أحمد سعيد بن أبي سعيد العمري الدهلوي وتطبب على الحكيم امام الدين"[١] و"اســـتفاد من مفتي صدر الدين آزرده الذي كان عالما جليلا لـــه المام واسع باللغلة العربية. يقول فيه مولانا أبو الكلام آزاد انه تم ادخال ديوان المتبني في الكتب الدراسية بســـبب ذوقـــه الجميل (مفتي صدر الدين) فقط الا انه لم يكن يدرس قبل ذلك في

[١] نزهة الخواطر: الجزء الثامن، عبد الحي الحسني، ص٣٨٩

الأدب العـــربي سوى مقامات الحريري والمعلقات السبع"[1] كذلك كان مجلسه مرتادا للشعراء والأدباء. فلا شك ان هذه البيئة الأدبية قنقت شاعريته وساعدته على تعميق ثقافـــته وتوسيع آفاقه. وظل يكتسب العلم وصال وجال في المجالس العلمية والنوادى والمحافل الشعرية ولكنه زاد ظمأ على ظما، وسمع فيما عن العلامة فضل حق بن فضل امـــام خير آبادي الذي كان حلقة من السلسلة الذهبية الخير آبادية (متوفى ١٢٧٨هـ) والـــذي كان تلميذ شاه عبد العزيز وأستاذ العلوم الحكمية والأدب العربي كليهما"[2] فغـــادر لـــرامفور وأخذ عنه المعقولات والأدب حتى أصبح "من اعاجيب الزمان... وانتهت إليه رئاسة الفنون الأدبية"[3]

وبعد أن أكمل دراساته اشتغل بالدرس والإفادة وصرف عمره فيها حتى ذاع صـــيته في أنحاء البلاد كلها كعالم جليل وأديب ماهر فأمه طلبة العلم من كل صوب فقـــرأ من قرأ عليه أثناء اقامته في دلهي السير السيد أحمد خان عام ١٨٤٦م. قرأ عليه قصـــائد من المعلقات السبع وعدة ومقامات للحريرى ومنار في أصول الفقه والسير السيد أحمد خان ليس فينا بخامل ولا مجهول.

لكن الزمان كان بالمرصاد. فقد وقعت حادثة تاريخية كبيرة اهتزت لها دعائم الهـــند وأركانهـــا وحدثت الثورة الكبرى المعروفة بـــ "ثورة ١٨٥٧" فاضطر مولانا فـــيض الحسن إلى أن يرجع إلى وطنه ويعيش حياة الجهول والضياع، فلم يجد مناصا مـــن أن يشتغل بالطب وبدأ يروح نفسه بمعالجة المرضى لكن نفسه الطامحة لم تطمئن

---

[1] معارف سبتمبر ١٩٩٥، ص٢٠٠

[2] حيات شبلي: مولانا السيد سليمان الندوي ، ص٨٠

[3] نزهة الخواطر: ج٨، ص٣٨٩

وبيـــنما كان يعاني من بهذه المشكلة اذ دعاه تلميذه الكبير السير السيد أحمد خان في ١٩٦١ إلى غـــازيفور للعمـــل في المجمـــع العلمي لأنه كان يعرف منـــزلته ومكانته العلمـــية فاشـــتغل بالـــترجمة وعندما انتقل السير السيد أحمد خان من غازيفور إلى علـــيجراه انـــتقل معه مولانا فيض الحسن وساعده في الأمور الدراسية "ويرى بعض العلماء أن الكتب الفارسية مثل تاريخ فيروز شاهي وتزك جهانغيري التي قام بطباعتها السير السيد أحمد خان كانت لسهارنفوري يد كبرى في جمعها وترتيبها ثم طباعتها"[١]

أثناء ذلك تم انشاء الكلية الشرقية بلاهور تحت إشراف الدكتور لائتنـــز الذي كـــان عالمـــا للغات الشرقية فاستقدم الدكتور مولانا السهارنفوري إلى لاهور عام ١٨٧٠م لـــتدريس اللغـــة العربـــية وآدابها وجعله رئيس القسم ومدير هيئة البحث والكـــتابة، ظل العلامة يدرس في هذه كلية سبعة عشر عاما دون كلال وملل وبكل شـــغف ونهم وطبقت شهرته الآفاق فتوجه اليه هواة العلم والمعرفة والأدب من كل حـــدب وصوب، من ولايات اترابراديش وبيهار ودكن وراجبوتانه والمناطق الأخرى وكـــان مـــن الكثيرين الذين ارتادوا هذا النبع العذب الزلال العلامة شبلي النعماني ومولانـــا حمـــيد الديـــن الفرهي ومولانا وحيد الدين ومولوي محمد اسماعيل ميرٹهي وهـــؤلاء من علماء المسلمين الذين يتجمل بهم التاريخ الإسلامي الهندي. قرأ العلامة شبلي عليه الحماسة، كان يدرس في الكلية الحماسة والهداية وديوان المتنبي والمقامات لـــلحرير واصـــدر مجلة عربية شهرية باسم شفاء الصدور وخلق في الكلية جوا عربيا وحـــث عـــلى الكتابة والدراسة. بعد مدة طويلة قضاها في هذه الكلية في إرواء غلة العاطشـــين الهائمين للعلم والأدب وافاه الأجل في لاهور ونقل جثمانه حسب وصيته

---

[١] معارف سبتمبر ١٩٩٥، ص٢٠١

إلى مسقط رأسه ودفن في سهارنفور في السادس من فبراير ١٨٨٧. تغمده الله برحمته.

مكانته العلمية

كان العلامة فيض الحسن السهارنفوري عالما جليلا وشاعرا كبيرا. قد أجاد وبرع في ثلاث لغات: العربية والفارسية والأردية. وآثاره العلمية القيمة هي خير دليل على ما قلنا. لكنه اشتهر ببراعته في اللغة العربية ولو القينا نظرة طائرة على اقوال بعض المؤرخين لتظهر لنا أهميته ومكانته العلمية المرموقة التي يحتلها العلامة السهارنفوري، يقول صاحب الإعلام: "كان من أعاجيب الزمان ذكاءا وفطنة وعلما، لم يكن في عصره اعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها متوفرا على العلم الحكمية"[١] ويقول السيد سليمان الندوي "كان مولانا فيض الحسن السهارنفوري الذي كان استاذا في الكلية الشرقية بلاهور أديبا كبيرا لعل أرض الهند لم تنجب مثله إماما للأدب في قرون"[٢] ثم أضاف قائلاً: "أكبر فضل مولانا فيض الحسن أنه أحدث ثورة في الأدب العربي الهندي الذي صرف الطلبه عن الشعراء العرب المحدثين إلى قدماء الشعر وهو الذي روج دراسة الحماسة"[٣] وكذلك يقول انه كان أديب عصره ويأتيه الطلبة من أقاصي البلاد وأدانيها. كان يحفظ قاموس المحيط لفيروز آبادي وزوايات الأغانى لم يكن احد مثله في معرفة أيام العرب والأنساب

---

[١] نزهة الخواطر، ص٣٨٩

[٢] حيات شبلي، ص٨٥

[٣] نفس المصدر، ص٨٠

والعادات والخصائل والتقاليد للزمن الجاهلي"[1] ويقول مولانا أمين احسن الإصلاحي "وكان مولانا فيض الحسن استاذا في الكلية الشرقية بلاهور و لم يكن في الأدب العربي مـــثله في جميع انحاء البلاد" (تفسير نظام القرآن، ص٨، طبع ١٩٩٦). هذه البيانات التي ذكرناها تكفي لبيان مكانة فيض الحسن السهارنفوري العلمية وعلو شأنه ثم لدينا مصنفاته التي تنطق بذلك وتشهد به.

إن الآثار العلمية التي خلفها لنا مولانا فيض الحسن نجدها في ثلاثة لغات. وهنا نكتب أسماء بعض المصنفات العلمية الشهيرة (١) حاشية على تفسير الجلالين "تعليقات الجلالين (٢) وحاشة مشكوة المصابيح (٣) وشرح بسيط على ديوان الحماسة بإسم شـــرح فيضـــي (٤) وشرح المعلقات السبع المسمى برياض الفيض (٥)ونسيم فيض بالفارسية (٦) جشمه فيض بالفارسية (٧) وگلزار فيض بالاردية (٨)وشفاء الصدور بالعربية وهذه مجلة شهرية كان يصدرها في الكلية الشرقية ويكتب لها مقالاتها بنفسه (٩) ديوان الفيض بالعربية (١٠) وفيض القاموس وغيرها من المصنفات.

ومـــن بـــين هذه الكتب يعتبر ديوان الفيض وفيضي وشرح الحماسة ورياض الفـــيض مـــن أبرز مؤلفاته. ومن خصائص شرح الحماسة والمعلقات انه يكتب اسم الشـــاعر كاملا إلى جانب بيان حسبه ونسبه ويكتب القافية لكل شعر ويبين الخلفية ويشرح الكلمات بكل دقة وتفصيل ويوضع معنى العشر باسلوب بسيط واضح كما يبين أخطاء تبريزي في شرحه ويصححها ويراجع أثناء كتابة الشرح قاموس المحيط لفيرز آبادي وكتاب الأغانى وابن خلكان والفائق للزمخشري وغيره من الكتب.

لكـــن ديوانه العربي هو الذي أوصله قمة المجد وخلد ذكره. فهو شاعر قوي

---

[1] معارف سبتمبر ١٩٩٥، ص٢٠٣

مرهف الحس يملك عنان الكلام ويستوعب اللغة العربية ويعرف ميزاتها ويستخدمها عـــلى هواه دون تعنت وإرهاق واجهاد، تبدو اللغة طبيعية في يده تمتثل بما يأمرها به. يتناول مولانا فيض الحسن السهارنفوري في شعره موضوعات مختلفة من حمد ومدح ومراثي، فقد مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه أبيات كثيره ومدح سلطان عبد الحميد التركي ومدح نواب شاهجهان بيغم ونواب صديق حسين خان أما الرثاء فقد رثى أمه ورثى فضل حق خير آبادي أستاذة ومولانا أحمد علي السهارنفوري وغيرهم وفي النهانية نقدم بعض النماذج الشعرية. قوله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

فديت وهل عندى مفدى مكرم سواك وارجو فديتى منك في غد

بأهـــلى وجيرانى وأمي ووالدي ونفسي ومالي من رديء وجيد

وعرضي وما عرضي عـــلى بهين وأصلي واصـــلي محتداي محتد

كذلك يقول في صحابة النبي:

أعـــز الـــبرايا أغـــر العطايـــا كريم السجايا سليم العرائك

وآلـــك طـــرا جمـــيعا وصحبك عيوث السنين ليوث المعارك

لهـــم مـــثل في القـــرون الخوالي وذكر لهم في الأناس الهوالك

أمن ضل مسلككم وهو في الغي يهديـــه الـــنجوم الشوابك

طـــريقـــهم مســـتقيم قـــويم ويـــا حسرة ان تعداه سالك[1]

ويقول في مدح سلطان عبد الحميد وهي قصيده طويلة نأخذ بعض الأبيات فقط:

مالي بذي الأرض من وال ولا واق ولا طبيـــــــب ولا آس ولا راق

ولا حمـــيم ولا جـــار ولا ســـكن ولا نـــديم ولا كـــأس ولا ساق

[1] ديوان الفيض، ص٧٩

أبكـــى عـــلى بكـــاء غير منقطع فليـــنظر الـــناس أجفانى وآماقى

حـــولي كـــثير مـــن الأعداءهمهم قتـــلي ومالي دون الله من واقي

ثم يقـــل: فسوف آوي إلى جلد أني ثقة ادم كـــى إلى التقـــتال مشـــتاق

حاي الذمار حمى الأنف ذى أنف طلـــق اليدين طويل الباع سواق

عن آل عثمان سامي الطرف مبتسم إلى الطعـــان شديد البأس مشتاق

قـــوم اذا مـــا غزوا فازوا ببغيتهم ولا يعـــودون في شـــيء باتفاق

فتيان صـــدق أولوا بأس ذود كرم لا يجلسون لـــدى قـــوم باطراق

الشيخ انور شاه الكشميري

كـــان الشيخ أنور شاه الكشميري من كبار العلماء في المعقولان والمنقولات كـــان عارفاً بعلوم الحديث والفقه، مولعاً بتأييد الفقه الحنفي طول حياته، متضلعا في العلوم والمعارف المتنوعة، وسابر أغوارها وأنجادها ووصل من حقائق العلوم إلى غايتها القصوى وحمادها، وأطال صحبة أنفاسه على محبة ووداد وسداد.[1]

ولـــد أنـــور شاه في أسرة كريمة علمية ودينية بقرية تسمى بـــ "وُدوان" على وزن "لُبـــنان" في وادي (لـــولاب) بولاية كشمير في عام ١٢٩٢هـــ، ونشأ بها كان عكوفا على العلم والدراسة، كان منذ نعومة اظفاره ومستهل طفولته على داب نادر في اكتســـاب العلـــوم والمعارف فكانت تلوح على جبينه علائم الرشد وتتجلى فيه بوارق الذكاء[2].

فـــلما بلـــغ انور شاه الخامسة من عمره قرأ القرآن الكريم وفرغ منه في فترة قصـــيرة. ثم قرأ عليه بعض الرسائل بالفارسية والكتب من النظم والنثر من مؤلفات سعدى الشيرازي والنظامي والأمير خسرو الدهلوي والجامي وغيرهم. فبرع فيه حتى فاق غيره في ذلك العصر.

ثم بـــدأ في تحصيل العلوم العربية، ففرغ من الصرف والنحو، وقدر صالح من أكثر العلوم المتداولة من الفقه وأصولها والمنطق والفلسفة وغيرها في حولين فصاعداً. فـــلما ارتـــوى و تضلع في هذه العلوم سافر للحصول على مزيد من العلوم إلى بقاع

---

[1] انظر: الداعي "مجلة إسلامية نصف شهرية"، عدد خاص (٤) صادرة مدرسة دار العلوم ديوبند، ١٩٨٠، ص٥٩

[2]. محمد يوسف البنوري: "نفحة العنبر"، ط. بيت الحكمت ديوبند، (الطبع الثالث) ١٩٩٨، ص. ٢

"هـــزاره" (مـــن حدود الفنجاب بالغرب الشمالي) وكان محطاً لرجال مهرة العلوم الدرسية والأساتذة المتقنين، فمكث فيها من نحو ثلاثة أعوام، كي يروى غلته ويشفى صدره.[١]

وكـــان الشـــيخ أنور قد سمع سمعة بعض الأفاضل بالديار المجاورة لدلهي فشد رحالـــه اليها حتى وصل إلى مدرسة دار العلوم بديوبند في عام ١٣٢٥هـــ وارتوى هـــذا الطفل من علوم شتى من جهابذة علماءها كما أخذ ينهل من علومهم ويرتوي مـــن معـــارفهم حتى شحذت صحبتهم قريحته وجاء في الأخلاق والآداب واكتملت هـــناك ثقافـــته. ومكث عامين وقرأ هنالك العلوم المتعارفة على كبار العلماء كأمثال الشـــيخ إســـحاق الامرتسري، والشيخ خليل أحمد الانبيتهوي والشيخ محمود حسن الديوبـــندي. وبعـــد ما اكمل دراسته في مدرسة ديوبند اشتغل بالتدريس والإفادة بالمدرســـة الأمينية بدلهي، ثم سافر إلى الحجاز فحج وزار وحصل الإجازة في الحديث من الشيخ حسين بن محمد الطرابلسي[٢].

ذات مرة نشأ خلاف فيما بين الأساتذة والموظفين بديوبند. أدى هذا الخلاف إلى مغادرة أنور شاه ديوبند، بتلك وتألم قلبه النوائب الكارثة، حتى لم يلتئم جروحه الناعـــبة إلى آخر عمره، كان الشيخ قليل التحدث وصبورا على الشدائد ولكنه مع ذلك إذا ذكر منها شيئا كان يصبح حزينا وكان فلبه يقطر دماً، وقد أشار الشيخ إلى ذلك في بعض أشعاره، حيث قال :

---

١. عبد الرحمن كوندو: "الأنور" ط. ندوة المصنفين أردو بازار دلهي، ١٩٩١م، ص. ١٢.

٢. عبيد الله الأسعدي: "دار العلوم ديوبند، مدرسة فكرية توجيهية"، ط. أكاديمية شيخ الهند ديوبند ٢٠٠٠ م، ص. ١٧.

فقـــدت به قلبي و صبري وحيلتي و لم ألق إلاّ ريب دهر تـــصرما

و من عبـــرات العين مـــا لا أسيغه و من غلبات الوجد ما كان همهما

و من نفثـــات الصـــدر ما لا أبثه و من فجعات الدهر ما قد تمجما

تكفـــفت دمعـــي أو كففت عنـــانه وصار يجاري الدهر حتى تـــقدما[1]

فاســـتقال الشـــيخ أنور شاه عن منصب درسه، واستعفى عنه وانزوى عازماً للعزلة والتجريد و الناس أصدى إلى علومه، والقلوب مجدبة مشتاقة إلى صوب مزنته، فأكـــب علـــيه الناس من كل جهة، وتهافتوا عليه من كل صوب حتى وصل إلى قرية "دابهيل" من مديرية "سورت" تدعى بـــ "تعليم الدين"، فأصر بعض أصحاب الهمم العالـــية والعزائم السامية على أنور شاه بأن يشتغل بها في درس الحديث حتى لم يأل الشاه مأموله وأسعفه بمرامه. بقي الشيخ أنور شاه فيها خمس سنين، يجود بحره الزاخر بحقائقـــه ومعارفـــه الإلهية، وتجري ينابيع السنة النبوية من فيه وصدره، ويعظ الناس بعظات بليغة مؤثرة في النفوس.

قوة ذاكرته وموهباته الفطرية

كـــان انـــور شاه قوى الذاكرة وخصب العقل. وكان يملك القريحة الوقادة والذكاء المتوقد، فما كان يسمع كلمة إلاّ ويحفظها ويعيها في ذهنه. ويتحدث الشيخ عن قصة تؤيد قوة ذاكرته فيقول: حينما كنت في الرابع من عمرى سمعت في بلدتى رجلين يتحدثان حول الموضوع "هل يكون العذاب للجسد أو الروح" فاستقر رأيهما على أن العذاب لهما، ثم ضربا له مثالا فقالا: إن مثل الجسد مع الروح كمثل الأعمى

[1]. أنور شاه كشميري: "ضرب الخاتم على حدوث العالم"، ط. المجلس العلمي دابهيل، ١٤١٢م، ص. ١٤

والأعـــرج ذهبا إلى حديقة ليجنيا ثمارها، فعجز الأعمى عن أن يراها وعجز الأعرج عـــن المشى على الأعمى وأخذ الأعمى يذهب به إلى الأشجار والأعرج يرى الثمار ويجنـــيها، فهذا هو حال البدن مع الروح، فالبدن بدون الروح جماد، والروح بدون الـــبدن معطلـــة عن الأفعال، فاحتاج أحدهما إلى الآخر، بل كلاهما مستلزمان لكل مـــنهما. فلما اشتركا في الكسب اشتركا في الأجر والوزر أيضاً... وبعد مرور خمس وثلاثين سنة رأيت في القرطبي عن ابن عباس عين ما قالاه من رأيهما[1]. ويقول والده وهـــو أول شـــيخه الذي تلمذ عليه، كان يسألني في دروس مختصر القدوري أسئلة، احـــتاج في الإجابة عنها إلى مطالعة الهداية، ثم فوضت دراسته إلى عالم آخر، فجعل يشـــكو مـــن كـــثرة الأسئلة رغم انه كان خارج درسه ساكتا صامتاً لا يرغب في الملاعـــب وكـــان يكتـــب على كتبه الدراسية وهو في فاتحة قراءته يتحير لها العلماء الأفاضل.

فكانت هذه البوارق التي تظهر بأنه كان أعلم أهل عصره. كما وانه كان من نوادر العصر في قوة الحافظة وواسعة الاطلاع على كتب المتقدمين وراسخاً في العلوم العربـــية الدينـــية والعلوم العقلية. فطار صيته في الآفاق وهو لم يتجاوز العشرين من عمـــره وظهرت براعته في الحديث والفقه والأصول والعلوم الأخرى الإسلامية واقبل عليه العلماء والباحثون والمتخصصون في العلوم الدينية للاستفادة منه، والارواء غليله من منهله العلمي.

الخطوط البارزة في شخصيته

---

[1]. بدر عالم ميرتمي: "مقدمة فيض الباري(١)"،الطبع الأول. المكتبة الاشرفية ديوبند، ٢٠٠٠ ص. ٤٦.

كان أنور شاه عالماً موسوعاً، كانت شخصيته مكتبة واسعة في العلوم العقلية والنقلية والقديمة والحديثة، وكانت ذاكرته تزخر بجميع الفنون التي اجتمعت لديه من مطالعـــات واسعة في كتب المتقدمين والمتخصصين في العلوم الطبيعية والفنون الإلهية وكتـــب الحقائق والتصوف والهندسة والتاريخ والعلوم الغريبة من النجوم والرياضي بفنونه إلى جانب العلوم الإسلامية من التفسير والفقه والأصوليين.

مؤلفاته

ترك الشيخ انور شاه الكشميري مؤلفات عديدة. منها:

١- فصل الخطاب في مسألة الكتاب

٢- عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام

٣- تحية الإسلام في حياة عيسى عليه السلام

٤- إكفار الملحدين في ضروريات الدين

٥- التصريح بما تواتر في نزول المسيح

٦- نيل الفرقدين في رفع اليدين

٧- بسط اليدين لنيل

٨- كشف الستر عن صلوة الوتر

٩- ضـــرب الخاتم على حدوث العالم على: هذه رسالة منظومة. تشتمل على نحو أربع مائة يبت.

١٠- مرقاة الطارم لحدوث العالم

١١- كتاب في الذب عن قرة العينين

١٢- فيض الباري هو شرح على صحيح البخاري

١٣- العرف الشذى لجامع الترمذي.

شعره

طـــار صـــيت الشيخ انور شاه الكشميري في علوم الحديث. وقد ألف كتبا عديدة في هذا الفن. ومن خلال مؤلفات يبدو الشيخ الكشميري كاتبا قديرا. ولكنه مـــع ذلك كان شاعرا مفلقا. ولد في أسرة ذات العلم والشعر. كان ابوه شاعرا مجيدا بالفارسية. وكذلك كان أخوه الأكبر أشعر أهل كشمير بل كان أشعر بين كثير من معاصريه.[١] وللشيخ انور شاه مقدرة على قرض الأبيات وصياغتها بدقة وروعة. يبلغ عدد الأبيات التي قالها الشيخ انور شاه الكشميري إلى آلاف. ومما يدل على مقدرته اللغوية وسليقته الشعرية قصيدته "ضرب الخاتم في حدوث العالم التي تشتمل على أربع مائـــة بيت. وقد قال الشيخ هذه الأشعار في مناسبات مختلفة والأغراض متنوعة. وقد تناول شتى المسائل. وقال أبياتا ورثا بها شيوخه.وقال قصائد مدح بها كبار معاصريه. قـــد نظـــم انور شاه أبياتا من الشعر عبر بها عما يكن قلبه من الحب والشوق للنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم.

قـــال الشيخ قصيدة مده بها النبي صلى الله عليه وسلم. هذه القصيدة تحتوى عـــلى ٤٧ بيـــتا وقد اتبع في قرضها الشعراء العرب المتقدمين. وبدأ القصيدة بذكر الوادى والنسيم والصبا والظباء والدموع والتلول وما إلى ذلك. ثم فيقول:

بـــرق تألـــق موهنـــاً بالـــوادي

---

[١] الأنور: عبد الرحمن كوندو، ص٣٣٤

فاعتـــاد قلبـــي طائف الأنجاد

أسفـــاً على عهـــد الحمى وعهاده

تولّى علـــى الابراق والارعاد

هبّ النسيم على الرّبى فتضاحكت

بشرى العميد عرارها والجادي

لعبت صبـــاها والشمـــال تـــارة

لعـــب الغصـــون بعطفها الميّاد

وأكاد أشـــرق بالدمـــوع إذا بـــدا

هجر فتبكـــي الودق بالاسعـــاد

أسقي التلـــول واستحـــث ركائبي

وجداً علـــى التـــأويب والإسآد

لله درّ صحـــابـــــة الفيـــتهـــم

ديم النـــدى للمجتـــدى والجادي

فرق الصديع على مناثر رفعة

سرج الرشاد على ذرى الاطواد

وأبـــرّهم قلباً وأطهر ضئضئاً

وأقـــل تكلفـــة نجـــوم النـــادي[1]

وبعـــد ذلـــك يتحول إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم ويستطرد في ذكر محاسنه وصفاته الكريمة وقد استطاع رصف أسماءه وسبكها في قالب الشعر فيقول:

---

[1] نفحة العنبر: محمد يوسف البنوري، ص١٧٩-١٨٠

شمس الضحى بدرالدّجى صدرالعلى

علـــم الهـــدى هو قـــدوة للقادي

مولى الـــورى وبشيـــرهم وشفيعهم

وخطيـــبهم في مشهـــد الأشهـــاد

من سيـــّد عبـــد الالـــــه وحمـــده

وحبـــيـــبه وخـــليلـــه الحمـــّاد

سهل العريكة أكرم العرب الآلى

خيـــر العبـــاد وخِـــيْرَة العـــبّاد

خير الـــورى بيتاً وأخير محتداً

ونبـــيّهم مـــن معـــدنٍ منـــطاد

ختـــم النبـــوة والرّسالـــة إنهـــا

بدئت بـــه ختمـــت بـــه لمـــعاد

العـــاقب المـــاحي وأكثـــر تابعاً

والقـــاسم المبعـــوث للإرشـــاد

والأفصح الأمـــي أصـــدق لهجة

ممن تكلّـــم باللســـان الصنادي

ســـرّ المهيمـــن عبـــده ورسوله

بشرى محياه وحياة الصادي[1]

أبـــيات القصـــيدة لها ميزة خاصة، فهو يعتني بالأوزان والقوافي كما و تهتم

[1] نفس المصدر، ص١٨٠

بالـــبحور اهـــتماماً خاصـــاً وتحـــتل مكانة لائقة في حسن السبك والنسيج، وبديع الانســـجام والصوغ، ونصاعة الألفاظ، وفصاحة الكلمات. ونرى أن الشاعر يتجنّب التعـــبيرات الغريبة، والألفاظ الركيكة، والكلام الذي تأباه الفطرة السليمة، والذوق اللطيف، بل نرى في القصيدة انسجاماً وصياغة في تراكيبها وتعبيراتها.

ثم يصف الشاعر الرسول الكريم بأوصافه الخِلقية والخُلقية بقوله:

ومفـــخّمٍ فخـــمٍ تهـــلّل وجهـــه

ضحكا كضحك البدر إذ هو باد

الأبلـــج الأقنـــى الأزجّ ورحمة

للعـــالمـــين وأجـــود الأجـــواد

ولرعبـــه ســـار مسيـــرة أشهر

ولذكـــره بـــاق علـــى إحمـــاد

وافـــت بطيـــبة داره ولملـــكـــه

بالشـــام مكـــة موعـــد الميلاد

وافي شهيـــداً منـــذراً ومبشـــراً

من ربـــه بالـــوعـــد والابعـــاد

فلـــواءه ومقامـــه مع حوضـــه

يوم التنـــادى للوسيلـــة شـــاد[1]

بعد ذلك يشير الشاعر إلى الأوضاع الاجتماعية والدينية للعرب عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فهو يقول:

---

[1] نفس المصدر، ص١٨٠-١٨١

قد جاء والدنيا على ظلماتها

والجهل والبؤسى على اعتاد

فأضاء كالبدر المنير ووجهه

نور مبيـــن في ظـــلام دآدي[1]

وكذلـــك نظـــم الشيخ أنور شاه الكشميري قصيدة على طراز قصيدة قالها الأديب البارع في اللغة الفارسية الشيخ سعدي الشيرازي. وذكر فيها أسماء النبي صلى الله عليه وسلم المباركة، حيث يقول:

شفيـــع مـــطاع نبـــي كـــريم

قسيـــم جسيـــم نسيـــم وســـيم

صبيح مليـــح مطيب النسيـــم

مضـــاض الجبين كبـــدر مبين

غياث الورى مستغاث الهضم

أحيـــد وحيـــد مجيـــد حميـــد

وخيـــر البـــرايا بفضل جسيم

وأســـرى به ربـــه في السماء

كنـــور تجلّـــى بليـــل بهـــيم

وآثـــاره ما شـــاء من عـــلاء

وعـــزّ عـــزيز وحيـــاة قديم

فيـــا رب صـــل وسلم عليه[1]

---

[1] نفس المصدر، ص١٨١

وإلى جانب قرض الأبيات من الشعر في المديح النبوي قال العلامة القصائد في الـــرثاء. ورثـــى بها انور شاه جهابذة علماء العصر. قال الشيخ أنور شاه الكشميري مرثـــية رثى بها الشيخ محمد قاسم النانوتوي مؤسس دار العلوم ديوبند. وبدأها بذكر الديار والرباع فيقول:

قفـــا يا صاحبيّ على الدّيار

فمن دأب الشجيّ هو ازديار

وعوجا بالّرباع رباع أنس

ففي المرأى لشيء كاصطبار

وإن عادت دوارس بعد هجر

فقـــد كانت معاهـــد للمـــزار

فتلك بلادهـــا أمضيت فيـــها

ليالي من طـــوال أو قصـــار

وبتّ أســـارق المرأى وأهوى

نسيماً من شميـــم من عـــرار

وبعـــد ذكـــر الديار والأرباع والبقاع والدراسة والهجر والليالي يذكر الشيخ مزايا حجة الإسلام محمد قاسم النانوتوي قائلاً:

كأنك ما سمعـــت حديث شيخ

تلقـــاء الخيـــار عـــن الخيـــار

---

[1] ضرب الخاتم على حدوث العالم: أنور شاه، ط جيد برقي بريس دلهي، ص١٦

وذلك قاســـم البـــركات طراً

يسيـــر بذكـــره تالٍ وقاري

إمـــام حـــافظ مسنـــد همـــام

لســـان الحق مقـــدام الكبـــار

طـــراز للهـــدي حبـــل متين

دليـــل حجـــة عـــالي المنـــار

شهيـــر مسنـــد بـــدر منيـــر

كشمس فـــوق رابعـــة النهـــار

مجدد هـــذه الأعصـــار حقاً

محـــدثهـــا وذلك فتـــح بـــاري

ورحلـــة عصره طود عظيم

خليفـــة مسلـــم ثـــم البخـــاري

ومحي السنـــة البيضـــاء لّما

تـــوارت كأمثـــال الـــــدراري

متى ما جئـــت تستقيه قطراً

تجِـــد بحـــراً يطمّ على البحـــار[1]

كذلك يرثى الشيخ أنور شاه الكشميري الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي. وهو من كبار العلماء البارين الذين نشأوا بالهند. فيقول:

---

[1]. نفس المصدر، ص١٨٢-١٨٣.

أتابعهم ويميلنـــي دمـــوعـــي

حديثي من شيوخي لادكار

أجـــلهـــم وأبجلهـــم مقـــامـــاً

أبو مسعـــودهم جبل الوقـــار

لقد فـــرع الورى عملاً وعلماً

مكارم ساعـــدت كرم النجار

إمـــام قـــدوة عـــدل أمـــين

ونـــور مستبـــين كالنـــــهار

فقيـــه حـــافظ علَـــم شهيـــر

كصبيح مستنـــير هـــدي سار

إليـــه المنتهـــى حفظاً وفقهاً

وأضحـــى في الرواية كالمدار[1]

ثم بذكر محاسن الشيخ الكنكوهي الأخرى. فيقول:

فقيه النفـــس مجتهـــد مطاع

وكوثر علمـــه بالخير جاري

وأحـــــي سنـــة كانت أميـــتت

وإذ وضـــح النهـــار فلا تمار

وأصبح في الورى صدراً وبدراً

منيراً دارئاً حـــلك التـــواري

---

[1]. أنظر شاه : "نقش دوام" ص. ٢٥٢. أيضاً نفحة العنبر: يوسف البنوري، ص١٨٤

وأصبـــح مفرداً علمـــاً رفيـــعاً

كرفع المفـــرد المعلـــم المنار

وآية رحمـــة فضـــلاً وفيضـــاً

عبـــاباً مستـــطاباً للقـــواري[1]

وكذلك رثى الشيخ أنور شاه الشيخ محمود حسن الديوبندي وهو من أساتذة الأجلاء في دار العلوم بديوبند، وقد أجاد وقد الحق الشيخ أنور شاه الكشميري هذه القصيدة في نهاية كتابه "فصل الخطاب في مسئلة أم الكتاب" يقول:

قفا نبك من ذكر مزار فندمـــعا

مصيفاً ومشتاً ثم مرأى ومسمعا

وقـــد كان دهـــراً طـــريقـــتي

طريقـــة غـــرٍّ ثم أولـــى فأوقعا

يجاوبني دار وجارٌ على البُكا

ولـــم أرَ إلاّ باكـــياً ثم موضـــعاً

وإن كان مما ليس يشفي ويشتفي

بشيء ولكن خـــلّ عينـــيك تدمعا

نهضـــتُ لأرثى عالماً ثم عالماً

حديثاً وفقـــهاً ثم ما شئت اجمعا

كبيراً ينادي في السمـــاوات أمة

إمام الهـــدى شيخاً أجل وأرفعا

---

[1]. يوسف البنوري: "نفحة العنبر"، ص. ١٨٤- ١٨٥.

ومولى الورى محمودهم وحميدهم

ومسندهم فيمـــا روى ثم أسمعا

فسبحـــان من أتاه علمـــاً ونشـــره

وأعطاه حلمـــاً ما أطاب وأطوعا[1]

بالاضـــافة إلى المديـــح النبوي والرثاء قال الشيخ انور شاه الكشميري قصائد أخـــرى. قـــد تناول فيها موضوعات متفرقة. منها ما قال العلامة من قصيدة مرتجلا وذلك بمناسبة انعقاد المؤتمر لجمعية العلماء ببلدة "غيا" في ولاية بيهار في عام ١٩٢٢ الميلادي. فيقول:

الملك لله الرفيع الشأن ذي الطول والتصريف في الأزمان

كم من بعيد قربته هباته ومنى رجونا مالهن تدان

غير الزمان وإنما عبر متى دارت على اليقظان والوسنان

فبقدرة خير وشر ولازب وبأمره يتقلب الملوان

نفع وضر يبتغيه مؤمل وهما لمن قد حي يبتغيان

فالكون تحت قضائه ورضائه وله الغنى في كل شأن شأن

ولـــه البـــقاء وما عداه فهالك سبحانه البـــاق وكـــل فـــان[2]

قـــال الشيخ قصيدة أخرى عنوانها "غدارة اليونان والبرطاني" تحتوى على ٥٠ بيتا.

أو ما ترى لما عدت عن طورها غدارة اليونان والبرطاني

---

[1] فصل الخطاب في مسئلة أم الكتاب: الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، ص١٥٤

[2] نفحة العنبر: يوسف البنوري، ص١٨٨

حتى غدوا لا يؤمنون لربهم وتنصلوا من خلقة الإنسان

فازداد شر في البسيطة منهم ما كان يحكى منذ جنكز خان

أو ما ترقرق عينهم أو قلبهم من رحمة الصبيان والنسوان

أجيال كفر قد عدوا حتى رأت عينا ما لم تسمع الآذان

فاستدرجوا حتى تفارط أمرهم في الغى والطغيان والعدوان

حتى تدارك رحمة من ربنا من دولة الإسلام من عثمان

المصطفى الغازى الكمال فهدهم صرع وهلكى هل ترى من غان

والسيف أشفى للصدور من العدى والعـــزم أمضى منـــه في الميدان[1]

قال العلامة انور شاه الكشميري قصيدة بالفتة المرزائية. قد عبر فيه عن غضبه وغيظه من أجل هذه الفتة فيقول:

صدع الصديع وصيحة بالوادى لمن إهتدى من حاضر أو باد

بالقادياني ذلك الأخر الذي أمسى زعيم الكفر والإلحاد

وأبان عن كفر ينوء بعصبة ويبوء بالأغلال والأصفاد

زرء على دين النبي يهده أخر فهل من راشد في النادى

والله يهدى مـــن يشاء لـــدينه ولمن يـــضل فما لـــه من هاد[2]

اذ ألقينا نظرة على قصائد الشيخ انور شاه الكشميري لا حظنا فيها أن شعره يتميز بشعر كثير من الشعراء فصاحة وبلاغة.

وميزة أخرى قد لا حظنا في قصائده هي أن الشاعر عارض بها فحول الشعراء

---

[1] نفس المصدر، ص١٨٨-١٨٩

[2] نفس المصدر، ص٢٠٥

المتقدمين وتقلد أسلوبهم في التشبيب كما أنه اهتم في بعضها برعاية المحسنات اللفظية على عادة المتأخرين، لكنه كان موفقاً في اختيار الكلمات الجزلة التي لها وقع خاص.

كان الشيخ أنور شاه مطبوعاً على الذوق الأدبي السليم وكان يحفظ أكثر من خمسين ألف بيت، ونستطيع أن نتمكن مدى قدرته على نظم الشعر بواقع أن عدد ما قاله من الشعر باللغة العربية إلى ١١٥٥ بيتاً.

الأمير صديق حسن خان

حياته

ولد صديق حسن خان يوم الأحد في شهر جمادي الأول ١٢٤٨هـ الموافق ١٣ أكـــتوبر عام ١٨٣٤م في قرية "بانس بريلي" في بيت جده عن الأم. وبعد أيام قليلة جاءت به أمه الحنون من بلدة بريلي إلى منطقة قنوج التي كانت موطن أبيه وجده.[١]

فـــلما ناهز صديق حسن خان الخامسة من عمره توفى ابوه. تولت أمه مهمة تربية ابنها. قامت هذه المرأة الصالحة بتربية حسنة. يقول صديق حسن خان: "إنه لما بلغت من عمري السنة السابعة أمرتنى أمى بأداء الصلوة وكان المسجد قريبا من بيتى إذا كـــان المؤذن يرفع الأذان لصلاة الفجر وكنت نائما فكانت أمي الحنون توقظني وكانـــت تصاحبني إلى المسجد ولن تسمح لي بأن أؤدي الصلاة في البيت. وإن أكن غارقاً في سبات عميق كانت ترش الماء على وجهي.[٢]

قرأ صديق حسن خان بعض أجزاء القرآن على يد مدرس عينته أمها لتدريسه إيـــاه ومـــا بقى منه فقرأه بعد وصولـــه سن المراهقين. وتعلم الفارسية وقرأ "كريما مقـــيمان" و"بوســـتان" وكلستان" حتى برع فيها. يشير نفسه إلى رغبته في القراءة والدراســـة. ويقول: عندما كان الشيخ حسيني ينظف كتب أبى ويشمسها ليحفظها من الحشرات فكنا نتصفح الكتب ونقرا منها. ربما كنا نفهم ما قرأناه ربما كنا لانفهم ولكن هذا التصفح قد أفادنا كثيرا.[٣]

ويقـــول صديق حسن خان في مكان آخر كنت مشتاقا دائما إلى قراءة وفهم

---

[١] مآثر صديقي، ج٢، ص١-٢

[٢] إبقاء المنن، ص١٤

[٣] نفس المصدر، ص١٦

كـــل كتاب تصل إليه أيدينا فما وقع بيدي أي كتاب أو قصة أو رواية سواء كانت بالنثر أو الشعر إلا وقرأتها مرة من أولها إلى آخرها.

في مســـتهل عمـــره قرأ بعض الكتب الابتدائية على أخيه الاكبر الشيخ أحمد حســـن ثم انتقل إلى فروخ آباد أقام بها مدة. خلال إقامته بها قرأ الكافية لإبن حاجب وشرحها للجامى من الشيخ محمد حسين الشاه جهانبوري وهداية النحو وايساغوجى من الحكيم اصغر حسين من المنشئ غلام غوث المحترم الفروخ آبادي، وتلقى دروس القطبى ودر المختار ومشكوة المصابيح من العلماء المشهورين الآخرين.

وفي هذه الأثناء لقي الشيخ مردان علي وبعض محبي والده الذين ذهبوا به إلى مديـــنة كانفور حيث واصل دراسته فانه تلقى دروس فوائد الضيائية من علماء هذه المديـــنة ولكن صديق حسن خان يتأسف لهذه الفترة حيث أنه لم يقم بدراسة جدية فيها و لم يتطور ثقافة وعلما. ولكن الذوق العلمي الذي كان قد وهبه الله لم يذهب ســـدى و لم يضيع نفسه تماماً فانه صاحب مجالس العلماء ومجالس الوعظ وما كانت تعقد في المدينة ندوة علمية ودينية إلا وكان يحضرها بالمواظبة.

بعد ذلك اعتزم صديق حسن خان على السفر إلى دلهي طلبا للعلم. ولما وصل صـــديق حسن خان إلى مدينة دلهي لقي الشيخ بشير الدين القنوجي بن ناظر الدين الـــذي استقبله بوجه طلق وذهب به إلى بيته كضيف "ثم ذهب به المفتي محمد صدر الدين خان بهادر رئيس الأفاضل والعلماء بدلهي إلى داره وجعل إقامته في دار النواب مصطفى خان بهادر في حي "شتلي قبر" وقد أقام فيها لمدة سنتين.

ولمـــا اطمأن قلبه على الإقامة بها قرأ على النواب مصطفى خان مختصر المعاني إلى آخـــره، شرح الوقاية حتى العبادات، والهداية إلى المعاملات وتوضيح أصول الفقه

والتلويح.

خلال إقامته بدلهي قد لقي الأمير كثيرا من الشخصيات البارزة نحو بهادر شاه ظفـــر ومن طبقة العماء والوعاظ التقي بالشيخ كريم الله والشيخ الحاج محمد والشيخ نـــوازش عـــلي مهاجر المكة المكرمة والخواجة ضياء الدين تلميذ الشيخ قطب الدين مـــترجم مشـــكوة المصابيح والشيخ نصير الدين خطيب المسجد الجامع وشارك في مجالسهم. وقد التقى بالمحدث الشهير نذير حسين الدهلوي إلا انه لم يصحبه إلا قليلاً.

وبعـــد إكمـــال دراســـته في دلهي أراد النواب العودة إلى موطنه وذكر ذلك لأســـتاذه المفـــتي صدر الديه خان بهادر فإنه تكرم بمنحه اجازة موقعة ومختومة بختمه ونص الإجازة كما يلي:

"مولـــوي صـــديق حســـن قنوجي صاحب ذهن سليم وقوت حافظه وفهم درســـت ومناســـبت تام باكتاب ومطالعة صحيح واستعداد تمام دارند جمله كتب معقـــول رسمـــية از منطق وحكمت واز علم دين اكثر از بخاري وصيزى از تفسير بيضاوي ومعاملات هداية واصول فقه وعقائد وادب فقير اكتساب نمودند ويستعدانه فهمـــيده خواندنـــد وباوحور بسعادت ورشد وصلاح ونيك نهادي وصفائ طينت وغيرت واهليت وشرم وحيا در اقران واماثل خود ممتاز اند.

محمد صدر الدين.[1]

"اصدق بأن الطالب صديق حسن خان القنوجي يتمتع بذهب ثاقب وذاكرة قويـــة وفهم صائب قد قام بدراسة الكتب المقررة السائدة من المنطق والفلسفة ومن العلوم الدينية ومعظم اجزاء البخاري وبعض الأجزاء من تفسير البيضاوي. كما تلقى

[1] سلسلة العسجد، ص٣٢

مـــني دروساً من الهداية حتى كتاب المعاملات والفقه وأصول الفقه والعقائد والأدب واصدق انه حظى باخلاق طيبة."

فـــلما فرغ صديق حس خان من الحصول على العلوم الرائجة في ذلك العصر وكـــان في الواحد والشعرين من عمره فاراد أن يرجع إلى مسقط رأسه" قنوج" و لم يمكث بها إلا بضعة أشهر اذ خرج منها متوجها إلى مدينة بوفال. ووصل اليها في عام ١٨٥٥م. و لم يكـــن بهـــذه البلدة الغربية أحد يعرفه. وكانت تحكم في الولاية بذلك الوقـــت ســـكندر بيكم إلا أنها لم تكن تعرفه ولا يعرفه أحد من اعضاء الدولة الذي يعرف به إلى الأمير سكندر بيكم أو إلى أحد من أعضاء الدولة. فمتوكلاً على الله عز وجـــل كتـــب طلباً اليها وبين فيه وضعه الاقتصادي وقدم إلى النائب الأول للإمارة الكاتـــب محمد جمال الدين خان بهادر. ومن حسن حظ الأمير انه كان يتواجد هناك الشـــيخ علي عباس الشرياكوتي فانه أيده متعاطفاً به. وكان السيد جمال الدين رجلاً محـــبا للعـــلم والمعرفة وكان يحب العلماء والفضلاء. فانه بلغ عن حكايته المحزنة إلى الـــنواب السيد سكندر بيكم التي دعته إلى بلاطها وأجرت عليه المقابلة وأعربت عن قناعـــتها وإعجابها به وباليوم التالي أعطته وظيفة وضمته فيما بين المؤظفين الخواص المرتبطين بالبلاط وذلك براتب قدره ثلاثون روبية شهرياً.

ذات مـــرة اختلف صديق حسن خان والشيخ الشرياكوتي في مسئلة التدخين وجرت مباحثة طويلة حول الموضوع. أدت هذه المباحثة إلى وقوع التنافر فيما بينهما ثم إلى عزله عن الوظيفة.

ولمـــا فصل صديق حسن خان من هذه الوظيفة غادر مدينة بوفال ورجع إلى بيته قنوج وذلك في شهر المحرم الحرام ١٢٧٣هـ و لم يكن معه أحد إلا خادمه الذي فرّ

بمـــا كان عنده من امتعة وقد تجشم صعوبات ومشاكل كثيرة حلال هذا السفر حتى أصيب بمرض الإسهال. ورد إلى مدينة كانفور واقام بها لبضعة أيام ثم وصل إلى بلدة قنوج في شهر بيع الأول سنة ١٢٧٣ للهجرة.

فـــلما فصل الأمير عن وظيفته جاء عليه وقت صعب إقتصاديا وسياسيا. لأنه كـــان عاطلا عن العمل و لم يكن هناك من يتحمل نفقته. لم يكن عنده إلا قميص و إزار فقضـــى عدة شهورا فيهما. ولكنه مع ذلك سنحت لـــه فرصة أن يحفظ القرآن عن قلب. فحفظ جزء كبيرا منه.

سياســـيا شهدت الهند أسوأ عصر و رزحت تحت احتلال أجنبي. تمرد أهلها ضد الحكم البريطاني الذي أدى إلى أشد تنكيل للهنود ومن قبل الانجليز وعانوا عديدا من المشاكل. فلما شاهد هذه الأوضاع ازداد الما.

في هذه الأثناء تلقى صديق حسن خان رسالة من النواب سكندر بيكم ولكنه مـــن سوء الحظ لم يستطع من الوصول إلى البلاط في الوقت المحدد. فسلمت الوظيفة إلى شخص آخر. خرج صديق حسن خان منها متوجها إلى طونك فرحب به أميرها محمـــد وزير خان فقدم لـــه وظيفة براتب قدره خمسون روبية ولكن جو طونك لم يطـــب لـــه بها. ولكنه تلقى رسالة أخرى من إمارة بهوبال. فلما وصل إليها كلفته إمـــارة بهوبال بتأليف تاريخ المدينة براتب قدرة ٧٥ روبية شهريا وتحسنت أوضاعه الاقتصادية. زوج الشيخ جمال ابنته الأرملة ذكية بيكم من صديق حسن خان.

وكـــان النواب راغبا توافا إلى زيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة. وقدم طلباً بهـــذا الصدد ونال ذلك الطلب قبولاً منها واعتزم النواب على السفر في شهر شعبان

سنة ١٢٨٥ للهجرة.[١] ووصل من بهوبال إلى بومباي. ومن هنا جاءت به السفينة إلى عدن. ثم أرست السفينة بإذن الله في مرفأ حديده في شهر رمضان المبارك سنة ١٢٨٥ لـــلهجرة. قد التقى كبار العلماء استفاد منهم وقدم إليهم كتابه الجديد "الحطة بذكر الصحاح الستة" وكذلك اشترى بعض الكتب مثل "إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصـــحاب الجحـــيم" لشيخ الإسلام ابن تيمية. ثم توجهت السفينة إلى ميناء "جدة" وارست عليها بعد شهر. عندما دخل مكة المكرمة كان ينشد:

أبطحاء مكة هذا الذي أراه عيانـــا وهـــذا أنا

فقضى معظم وقته في العبادة والدراسة والبحث عن كتب الحديث ونقلها. ثم تشرف بزيارة المسجد النبوي وانشد هذا البيت:

بطيب رسول الله طـــاب نسيمهـــا فما المسك والكافور والصندل والرطب

عـــاد الـــنواب من السفر الميمون وحضر إلى حاكمة الإمارة وحكى لـــه ما شاهد في هذه الرحلة السعيدة وأدى جميع المسؤوليات التي اسندها إليه لأمانة النواب ومكانته ورغبته لها في مجال العلم والثقافة اسندت إليه الحاكمة نظارة المدارس.

وبعـــد مضى سنة على هذا المنصب قامت الحاكمة بترقية النواب لمرة أخرى وجعلته وزيراً ومستشاراً لها.

لما تولت السيدة نواب شاه جهان بيكم زمام الإمارة كانت أرملة وفي حاجة ماسة إلى رجل محنك يساعدها فعرضت هذه الفكرة على الحاكم البريطاني واستأذنت مـــنه وبعد الحصول على الموافقة من قبل الحاكم البريطاني تم إجراء مراسم العقد في شهر الشوال المكرم سنة ١٧٨٧ للهجرة الموافق ١٨٧٠ الميلادي.

---

[١] رحلة الصديق إلى البيت العتيق، صديق حسن خان، ص٨٧

طلبـــت الســـيدة نواب شاه جهان بيكم أن يكون لزوجه الثاني كل الألقاب والـــتقديرات التي كانت تتمتع بها زوجها الأول فكتبت رسالة إلى الميجور وليم ولي آســـبرن بهادر، الوكيل السياسي الإنكليزي لولاية بهوبال.وذكرت أنه لما كان زوجه الأول كـــان قد منح من قبل الحكومة الهندية المناصب والتقديرات التالية: (١) لقب نظـــير الدولـــة (٢) خلعة من قبل الحاكم البريطاني (٣) إطلاق ٢١ مدفيعة تحية (٤)حضور الوكيل المساعد الإنكليز شخصيا لاستقباله (٥) حضور المسؤولين في منطقة ســـيهور واندور لاستقباله (٦) منحه إقطاعيات. وقالت إنه ينبغي أن تمنح كافة هذه الألقاب والتقديرات والتسهيلات للسيد صديق حسن خان وفقا للأنظمة المعمول بها ولقب "نواب والا جاه أمير الملك" من قبل الحكومة.

فوافقـــت الحكومة البريطانية على ذلك ومنحته كل ألقاب التي طلبتها السيدة نواب شاه جهان بيكم.

بلـــغ صديق حسن خان أوج الكمال وذروة السمعة. فظهر عديد من الحساد الذين رفعوا التهم ضده إلى الحاكم البريطاني منها:

١- الترغيب في الجهاد ومخالفة الحكومة.

٢- ترويج ونشر المذهب الوهابي.

٣- جعل النواب محجبة وأخذ كافة السلطات ببده باسم المساعدة.

٤- مصادرة الإقطاعيات.

٥- التشديد في تنفيذ القوانين.

٦- عرض النواب قدسية بيكم كمعارض النواب شاه جهان بيكم.

٧- إساءة علاقة بين النواب الحاكمة وولية العهد.

وكذلـــك حـــاول بعد أعداءه إلى تشويه سمعته واتهموه بأنه يحث الناس على الجهـــاد. قبل السير ليبال كريفان الوكيل السابق للحاكم البريطاني هذه التهم ورفعها إلى الحكومة البريطانية في الهند التي لما نظرت في القضية المقدمة إليها ضده حتى أعلن سلب اللقب والغاء اطلاق مدفعية تحية. ومنع من مساعدة النواب بيكم والتدخل في شؤون الدولة.

فعزل الأمير صديق حسن خان نفسه عن شئون الدولة واقام في قصر نور محل وحيدا ثمانية أشهر. وكان في هذه الحال حتى أصيب بمرض الاستسقاء وتوفى ن عمر يناهز ٥٩ عاما. وذلك في ٢٠ فبراير من عام ١٨٩٠م. في مدينة بوفال.

الف الأمير صديق حسن خان كتبا عديدة تناول فيها موضوعات مختلفة نحو: المدح والعقيدة والتفسير والحديث والأدب وتراجم العلماء والمنطق. ويبلغ عدد كتبه إلى مالا يقل ٢٢٢ كتابا. من ابرزها:

(١) أبجد العلوم ج٣، (٢) أربعون حديثا في فضائل الحج والعمرة (٣)الإنشاء العـــربي (٤) الـــبلغة في أصـــول اللغة (٥) التاج المكلل (٦) الحطة في ذكر الصحاح الستة (٧) ربيع الأدب (٨)الـــروض البسام مـــن ترجمة بلوغ المرام (٩)الســـراج الوهـــاج في شرح مختصر صحيح مسلم بن الحجاج (١٠)العلم الخفـــاق في علم الإشتقاق (١١) عون الباري لحل أدلة البخاري (١٢) فتح البـــيان في مقاصد القرآن (١٣) الكلمة العنبرية في مدخ خير البرية (١٤)نيل المـــرام مـــن تفيســـر آيات الأحكام (١٥) نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان.

شعره

قـــد وهب الله الأمير سيد صديق حسن خان ذاكرة خصبة وذكاء حادا. وقد بلـــغ في قصـــير مـــن الوقت ذروة العلم والثقافة من أجل خصبة ذهنه. وقد برع في اللغات العربية والفارسية والهندية. قد قرض الأمير صديق حسن أشعارا كثيرة. وهي متـــناثرة في مختلف كتبه. وعلى حد علمي، لم يدون الأمير ديوانا لـــه باللغة العربية. وأطـــول قصيدة قالها الأمير هي "القصيدة العنبرية في مدح خير البرية" وهي في المديح النبوي كما يبدو من إسمها ومتوفرة في كتابه "مآثر صديقي" ويذكر عن خلفية هذه القصـــيدة أن الأمـــير صديق حسن خان خرج ذات مرة للاستحمام وتوجه إلى نهر خارج بلدة "بلكرام" حيث كان يقيم في ذلك الحين. وذلك في عام ١٨٥٧م. كانت هـــذه الفترة فترة الانتشار والإضطراب والثورة من أجل احتلال الإنجليز الهند. حينما كـــان الأمـــير يستحم ويغسل ثيابه اذ مرت به كتيبة هندية ورأت الأمير فظنت أن انجليزيا يستحم في النهر. لم تكد تره حتى سددت فوهة بندقيتها إليه وكادت أن تطلق الـــنار علـــيه اذ رآه فـــلاح وصاح بأعلى صوته "لا تقتلوه إنه فلان بن فلان" فلما اســـتوثقت وايقنت الكتيبة الهندية بأنه هندي خلت سبيله. فقال الأمير صديق حسن هذه القصيدة بعد نجاته من تلك الحادثة. مطلعها:

إخترت بين أماكن الغبراء دار الكرامة بقعة الزوراء

ثم يقول:

قلـــبي يطـــير إلى طيور مروجها وإلى جوارهـــا رياضـــها الغناء

مـــا لاح في جـــو السماء بوراق إلا وأورى الـــنار في أحشـــاء

كـــيف الوصول إلى منازل طيبة فـــيها لمفـــتقر حصـــول رجاء

إني عشـــقت عـــلى إقامة طيبة فمـــتى أفـــوز بجـــنة الدنـــياء

لـــيس البلوغ بأرضها في قدرتي شـــتان بـــين الهـــند والزوراء

كـــيف الذي يرجو نزل ربوعها يـــثوى بهـــا في بهجـــة ورواء

إن بات جسمي نازحا عن أرضها فالقلـــب فـــيها عمدة الوكلاء

نفسي الفداء لتبرة قدسية فيها نبي سيد البطحاء

ثم يذكر قصة المعراج ويقول:

طوبى لها من حيث حل يسوحها نـــور تجـــلى فـــوق سبع سماء

فـــازت بمعـــراج الـــبراقع ذاته لله جذبـــــة واهـــــب الآلاء

هـــنأ بـــروية ربـــه بلـــغ المنى هـــذا لعمـــرى أعظم النعماء

لم يلـــق في الذهـــاب كآبـــة ولعـــاد في آن مـــع الســـراء

أني برضوان وغـــفران إلى عشـــاق حضـــرتـــه أهيل ولاء

ويقول:

ثبتـــت نـــبوته وآدم جدنـــا قـــد كان في أثر الثرى والماء

هو ركن بيت الله جل وجلاله وعمـــاد هذى القبة الخضراء

نبراس نادى الأنبياء ونورهم هـــادى حداة الليلة الظلماء

مأوى الذي أضناه هم معيشة القاه صرف الدهر في الباساء

ماذا يقرب في مديحك مادح عجز الموصوف عن بيان ثناء

انت الذي اثـــنى عليك الله في سفر كـــريم كاشف الأشياء

ثم يتضرع إليه لشفاعته قائلاً:

يـــا ســـيدى يا عروتى وسيلتي　　يـــا عـــدتي في شـــدة رخاء
قد جئت بابك ضارعا مضرعا　　مـــتأ وهـــا بتنفس الصعداء
شـــفعت جاهك خائفا مترقبا　　مـــالى وراءك صارف الضراء
انـــت المغيـــث برحمة وكرامة　　في غمـــة وغوائـــل وبـــلاء
ارحـــم فقيرا جاء بابك راجيا　　أنـــت الضمين بحرمة الفقراء
أحســـن إلى عـــبد بحبك لأئذ　　آوى إلـــيك مخافـــة الأعداء
كن أنت للمحزون جـــارا جنة　　من هذه البلوى وذى السلواء

وقد ذكر الأمير صديق حسن خان في هذه القصيدة رويته النبي صلى الله عليه وسلم في المنام. فيقول:

قـــد كنـــت مشتاقا إلى لقيانه　　متقـــيدا بسلاســـل الأهواء
حـــتى لقيت جماله بين الكرى　　وظفرت بالنبراس في الظلماء
مثلـــت مبـــتهلا لديه وراجيا　　نـــيل العـــناية عمدة السراء
نظـــر الكريم إلى الفقير عطوفة　　نظـــر العطوفة شيمة الكرماء
وحـــبا المؤمـــل ههـــنا رمانة　　ثنـــتان في التعداد والإحصاء
فجعلـــت أجمع رحمة من نظره　　وطفقت أقطف وردة النعماء
ووجدت تعبيرا لـــهـــذا كـــاملا　　نيل المنى مـــن طابة وحـــراء

ذكـــر الأمير "زيادة النبي في المنام" في قصيدة أخرى. وذكر أنه قد اعتنى بحالة الرســـول الأكـــرم. وتحدث إليه. وأعطاه النبي رمانتين. فأول الأمير بهذه الرؤية أنه ســـيقوم بزيارة الحرمين الشريفين والبطحاء، ويقبل الحجر ويشرب زمزما. وعبر عن

بهجته وغبطته في أبيات. فيقول:

رأيت رسول الله في النوم ليلة وقد كنت مشتاقا إليه متيما
فسلمت تسليما كريما معطرا وصادفت وجها شريفا معظما
وناولني رمانتين برأفة وأولى نصيبا من عطاء متمما
وغان تغنى في جوانب بقعة بصوت حزين مستبين ترنما
فطار فؤادى من غناه تأثرا وسالت دموعى في هواه معمما
ونسيت أنا شيد المغنى كلها سوى المصرعين في حوالى تقدما
حفظتهما روما لنصحى وكيف لا هما في فؤادى بارق العشق أضرما
فإحداهما أومت إلى أمن طيبة وأخرى بضعف القلب والنفى مبرما
فبا الضعف لم يبلغ ترابى بأرضها نعم، جاد شاد في مقال تكلما
وجدت به شرحا لصدرى وهزة وعبرت ذاك النوم خبرا مصمما
سآتي إلى زوراء طيبة ثاويا وآوى إلى بطحاء مكة محرما
أقبل حجرا أسود متواضعا وأشرب ماء شافيا كان زمزما
والقى رحالا في رجوع مدينة وأدفن إكراما بقيعا معظما

إلى جانب المديح النبوي قال الأمير صديق حسن خان قصائد أخرى في النسيب ذكر فيها الغزل والتشبيب والتحدث مع الحبيب.

فهو يقول:

يا غادة فتنتنى اين مغناك وحيثما انت عين الله ترعاك
أخينتنى ففؤادى بات محتضرا فهل تداوين مضنى من محياك
صبابة الغيد تورى في القلوب لظى أجلى الدلائل للصابين مرآك

قتلـــتنى ثم مـــا انصصـــفتنى جنفا كأنمـــا قـــتلة العشـــاق رجـــواك

إنى عشـــقت ومـــا عشقى بمبتدع الانـــس والجـــن والأملاك تمواك

جـــن الظلام وعين الشمس راقدة فـــأين يـــا غـــادة الدهناء مثواك

قـــال لهـــا جيرتـــى بالرفق شافعة لا تقتـــلى رجـــلا إيـــاك إيـــاك

إن المشـــوق عزيـــز كـــيفما كان لا تســـفكى دمه حاشاك حاشاك

وعـــاضدينى بتقبيل اللمى كـــرما فـــما ألـــــذك تـــقبيلا وأهـــناك

ومن الممكن أن يكون هذا التشبيب إفتراضيا. لأنه يذكر صبابته والتدلل معه ثم يتحول فجأة إلى شخصية أخرى ويذكر حبه معها. فهو يقول:

إن لم تجودى لوصل منك يا أملى فـــلى بغيرك رجوى عن محياك

ذاك الـــذي عمت الدنيا رسالته إلـــيه ناظـــرة إحداق إشراكى

اعـــنى الـــنبي نـــبي الخير قاطبة جلت مناقبه عن ضبط إدراكى

انظر إلى دينه التوحيد كيف غدا فانقذ الخلق عن إشراك إشراكى

لله لله مـــا هـــذا الجمال فـــقد طالت لديه غراما دمعة الباقي

قال الأمير صديق حسن خان قصيدة اتبع فيها شعراء العرب المتقدمين بدأها مـــن ذكر الحبيب الديار والصبابة. بعد ذلك يتحول إلى غرضه الحقيقي وهو المديح النبوي. فهو يقول:

لســـلمة دار بالدخول وحو مل عفـــا ايهـــا نسبح الجنوب وشمال

فتلك ربوع قد خلت عن أهليها وأمســـت قفـــارا بادرات التعطل

وقفـــت بها والدمع يجرى صبابة ومـــا بصـــرت عيناى حيا بمنـــزل

ولله أيـــام مضـــين بقـــربها لقـــد عشت فيها بالنعيم المخضل

أسيلة مجرى الدمع خمصانة الحشا رشـــيقة بـــأن القـــد رخصة أنمل

قطعـــت الضيافى في هواخا كآبة وجبـــت قفارا سحبلا بعد سحبل

ولا حظ لى من حبهن سوى الجفا فيا قلب دع ذكرى حبيب ومنـــزل

ثم يتحول إلى الغرض الحقيقي ويقول:

وخـــل أحاديـــث الصـــبابة والهوى ومـــل نحـــو أوصاف النبي المبجل

فمـــدح رســـول الله دام حديـــثه هو القصد لا وصل الحبيب المحجل

فمن ذا الذي باراه في الفضل والعلى وأيـــن الـــذي ضاهى بوجه مهلل

لقـــد حـــاز مـــا حاز النبيون كلهم وفـــاقهم في فـــتح بـــاب مقفـــل

حليف العلى إن حل في صدر مجلس وحتف العدى إن باس في رحب جحفل

علـــيه مـــن الله الكـــريم تحـــية تطيـــب بهـــا مـــنا حواشى محفل

ســـــلام عـــلى ازواجـــه وأهيـــله وأصحابه أهـــل الحـــديث المبجل

قال الأمير قصيدة رائعة أخرى في أيام شبابه. هذه القصيدة تدل على رغبته في الشـــعر والأدب وتضلعه في علم العروض والقوافى وكذلك تشير إلى مقدرته الموفورة عـــلى قرض الأشعار الجيدة وهي أيضا تدل على قدرته الكاملة على انتقاء الكلمات النادرة واستخدام التعبيرات البديعة وندرة الخيال فيقول:

لله غانـــية في مهجـــتى نزلـــت مالت إلى الوصل شوقا ثم ما وصلت

أتحفـــت جوهر قلبى نحو حضرتها القـــت إلى فمـــا شامت وما قبلت

قـــد انـــتنى والقـــتنى إلى أسف بـــالله يـــا صاح ما هذا وما فعلت

قامـــت تود عنى والحزن يرهقها وقمـــت عانقـــتها والعـــين انهملت

حـــور الجنان تحاكى حسن عزتنا في فكـــرهن ولـــو أبصرنها خجلت

تلـــوح في عارضيها صفرة عجب　　لعـــلها مـــن جفـــاء الصب انفعلت

أهـــذه يـــدها البيـــضاء زاهـــية　　من نور طارقها شمس الضحى خجلت

ويقول أيضا:

مهلكـــة قطعـــت رأسى بلا قود　　تجـــاوز الله عـــنها أي ما فعلت

فـــتانة أجـــرت الأنهار من دمنا　　لا يفعـــل الظالم المغرور ما فعلت

ليســـت لها غاية في قتل عاشقها　　إلا الثواب جزاها الله مـــا عملت

نصـــح العـــواذل لا يأتى بفائدة　　تلـــك المواعظ منهم هفوة بطلت

أيـــن تحصل للعشاف خـــلوتها　　ترى المحبين صرعى حين احتلفت[1]

لـــو نلقى نظرة على قصائد الأمير صديق حسن خان التي قالها في اللغة العربية خاصـــة نجد أنه قد بدأ معظم قصائده بالنسيب والتشبيب. ذكر الديار والقفار. وقد أتـــى بتعـــبيرات رائعة للتعبير عن مشاعره وعواطفه. وكذلك نجد أن الأمير قد ختم قصائده بالمديح النبوي. كما لا حظنا في جميع القصائد المذكورة أعلاه.

قـــرض صديق حسن خان أشعارا كثيرة في العربية. شك بعض الناس في أصل بعضها. وهم يحسبون أن الأمير أخذ أشعارا من الشعراء الآخرين ثم عزاها إلى نفسه. ويعتـــبرون أنه قد أخذ أكثرها من أشعار غلام علي آزاد البلكرامي. وقد اتهمه وكيل أحمد بالسرقة الأدبية. وقد أورد بعض الأبيات لتأئيد قوله وقارن بين كلامهما.

غلام علي آزاد البلكرامي يقول:

يا سيدي يا غروتى ووسيلتى　　ياعدتى يا مقصدى مولائي

الأمير صديق حسن خان يقول:

---

[1] نشوة السكران في صهباء تذكار الغزلان. الأمير صديق حسن خان، ص٨٧-٨٩

يا مصقدى يا عروتى ووسيلتى وذريعتى يا مرصدى مولائي

آزاد يقول:

قد جئت بابك خاشعا متضرعا مالى وراءك كاشف الضراء

الأمير يقول:

قد جئت بابك ضارعا متضرعا مـــالى وراءك صارف الفقراء

آزاد يقول:

ولك الوسيلة والفضيلة في غد ولأنت أقدم معشر الشفاء

الأمير يقول:

ولك الشفاعة والمكانة في غد ولأنت أكرم معشر الشفعاء[1]

أما الأمير صديق حسن خان فانه إعترف نفسه بأن بعض الأبيات من الشعراء الآخـــرين قـــد ورد في أشعاره مرتجلا من أحل كثرة المطالعة وخصبة الذاكرة. ومن المحتمل أن قد ورد في كلامه بيت من الآخرين كما نحن نكتب شيئا فتتبادر في أذهاننا أفكار وجمل قرأناها في وقت مضى.

لا شك في أن الأمير صديق حسن خان قد برع في هذا المجال. وله إسهامات بالغـــة فيها. وعليه اعتبره الشيخ عبد الحئ الحسني في نخبة الشعراء الهنود باللغة العربية وذكـــر بعـــض أبـــياته من "القصيدة العنبرية في مدح خير البرية" في كتابه "الثقافة الإسلامية في الهند."

[1] ديوان حنفي، ص٧٣ نقلا عن ثقافة الهند المجلد الواحد والعشرين. العدد الأول، ١٩٧٠

الخاتمة

الهـــند والبلاد العربية اتصل بعضها ببعض منذ عهد قديم. وكان هذا الاتصال بينهما عن طريق التجارة قبل الإسلام بكثير يقال إن العلاقات التجارية بينهما كانت من عصر ما قبل التاريخ. ويذكر أيضاً أن سليمان عليه السلام كان يتاجر مع الهنود ويجلـــب الأمـــتعة النفسية نحو الذهب والفضة والعاج والقردة والطوا ويس من بلاد الهند.

تفـــيد الوقـــائع التاريخية أن البواخر والسفن العربية التجارية كانت تصل إلى موانـــئ كانـــت تقع في جنوب الهند وكانت ترجع هذه السفن المحملة بالبضائع نحو العـــود والعطـــور والفواكه والتوابل الهندية إلى موائي الشام ومصر. واستمرت هذه الـــتجارة العربـــية الهندية حتى مجيئة الإسلام. فلما جاء الإسلام تغيرت وجهات نظر لهـــؤلاء التجار العرب. فانهم قبل مجيئة الإسلام كانوا يردون إلى الهند من أجل ترويج تجـــارتهم فحسب. ولكنهم بعد طلوع الإسلام أخذوا مسئولية نشر الإسلام وتعاليمه عـــلى كواتفهم. وإلى جانب التجارة صار نشر الدعوة الإسلامية هدفا من أهدافهم المنشودة. وإختلط هؤلاء العرب مع الهنود وأقاموا في مناطق مختلفة بجنوب الهند. أول مسجد بنى في الهند يقع في جنوبها. وكذلك تم تأسيس مستوطنات عربية بها. خلال إقامتهم بالهند دخلت كلمات عربية كثيرة إلى لغات هندية وبالعكس.

شن الجيش العربي أول غارة على الهند في عصر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه. ثم توالت هجمات عربية على الهند حتى عين الحجاج بن يوسف واليا على العراق غزا محمد الثقفى على بلاد السند في سنة ٧١٢ الميلادية. وفتح مدينة بعد مدينة. وتم فتح مناطق السند بقتل ملكها "داهر".

حكم المسلمون على بلاد السند نحو ثلاث مائة عام. فلما استقر الحكم العربي بها في نهاية القرن الأول زارها كثير من العلماء والفقهاء والقضاة والمحدثين. منهم: الإسلامي الديبلى والربيع بن صبيح السعدى ونجيح بن عبد الرحمن السندي.

إلى جانب العلماء والمحدثين ظهر عديد من الشعراء في السند منهم: ابو عطاء السندي. وابو الصلع السندي وكشاجم وغيرهم.

أبـــو عطاء السندي: إسمه أفلح بن يسار. كان في لسانه لكنة ولثغة فكان لا يفصح. ولكنه مع كل هذه العيوب كان شاعراً فحلا[1] قوى البديهة في الناس وأشدهم عارضة وتقدمـــا.[2] ويمكننا أن نقدر منـــزلته فيما بين شعراء العربية بحيث أن جامع "ديوان الحماسة" أبا تمام الطائي قد استشهد في بداية الفصل الأول من الحماسة بثلاثة أبيات من شعره هو يقول:

ذكـــرتك والخطـــى يخطـــر بينـــنا وقـــد نهلـــت منا المثقفه السمر

فـــوالله مـــا أدرى وإنى لصـــادق أداء عـــرانى من صبابك أم سحر

فان كان سحرا فاعذرينى على الهوى وإن كـــان داء غيره فلك العذر[3]

---

[1] الأعلام خير الدين الزركلي ، الجزء الثاني، ص٥

[2] نزهة الخواطر: عبد الحئ الحسني، ص١٥

[3] ديوان الحماسة: ابو تمام الطائي، باب الحماسة، ص١١٩

حكم المسلمون والولاة العرب على بلاد السند نحو ثلاثة قرون. وفتحوا مدينة بعد مدينة بها. ولكن الفتوح الإسلامية كانت قد توقفت وكذلك كانت أحوال العلوم والدراسات العربية والإسلامية بها. فلما تقدم الغزاة والفاتحون المسلمون إلى المناطق الأخرى للهند نحو غجرات ودلهي وغيرهما تسربت العلوم والدراسات والثقافات الإسلامية أيضاً اليها مع الفتوح الإسلامية.

ورد الغزنويون إلى الهند بعد الأمراء والولاة العرب. وكان محمود الغزنوي قائدهم ورائدهم. وقد شن الغارات على الهند غير مرة. ولكنه لم يقم دولة مستقلة بالهند. فلما فتح محمود الغزنوي بنجاب توالت بعثات العلماء والأدباء والمثقفين الأجانب إليها وتواترت وفودهم على السلاطين الغزنويين خاصة على السلطان محمود الغزنوي. وكان يجامل العلماء ويصنع المعروف إليهم حتى أجمع كثيرا منهم. ويقول الدكتور شمس تبريز خان: إن الشعراء والأدباء الذين حضروا بلاطه يبلغ عددهم إلى أربع مائة. وكان يحب مصاحبتهم ويعامل معهم أحسن المعاملة.[1]

ومن أبرز شعراء في ذلك العصر هو مسعود بن سعد بن سلمان اللاهوري و عطاء بن يعقوب الغزنوي

مسعود بن سعد بن سلمان اللاهوري : هو أول شاعر هندي نظم أبياتاً من الشعر في العربية. انتقل أبوه من همدان إلى الهند وأقام بلاهور وقد أكثر في الشعر وترك له ثلاثة دواوين في اللغات الثلاث: العربية والفارسية والهندية:

ومن شعره قوله:

وليل كأن الشمس ضلت ممرها ... وليس لها نحو المشارق مرجع

[1] عربي ادب مين هندوستان كا حصه: د. شمس تبريز خان، ص٦٩

نـــظرت اليه والـــظلام كـــأنه عـــلى العين غربان من الجو وقع[1]

ثم توالت دول مختلفة حتى تم إقامة دوله أسرة تغلق. من أبرز شعراء هذا العصر القاضي عبد المقتدر الكندي والشيخ احمد بن محمد التانيسري.

القاضـــي عبد المقتدر الكندى: كان من الشعراء المفلقين وله قصيدة لامية أنشأها في تقليد لامية العجم. ومن قصيدته قوله يمدح به النبي صلى الله عليه وسلم.

محمـــد خـــير خلـــق الله قاطبة هـــو الذي جلّ عن مثل وعن مثل

لـــه المزايا بلا نـــقص ولا شبه لـــه العطايا بـــلا من ولا بدل[2]

الشـــيخ احمـــد بن محمد التانيسري: كان أحمد التانيسري شاعرا مجيدا. وقال قصيدة بديعـــة في مـــدح الـــنبي صلى الله عليه وسلم اشتهرت هذه القصيدة بـــ "القصيدة الدالية". ومن شعره في مدح النبي قوله:

ولـــيس في الدين والدنيا وآخرتى ســـوى جناب رسول الله معتمدى

العـــدل سيرته والفضـــل طينته والبذل شيمته في الوجد والوبد [3]

فلما ضعفت إمارة السلاطين ظهرت الإمبراطورية المغولية. وتم تأسيسها على أيـــدي بابر. ظهر في هذا العصر أيضا عديد من الشعراء الذين قالوا أشعارا كثيرة في العربية. منهم: ابو الفيض بن المبارك الناغوري والشيخ غلام نقشبند اللكنوي والسيد عـــبد الجليل البلكرامي. قد عاش البلكرامي في عصر الملك المغولي اورنك زيب. وقد قـــال هـــذا الشـــاعر أشعارا في العربية. نموذج من تاريخاته الذي نظمه عندما فتح

---

[1] The contribution of India to Arabic literature by Zubaid Ahmad, p.٢٣٨

[2] نفس المصدر، ص١٩٨

[3] نفس المصدر، ص٣/٩

الامبراطور اورنك زيب قلعة "ستارة" فيقول:

لمـــا توجـــه السلطان الأنام إلى رب الســـموت في تأييد إسلام

أقـــرّ إبهامـــه في أصـــل خنصره لـــورد يـــا قادر أفتاح أكمام

فصار حين إفتتاح الإسم مفتتحا حصنًا لمن عبدوا أحجار أصنام

نـــظرت في الفات وهي أربعة مـــن فوق إبهام مـــن غير إبهام

قـــال السيد عبد الجليل البلكرامي هذه الأبيات عندما فتح اورنك زيب قلعة ســـتارة ســـنة ١١١١ الهجرية. يقول إن الملك يسبح ويحصى تسبيحة وعند إحصاء التســـبيح يضـــع أعلى أبهامه على خنصره من نفس اليد وترتفع أصابعه الأربعة على شـــكل ١١١١ وهذا يدل على رقم السنة التي فتح عالمكير فيها القلعة. والإبهام راقد كخط افقى صغير يكتب عادة في موضع السنة.[١]

ثم أخـــذت الدولـــة المغولية تضعف شيئا فشيئا. انتهزت الدول الغربية هذه الفرصـــة الذهبية وبدأت تتنافس فيما بينها من أجل توطيد نفوذها في الهند من خلال شركاتها التجارية. كل من هذه الدول كان يريد أن يلتهمها وحده من دون شريك لـــــه. ولكن دولة بريطانيا تغلبت على الدول الأخرى كلها وقضت على نفوذ دول أخرى حتى احتلت بالهند كاملا في سنة ١٨٥٧ الميلادية.

عـــندما تم إحـــتلال الإنجليز على بلاد الهند بأجمعها في سنة ١٨٥٧م أثارت الكتيـــبة الهـــندية في الجـــيش الـــبريطاني ثورة ضد الإنجليز ولكنها فشلت حرب الإستقلال.

فلما أخمدت هذه الثورة لقى المسلمون وحدهم عواقب الثورة. وخص الإنجليز

---

[١] Ibid.

المســـلمين بالتنكـــيل ولكن مع كل ذلك لم تضعف غيرة المسلمين السياسية وقوتهم النضالية بل أشعلها هذا التنكيل.

كـــان الإنجليز يحاكمون المسلمين محاكمات طويلة لا لجريمة جدية بل لتهمة بســـيطة وكانوا يعذبونهم عذابا شديدا حتى حكموا على قتل بعض المسلمين شنقا. ومن الذين تم حكم الإعدام عليهم مولانا يحي على من مدينة بتنا بولاية بيهار ومحمد جعفر التانيسري ومحمد شفيع اللاهوري.

نفـــى فضـــل حق الخير آبادي والمفتي عنايت أحمد الكاكوروي والمفتي مظهر كريم الدريابادي وأرسلوا إلى جزيرة اندمان. مات فضل حق الخير آبادي هناك ولكنه رجع زملاءه بعد فترة طويلة.[1]

قد ذكر مولانا فضل حق الخير آبادي ما لقيه من ألم وعقوبة في المنفى بجزائر سيلان فهو يقول في القصيدة الهمزية:

إلى بـــلاني خدعـــة إمـــرأة بلى　　كـــيد عظـــيم مـــا تكيد نساء

فدعت بأن قد شهرت أن أمنت　　قومـــا نبـــت بهم الديار وناءوا

قـــد ضـــيقوا عيشي على فعقت　　ونســـيت عيشـــا كان فيه رخاء

لـــم يكتفوا ظلما بحبسي بل ربا　　فـــوق احتباسي غربة وجلاء[2]

بالاضافة إلى الأشعار التي تصور أحسن تصوير للأوضاع السياسية لهذا العصر قـــال الشعراء أبياتا من الشعر عبروا فيها عن أحاسيسهم وعواطفهم ووصفوا الأشياء ومدحوا أخيار الناس.

---

[1] هندوستاني مسلمان: أبو الحسن علي الندوي، ص١٦٧

[2] الثورة الهندية: فضل حق الخير آبادي، ص٤٣٥-٤٣٨

قــرض المفــتي محمد عباس اللكنوي أبياتا من الشعر وصف بها المشيب. فهو يقول:

خليــلي قــد ولى الشباب حبيبا وأورث حــزنا دائمــا ونحيــبا

يــود الفــتى لــو أن يعمر وهو لا يــود على طول الحياة مشيبا

وكيف يطول العمر من غير شيبة وهل من قضيب يستديم رطيبا[1]

قال ذو الفقار علي الديوبندي أشعارا في وصف الأنبج. فيقول:

إن كنــت تبغي أطيب اللذات فعلــيك صاح بأنبه الثمرات

من طعمها في كل قلب شهوة فكأنهــا مجموعة الشهوات

بــالجامعية فاقت الأثمار كالــ انسان فاق جميع حيوانات[2]

وكذلك قال الإمام حميد الدين الفراهي قصيدة هنأ بها العلامة شبلي النعماني. وذلك حينما لقبته الحكومة الإنجليزية بـــ "شمس العلماء". فهو يقول:

يــا خير من يسمو إلى العلياء كالشــمس بازغــة بوسط سماء

وأهنــئكم بمــا أعطيــتم مــن خير ما وجدوا من الأسماء

إن كان تلك الشمس شمس سمائها فلصــرت شمــس العلم والعلماء

اذ أنت شمس والعلوم سماؤكم فــالشمس شمسي والسماء سمائي[3]

مــن ابرزشــعراء ذلــك العصــر المفتي محمد عباس اللكنوي وفيض الحسن الســهارنفوري وفضــل حق الخير آبادي والمفتي كفايت الله واعزاز علي الديوبندي

---

[1] رطب العرب: المفتي محمد عباس اللكنوي، ص٤٠

[2] الهديه السنية في ذكر دار العلوم الديوبندية: ذو الفقار علي، ص٣

[3] ديوان المعلم: عبد الحميد الفراهي، ص٣٣-٣٤

وذوالفقـــار علي الديوبندي وحميد الدين الفراهي والأمير صديق حسن خان والعلامة انور شاه الكشميري وغيرهم.

وإذا ألقيـــنا نظرة على أشعار الشعراء الهنود الذين قالوا أشعارا في العربية قبل العصـــر الـــبريطاني وجدنا أن معظم هؤلاء الشعراء قد قالوا أشعارا في مدح الملوك والســـلاطين أو في الـــرثاء. وقـــلما نجد أن هؤلاء الشعراء قالوا شعراً عبروا فيه عن أحاسيســـهم وانفعلاتهم كما رأينا في أشعار الشعراء الذين عاشوا عبر عصور مختلفة. معظم الأشعار التي وصلت إلينا من عصور مختلفة هي في المدح أو الرثا.

ملخص القول إن هؤلاء الشعراء قد قالوا أشعارا كثيرة وأجادوا فيها لكنهم لم يعـــبروا فيها عن مشاعرهم الداخلية وعواطفهم الذاتية بل ركزوا جل عنايتهم على الحمـــد والمديح النبوي والرثاء وغيرها قلما نجد أن هؤلاء الشعراء قد قالوا شعرا في وصف شيء أثر عليهم أو تأثروا به.

ولكـــن تغيرت هذه الأحوال كليا عندما احتل الإنجليز وباحتلالهم على هذه الـــبلاد تغـــيرت الأوضاع والظروف بها. فقال الشعراء الذين نشأوا في هذا العصر أشـــعارا عـــبروا فيها عن انفعالاتهم وأحاسيسهم الداخلية. وعبروا فيها عن الكفاح والمقاومـــة ضـــد المستعمرين الأجانب وسياستهم الغاشمة. وكذلك مدحوا ووصفوا وقـــالوا أشـــعارا في الـــرثاء والترحيب والتهنئة. توجد في أشعارهم أفكار ومضامين متنوعة.

المراجع والمصادر

الكتب العربية:

١- ابن منظور: لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة

٢- ابـــو الحسن علي الحسني الندوي: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، دار الندوة للتوزيع لبنان

٣- ابو الفرج الاصبهاني: الأغاني، الجزء الخامس عشر، طبعة بولاق الأصلية، بيروت، ١٩٧٠

٤- أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي، الجزء الثاني، دار صادر، بيروت

٥- أحمد أمين: زعماء الاصلاح

٦- أحمد أمين: فجر الإسلام، الطبعة السابعة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥م.

٧- أحمد أمين: ضحى الإسلام، الطبعة العاشرة، بيروت: دار الكتاب العربي

٨- أطهـــر المـــباركفوري: رجال الهند والسند، الطبعة الأولى،ممبائي،المكتبة الحجازية، ١٩٥٨م.

٩- أطهر المباركفوري: العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين، سرائى مير، المطبعة الحميدية، ١٩٦٧م.

١٠- الجاحظ: كتاب الحيوان، الطبعة الثالثة، دار صعب، بيروت، ١٩٨٢م.

١١- جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت، دار مكتبة الحياة.

١٢- جميل أحمد: حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كراتشي

١٣- حنا الفاخورى: الجديد في العربي بيروت

١٤- خير الدين الزركلي: الأعلام، بيروت، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.

١٥- ذو الفقار علي الديوبندي: عطر الوردة في قصيدة البردة، المطبعة المجتبائية، ١٩١١م.

١٦- زبيد أحمد: الآداب العربية في شبه القارة الهندية، وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، ١٩٧٨م.

١٧- زبير أحمد الفاروقي الدكتور: مساهمة دار العلوم بديوبند، اورورا برنترس دلهي الجديدة، ١٩٩٠.

١٨- عبد الحئ الحسني: الثقافة الإسلامية في الهند، دمشق ١٩٥٨م.

١٩- عبد الحئ الحسني: نزهة الخواطر، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، ١٩٦٣م.

٢٠- عبد المنعم النمر الدكتور: كفاح المسلمين في تحرير الهند، مكتبة وهبة مصر، ١٩٦٤م.

٢١- عبد المنعم النمر الدكتور: ابو الكلام آزاد المصلح الدينين في الهند، مطبع الأهرام التجارية، مصر ١٩٧٣م.

٢٢- عبد المنعم النمر الدكتور: تاريخ المسلمين في الهند، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨١م.

٢٣- علـــيم أشـــرف الجائسي: فصلو في التعريف بالهند العربية الإسلامية، دار العلوم جائس، يوبي، ٢٠٠٣م.

٢٤- غـــلام عـــلي آزاد: ســـبحة المرجان في آثار هندوستان معهد الدراسات الإسلامية، جامعه عليكره الإسلامية، ١٩٧٦م.

٢٥- غوستاف لوبون: حضارات الهند، تعريب عادل زعتير.

٢٦- فضـــل الحـــق الخير آبادي: مخطوطة الثورة الهندية مع القصيدتين الهمزية والدالية، برقم ٢/٧١٢. ٨٩٢

٢٧- فيضل الحسن السهارنفوري: ديوان الفيض، حيدر آباد

٢٨- قمر النساء الدكتورة: العلامة فضل حق الخير آبادي، لاهور، ١٩٨٥م.

٢٩- محمد اعزاز علي: نفحه العرب، المكتبة الديوبندية، ١٩٨٣م.

٣٠- محمـــد انـــور الشاه الكشميري: ضرب الخاتم في حدوث العالم، المجلس العلمي، دابهيل، غجرات، ١٩٩٦م.

٣١- محمـــد انور شاه الكشميري: فصل الخطاب في مسئلة أم الكتاب، المجلس العلمي، دابهيل، غجرات، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٣٢- محمـــد محســـن الـــترهتي: اليانع الجنى في أسانيد الشيخ عبد الغني، المطبع الصديقي، دلهي، ١٩٦٥

٣٣- محمـــد الجريـــر الطبري: تاريخ الطبري، الطبعة الثانية بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م.

٣٤- المســـعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، الطعبة الأولى، بيروت: دار الكتاب،اللبناني، ١٩٨٢م.

٣٥- مفتي محمد عباس: رطب العرب مطبع جعفري لكنؤ

٣٦- نواب صديق حسن خان: ابجد العلوم المطبعة الصديقية، بوفال

٣٧- يوسف البنورى: نفحة العنبر من هدى الشيخ انور دلهي، ١٩٣٦م.

الكتب الأردية:

٣٨- ابـــو الحســـن علي الحسني الندوي: هندوستاني مسلمان، مجلس تحقيقات ونشريات ندوة العلماء لكنؤ، ديسمبر ١٩٦٧م.

٣٩- ابـــو ظفر الندوي: تاريخ السند، الجزء الأول والثاني، الطبعة الثانية، دار المصنفين، اعظم كره، ١٩٧٠م.

٤٠- ابو ظفر الندوي: مختصر تاريخ الهند، دار المصنفين، اعظم كره، ١٩٩١م.

٤١- اطهـــر المباركفوري: عرب هند عهد رسالت مين، ندوة المصنفين، جامع مسجد، دلهي، ١٩٦٥م.

٤٢- ابـــو نصـــر سيد محمد علي حسن خان: مآثرصديقي، مطبعة نولكشور، لكناؤ، ١٩٢٤م.

٤٣- ثـــروت صـــولت: ملت إسلامية كي مختصر تاريخ، الجزء الثاني مركزي مكتبة اسلامي، ١٩٩٢م.

٤٤- خورشيد أحمد فارق: تاريخ اسلام (خلافة راشدة وبنو أمية) جمال برنتنغ بريس، اردو بازار دلهي.

٤٥- زبيد أحمد الدكتور: عربي ادبيات مين باك و هند كا حصه، ترجمة شاهد رزاقي، ادارة ثقافة اسلامية لاهور باكستان، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.

٤٦- ســـليمان ندوي السيد: مقالات شبلي مطبع المعارف دار المصنفين، اعظم

كره الهند.

٤٧- سليمان ندوي السيد: عرب وهند كى تعلقات، دار المصنفين، اعظم كره ١٩٩٢م.

٤٨- شـــبير أحمد قادر آبادي: عربي زبان و ادب عهد مغلية مين، المجلد الأول، نظامي بريس لكنؤ، ١٩٨٢م.

٤٩- شمـــس تـــبريز خان: عربي ادب مين هندوستان كا حصه، نظامي بريس، لكناؤ، ١٩٨٩م.

٥٠- صباح الدين عبد الرحمن: بزم تيمورية مطبعة المعارف دار المصنفين، اعظم كره، الهند.

٥١- صباح الدين عبد الرحمن: بزم مملوكية، دار المصنفين، اعظم كره، ١٩٥٤م.

٥٢- عـــبد الرحمن ناصر الإصلاحي: مختصر حيات حميد، مطبعة المعارف، اعظم كره، ١٩٧٣م.

٥٣- عبـــيد الله الفراهي: علامة حميد الدين الفراهي، حيات وافكار، سرائى مير، مدرسة الإصلاح، ١٩٩٢م.

٥٤- عتـــيق الـــرحمن الإصـــلاحي: مولانا فيض الحسن أديب حيات وخدمات، آفسيت بريس، دلهي، ١٩٩٧م.

٥٥- عطاء الرحمان القاسمي: ألواح الصناديد شاه ولي أكادمي، دلهي، ١٩٨٩م.

٥٦- فقـــير محمـــد جهيلمي: حدائق الحنفية مطبعة حسين سهيل لميتد، لاهور، ١٩٨٦م.

٥٧- فـــياض محمـــود السيد: تاريخ ادبيات مسلمانان باكستان وهند، جلد٢،

مطبعة المكتبة العلمية لاهور، باكستا، ١٩٧٢م.

٥٨- محبوب رضوي السيد: تاريخ ديوبند علمي مركز ديوبند، ١٩٧٢م.

٥٩- محمد اكرام الشيخ: آب كوثر، تاج كمبني.

٦٠- محمد اكرام الشيخ: رود كوثر: كلاسيكل برنترس، دلهي-١٦

٦١- محمد رحيم بخش: حيات ولي

٦٢- محمـــد ميان سيد: علماء هند كا شاندار ماضي، الجزء الرابع، كتابستان، دلهي، ١٩٨٥م.

٦٣- محمد هادي عزيز لكنوي: تاريخ عباس، المطبعة النظامية لكناؤ.

٦٤- مســـعود انور علوي كاكوري الدكتور: عربي ادب مين اودھ كا حصه، فخر الدين علي أحمد ميموريل كميتي، لكناؤ، ١٩٩٠م.

٦٥- معين الدين الندوي: هندوستان عربون كي نظر مين، دار المصنفين، اعظم كره، ١٩٦٠م.

٦٦- مـــناظر أحسن كيلاني: هندوستان مين مسلمانون نا نظام تعليم وتربيت، ندوة المصنفين، دلهي ١٩٤٤م.

٦٧- نظامي خليق أحمد: ١٨٥٧م كا تاريخي رزونامجه، دلهي ١٩٧١م.

٦٨- نوشـــه عـــلي السيد: مسلمانان هند و باكستان كي تاريخ تعليم سلمان اكاديمي، كراتشي، ١٩٦٢م.

فهرس الموضوعات

الباب الأول : العلاقات بين العرب والهند **١**

الفصل الأول : اتصال التجار العرب بالهند ٢

الفصل الثاني : الغزاة العرب في السند ١١

الفصل الثالث : العلماء والمحدثون في السند وغجرات ٢٧

الباب الثاني : خلفية الشعر العربي في الهند **٤٠**

الفصل الأول : الشعر العربي في عصر الحكم العربي بالسند ٤١

الفصل الثاني : الشعر العربي خلال عصر السلاطين ٥٤

الفصل الثالث : الشعر العربي في عهد مغول ٧١

الباب الثالث : الأفكار الرئيسية في الشعر العربي بالهند **٨٥**

الفصل الأول : الفكرة السياسية في الشعر العربي ٨٦

الفصل الثاني : الفكرة الدينية في الشعر العربي ٩٦

الفصل الثالث : الفكرة الإجتماعية في الشعر العربي ١٠٧

الفصل الرابع : الموضوعات المتفرقة ١١٥

الباب الرابع : أعلام الشعر العربي بالهند **١٢٤**

١- العلامة حميد الدين الفراهي ١٢٥

٢- المفتي محمد عباس اللكنوي ١٤٢

٣- الشيخ ذو الفقار علي الديوبندي ١٥٢

٤- العلامة فضل حق الخير آبادي ١٥٩

٥- العلامة فيض الحسن السهارنفوري ١٧٦

٦- الشيخ انور شاه الكشميري ١٨٤

٧- الأمير صديق حسن خان ٢٠٢

الخاتمة : **٢١٩**

المراجع والمصادر : **٢٢٧**

فهرس الموضوعات : **٢٣٣**

An analytical study
of

ARABIC POETRY IN INDIA

From 1850 to 1950

Thesis Submitted to the Jawaharlal Nehru University
in Partial Fulfillment of the Requirements for the
Award of the Degree of Doctor of Philosophy

Submitted by

Mohammad Shahid

Supervisor

PROF. F.U. FAROOQI

Centre for Arabic & African Studies
School of Language, Literature & Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067
2005